

October 2021



ISSN/الدولي
2394 – 6628

معامل التأثير العربي
1.18

مجلة أبحاث اللغة العربية

مجلة أدبية محكمة دولية

International Research Journal of Arabic Language & Literature

Chief Patron
Dr.Asgar Hassan Samoon
(IAS)

رئيس التحرير
الدكتور معراج الدين الندوي

وزارة التعليم العالي بولاية جامو وكشمير بالهند ١٩١١٠١

Higher Education Department J&K Govt.191101

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

www.tilmeezjournal.in



Government of Jammu & Kashmir Higher Education Department



Chief Patron
Dr. Asgar Hassan Samoon (IAS)



Vice Chief Patron
Prof. Yaseen Ahmad Shah

مجلة التلميز

AL-TILMEEZ

ISSN 2394 -6628

**Monthly Arabic Research Journal
Of**

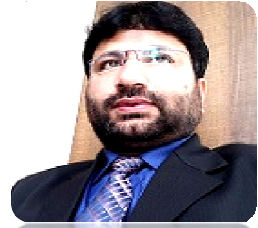
Higher Education Department J&K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature



Director of Journal
Prof. M. Muzaffar Husain Nadvi

سجلوا انتصاركم بمداد الفخر



Editor in Chief
Dr. Meraj ud Din Para Nadvi

دعوة المشاركة و شروط النشر:

تدعو "مجلة التلميح" الباحثين وأساتذة الجامعات والمتخصصين في اللغة العربية وآدابها من أرجاء العالم الإسلامي، لتقديم نتائجهم العلمي مما له علاقة بموضوعات المجلة وذلك للنشر بها.

يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي:

* أن يكون البحث أصيلاً وجديداً، لم يسبق نشره في نشرات أخرى مهما كانت، ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي.

* ألا يقل عدد صفحات المقال عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة، بما فيها المصادر والهوامش والجداول والرسوم التوضيحية، ويجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

* أن يكون المقال مطبوعاً على الكمبيوتر وفق برنامج "Microsoft Word" بخط من نوع Sakkal Majalla

* تحتفظ المجلة عن نشر مقالين متتاليين في العدد ذاته أو في عددين متتاليين لمؤلف واحد.

يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.

ويجب أن يراعى في الأعمال المتضمنة لنصوص شعرية أو آيات قرآنية كريمة، أو أسماء أعلام ضبطها بالشكل وتخريج الأحاديث والأبيات

* أن توضع الهوامش فكل صفحة وكذلك توضع المراجع والمصادر على آخر صفحة المقال ويراعى في طريقة التمهيش المنهج التالي:

* الكتب: إسم ولقب المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء، الترجمة (إن وجدت) الطبعة دار النشر/ الناشر، مكان النشر، وسنة النشر.

* المقالات: إسم ولقب المؤلف، "عنوان المقال"، عنوان المجلة، (الجهة التي تصدر عنها)، العدد، الصفحة.

* المراجع الإلكترونية: اسم المؤلف، أو المنظمة "عنوان المقال"، العنوان الإلكتروني كاملاً، تاريخ التصفح: اليوم، الشهر، السنة.

* المخطوطات: اسم المؤلف وعنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها.

* الصحف: إذا كان خبراً يكتب اسم الصحيفة، والعدد، والتاريخ، ومكان الصدور. أما إذا كانت مقالة يكتب اسم الكاتب، "وعنوان

المقالة" واسم الصحيفة، ثم تحديد نوعها (يومية، أسبوعية، شهرية)، (ومكان الصدور) والعدد، والتاريخ، والصفحة.

* يحق للمجلة (إذا رأت ضرورة لذلك) إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، كما

تحتفظ المجلة بحقوقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

* الدراسات التي تنشرها المجلة تُعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

المراسلة والاشتراك: يمكنك إرسال بحثك العلمي إلى لجنة التحكيم في المجلة العربية للنشر العلمي عن طريق:

إرسال البحث إلى الإيميل التالية: editor@tilmeezjournal.com موضحاً اسم الباحث - عنوان البحث - وصف مختصر للبحث

والباحث.



Government of Jammu & Kashmir Higher Education Department

الهيئة الاستشارية / Advisory Board

رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
الأستاذ بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية
رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر
رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية بالهند
الأستاذ المساعد بقسم علم اللاهوت السني عليكرة بالهند
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بالجامعة المليية الإسلامية
جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية
قسم العربية و آدابها بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند
الأستاذ المشرك بجامعة جواهر لال نهرو
رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر، كشمير
قسم اللغة والأدب العربي جامعة ابن خلدون تيارات الجزائر
قسم العربية و آدابها بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند
المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه
المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية
الأستاذ المساعد بالجامعة العالية، كولكتا- الهند
أستاذة تاريخ الأديان ، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان.
رئيس تحرير مجلة الرسالة الدولية للدراسات والبحوث ومحاضر
بقسم علوم الإعلام والاتصال و نائب عميد كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية بجامعة العربي التبسي تبسة الجزائر.
الباحث الأكاديمي بالدوحة دولة قطر
جامعة تلمسان بالجزائر

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري
البروفيسور كفيل أحمد القاسمي
البروفيسور صلاح الدين تاك
البروفيسور محمد سميع أختر
البروفيسور محمد فيضان بك
البروفيسور مسعود أنور علوي
البروفيسور منظور أحمد خان
البروفيسور رضوان الرحمن
البروفيسور عبد الماجد القاضي
الدكتور ربحان أختر القاسمي
البروفيسور شاد حسين
البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي
البروفيسور السيد جهاتكير
البروفيسور حبيب الله خان
البروفيسور محمد ثناء الله الندوي
الدكتور عبيد الرحمن طيب
البروفيسور عبد الرحمن وار
البروفيسورة دنيا باقل
البروفيسورة تسنيم كوثر
د. زكريا السرتي المغربي
البروفيسور عبد الرحمن واني
الدكتور شمس كمال أنجم
د. تيسير محمد أحمد الزيادات
د. معراج أحمد معراج الندوي
د. كريمة نور عيساوي
الدكتور رضوان بلخير
الدكتور قاضي عبدالرشيد الندوي
الأستاذ عبدالقادر سلامي

مجلة التلميز

مجلة علمية عربية محكمة شهرية تصدر
عن وزارة التعليم العالي بجاموں وكشمير

مجلس التحرير

Editorial Board

الرئيس العام

الدكتور أصغر حسن سامون

(IAS)

نائب الرئيس العام

البروفيسور يسين أحمد شاه

مدير التحرير

البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساعدوه

البروفيسورة دنيا باقل (الجزائر)

الدكتورة نورأفشان

الدكتور عناية الله واني الندوي

الدكتور فاروق أحمد ميرالقاسمي

الدكتور محمد ربحان الندوي

الدكتور محسن عتيق خان

الدكتورة زهراء علي دخيل (لبنان)

نور عائشة / Noor Aisha (للإنكليزية)

الآراء المنشورة في مجلة "التلميز" تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

محتويات العدد

رقم العدد	رئيس التحرير	مادة العدد
06	د.أورنك زيب الأعظمي	صلوات الفعل "سأل يسأل سؤالاً"...
08	د. محمد جهانغير عالم	السيدعبد الملك عالما و أديبا آساميا
18	د.عبد الملك الرسول فوري	الشيخ ميرك شاه الأندراي الكشميري ...
29	بشنين هدى / كي.سي	شيخ البحارة حنا مينا و أعماله الأدبية
43	د.عباس شمس الدين إبراهيم	أثر اللغة العربية في أسماء المناصب.....
54	محمد عبد الرب	ألفة الإدلي و إسهاماتها في الروايات.....
66	محمد غلمان	المنفى في السيرة الذاتية الفلسطينية.....
73	السيد شرف الدين	تطور القصة القصيرة القطرية
80	رفيق اختر	المقالة عند الدكتور مقتدى حسن الأزهرى
87	رشيد وي . وي	تشكيل الشخصية في رواية " مصائر كونشر....
107	السيدة مهابة بيضاء	تاريخ موجز للحركة النسوية العربية و
103	نواس بي بي	الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية في
124	الباحث لخضردين / د.أمينة بلهاشمي	حضور المرأة في أدب الرحلة.....
130	الدكتور عمر وي. يم	المعركة الأدبية بين غلام علي
148	عبدل أحمد دار	عناية ابن عاشور بالفنون البلاغية....
159	الدكتور عطار خالد	فعل الكتابة في الفكر الصوفي
169	سباي أمجد	دور الصحافة المكتوبة في الحد من تفشي.....
182	د. أبوبكر إبراهيم	فن المديح لدى السلطان محمد بلو
196		

AL-TILMEEZ

Arabic Research Journal
Of

Higher Education Department J & K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة العدد:



(أكتوبر 2021/ ربيع الأول 1443 هـ)

الحمد لله الذي خلق الإنسان و علمه البيان و سهّل لعباده إلى تعلم لغة القرآن سبيلا، و أوضح لهم طريقا لهداية وجعل اتباع الرسول عليها دليلا، و اتخذهم عبيدا له فأقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيلا، وكتب في قلوبهم الإيمان و أيدهم بروح منه ، لما رضوا بالله ربا وبالإسلام ديناً و بمحمد رسولا. والحمد لله الذي اختصّ هذه الأمة الإسلامية بأنه لا تزال فيها طائفة على خدمة لغة الضاد إلى يوم القيامة لا يضربهم من خالفهم ولو اجتمع الثقلان على تدنيس اللغة العربية و مخالفة خادمها قبيلًا..والحمد لله الذي علم بالقلم، و علم الإنسان ما لم يعلم و رفع الذين أوتوا العلم درجات عليّة، اللهم أدخلنا في زمرةهم يا رحمن يا رحيم .

مرحبا إخوتي الأعزاء ها قد اتينا لكم اليوم بعدد جديد لمجلتكم المؤقّرة!

يسعدني ويرychني أن أعرض على القراء الكرام العدد الرابع والثلاثين من "مجلة التلميد"

الدولية المحكمة (أكتوبر 2021/ ربيع الأول 1443 هـ)

نجدد آمالنا بأن يكون هذا العدد مليئاً بالبحث العلمي المتميز على غرار سابقاته و ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل مجلتكم نافعة لكل من يحب الضاد و نتمنى أن يزكو خيرها وينمو عطاؤها ليستمرّ مع الأيام القادمة بفضلها عزّ وجلّ. ونسأله سبحانه وتعالى مخلصاً أن يأخذ

بأيدينا إلى سبيل الحق والصواب، وأن يرزقنا جميعا صادق القول وصالح العمل، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، إنه سميع قريب.

وندعو جميع المهتمين بالضاد إلى تقديم الدعم العلمي والمساهمة الفاعلة لإنجاح جهود هذه المجلة الدولية ومساعدتها العلمية بالبحث.

ختاماً.. نتمنى أن نكون قد وفقنا بما قدمناه خلال السنوات الماضية التي ستستمر بإذن الله.. ولا أنسى هنا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى جميع أعضاء هيئة تحرير المجلة والهيئة الاستشارية للمجلة الذين لا يتسع المجال لذكرهم، وجميع الكتاب والمشاركين والمهتمين على دعمهم الكبير الرائع الفعال لما قدموه لخدمة المجلة من أعمال متقنة، وناجحة، في تطويرها، وتقديمها بشكل ملحوظ.

مرحبا بكم معنا في العدد الرابع و الثلاثين و مرحبا بكل باحث ، وبكل قارئ متعطش و اقـرأوه بكل رغبة و شوق ليكون لنا ولكل الناس من حولنا حياة أوفر و أفضل علما و أدبا. مع تحياتي لكم الخالصة.

www.tilmeezjournal.in

رئيس التحرير
الدكتور معراج الدين الندوي
سرینجر کشمیر بالهند



صلوات الفعل (سأل يسأل سُؤلاً)

د. أورك زيب الأعظمي

مدير تحرير "مجلة الهند"
وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،
الجامعة الملكية الإسلامية، نيودلهي

Abstract Among the most common Arabic verbs are 'Sa'la Yasa'lu Suwālan' and 'Ajāba Yujibu Ijābatan'. The verb 'Sa'la' means to question, to ask and to query to mean a few. 'Ajāba Yujibu Ijābatan' is its opposite and means to reply, to answer and to respond to mean a few. The verb (Sa'la Yasa'lu Suwālan) has three prepositions i.e. ilā, bā and 'an. It also comes without prepositions. As for its opposite (Ajāba Yujibu Ijābatan), it has five prepositions i.e. ilā, 'alā, 'an, fī and lām. This article deals with the prepositions of the verb (Sa'la Yasa'lu Suwālan) and the following article will show the usage of prepositions of the verb (Ajāba Yujibu Ijābatan) in sha Allah.

الملخص: من أعمّ أفعال اللغة العربية وأكثرها شيوعاً "سأل يسأل سُؤلاً" و"أجاب يجيب إجابةً" فالسؤال كما يعني الاستفسار عن شيء فكذلك يعني الهزء بأحد وطلب المعرفة الدقيقة عنه كما يعني طلب شيء من أحد. وله ثلاث صلوات: إلى والباء وعن. وأما "أجاب" فهو نقيضه وهو يعني الردّ على سؤال أحدٍ والإجابة على دعائه وإغاثة المظلوم. وله خمس صلوات: إلى وعلى وعن وفي واللام. في هذه المقالة نتناول صلوات الفعل الأول (سأل) بالبحث والنقاش، وأما الفعل الثاني (أجاب) فسنبحث عنه في المقالة التالية إن شاء الله تعالى.

الكلمات الدلالية: الأفعال العربية، الصلوات، المعاجم، كلام العرب والقرآن الكريم.

المدخل: تحدّثنا في مقالاتنا السابقة عن أهمية الصلوات الفعلية في اللسان العربي ودورها في تبديل معاني فعلٍ أو تحديد دلالاته كما تناولنا في هذا الباب أفعالاً عربية وأسماء من مثل الأثر والتأثير والذهاب والجهل والزيادة وأفعال أخرى شرحنا معاني صلواتها في مجالات أخرى ومواقف عربية. واليوم سنتناول صلوات الفعل (سأل يسأل سُؤلاً) التي نقيضها بصلوات الفعل (أجاب يجيب إجابةً) وكلاهما نقيض بعضهما للآخر. فالإجابة لها خمس صلوات وهي إلى وعلى وعن وفي واللام كما أنّ السؤال له ثلاث صلوات وهي إلى والباء وعن. نرجو من الأساتذة والباحثين أن يعلّقوا على حديثنا كي نقيم بهم ما اعوجّ فيه.

مجيء صلوات الفعل (سأل) في القرآن الكريم: أورد القرآن الكريم الفعل (سأل يسأل سُؤلاً) تارة بصلة (إلى) وأخرى بصلة (الباء) وثالثة بصلة (عن) كما أوردته بدون الصلة. وفي هذا الفصل سنتحدّث عنها. قال الله تعالى: "إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ

بِسْؤَالٍ نَعَجَّتْكَ إِلَى نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهٗ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝ ٢٤". (سورة ص)

"سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۚ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۚ" (سورة المعارج)

"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۚ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (سورة البقرة) ١٨٦.

"يَسْأَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ١٥٣". (سورة العنكبوت)

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَّظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينٍ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ٥٣". (سورة الأحزاب)

"أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُدَّتْهُمْ آفَتُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٩٠". (سورة الأنعام)

"يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٩ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠". (سورة المعارج)

والحديث عن هذه الصلوات سيأتي ضمن الحديث عن استخدامها لدى الشعراء العرب.

صلوات الفعل (سأل) في كلام العرب: وعندما نراجع كلام العرب ونتتبع استخدامات هذا الفعل لدى فرسانه

نجد ما يلي:

قال علقمة الفحل:

فإن تسألوني بالنساء فإنني	خبير ^١ بأدواء النساء طبيب ^٢
---------------------------	---

وقال الشاعر:

دع المغمّر لا تسأل بمصرعه	واسأل بمصقلة البكري ما فعلا ^٣
---------------------------	--

وقال المرقش الأكبر:

هلا سألت بنا فوارس وائل	فلنحُنْ أسرعها إلى أعدائها ^٤
-------------------------	---

^١ ويروى "بصير به"، ديوان المفضليات، 390

^٢ ديوانه، ص 11

^٣ ديوان الهذليين، 67/2

^٤ ديوان المفضليات، ص 234

وقال عنتر بن شداد العبسي:

هَلَا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ	إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً، بِمَا لَمْ تَعْلَمِ ¹
--	---

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

وَإِنْ تَسْأَلُنِي بِإِنِّي أَمْرٌ	أَهَيْئُ اللَّيْمَ وَأُحِبُّ الْكَرِيمَ ²
------------------------------------	--

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

سَأَلْتُ حَسَانَ مَنْ أَحْوَالُهُ	إِنَّمَا يُسْأَلُ بِالشَّيْءِ الْغُمَرُ: الْقَلِيلُ ³
-----------------------------------	--

ففي كل هذه الأبيات يعني (سأل به) السؤال عن شيء⁴ ولو أمعنا النظر في هذه الاستخدامات لوجدنا أن

¹ شرح ديوانه، ص 171 قال الشارح: والباء تأتي بعد السؤال بمعنى "عن" كثيرًا.

² ديوانه، ص 238

³ شرح ديوانه، ص 168

⁴ والشواهد على دخول الباء على مفعول السؤال الثاني كثيرة كما قال عنتر بن شداد العبسي:

وَلئن سَأَلْتُ بِذَآك عَيْلَةً خَيْرْتُ	أَنْ لَا أُرِيدَ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهَا
---	---

شرح ديوانه، ص 209، وقال المفضل الثكري شاعر جاهلي:

وَسَائِلَةٌ بِثَعْلَبَةٍ بَن سِيرٍ	وَقَدْ أَدَوْتُ بِثَعْلَبَةِ الْغُلُوقِ
------------------------------------	---

ديوان الأصمعيات، ص 203، وقال الأجدع بن مالك الهمداني شاعر جاهلي أدرك الإسلام:

أَسَأَلْتَنِي بِرُكَاثِي وَرِحَالِهَا	وَنَسِيتُ قَتْلِي فَوَارِسَ الْأَرْبَاعِ
وَالْحَارِثُ بْنُ يَزِيدٍ وَيَحْكُ أَعُولِي	حَلَوْ شَمَائِلَهُ رَحِيْبُ الْبَاعِ
وَلَوْ أَنَّنِي فَوْدِيْثُهُ لَفَدِيْتُهُ	بَأَنَامِلِي، وَأَجْنَهُ أَضْلَاعِي

ديوان الأصمعيات، ص 68-69، وقال عمرو بن معديكرب:

فَإِمَّا كُنْتُ سَائِلَةً بِمَهْرِي	فَمَهْرِي إِنْ سَأَلْتُ بِهِ الرَفِيعِ
-------------------------------------	--

ديوان الأصمعيات، ص 176، وقال الفرزدق:

مَا تَأْمُرُونَ عِبَادَ اللَّهِ أَسَأَلَكُمْ	بِشَاعِرٍ حَوْلَ دُرْجَانٍ مُخْتَمِرٍ
--	---------------------------------------

ديوانه، ص 262، وقال عمر بن أبي ربيعة:

وَلَوْ سُئِلْتُ بِنَا الْبِطْحَاءِ، قَالَتْ:	هَمْ أَهْلُ الْفَوَاضِلِ وَالسِّيُوبِ
--	---------------------------------------

ديوانه، ص 23 (طبعة دار صادر بيروت)، وقال أبو عبيدة:

سَأَلْتُ بِعَمْرٍو أَخِي سَجِيْهَ	فَأَفْظَعْنِي حِينَ رَدَّوْا السُّؤَالَ
-----------------------------------	---

ديوان الهذليين، 120/3، وقال آخر:

سَأَلْتَنِي بِأَنَاسٍ هَلَكُوا	شَرِبَ الدَّهْرَ عَلَيْهِمْ وَأَكَلِ
--------------------------------	--------------------------------------

ديوان الهذليين، 67/2

السؤال في البيتين الأولين بنوع من المعرفة الدقيقة التي يريد ذكرها الشاعران وعلى هذا قال سبحانه وتعالى "فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا" (سورة الفرقان: 59) كما سنتحدث عنه فيما بعد، أو بمعنى التحدي كما هو في بيت المرقش وعنترة بن شداد. فيخاطب عنترة ابنة مالك ويقول لها إذا كانت هي غافلة عن الفرسان فلتسأل عنها ولا تعتبرهم هباء منثورًا. وأما البيتان الأخيران فهما لمجرد السؤال عن الشيء.

وأما (سأل عنه) فهو يدل على السؤال البسيط فقط كما قال السموأل:

سلي إن جلّيت الناس عنا وعنهم	فليس سواء عالم وجهول ¹
------------------------------	-----------------------------------

وقال تأبط شراً:

إني زعيم، لأن لم تتركي عدلي	أن يسأل الحي عني أهل آفاق ²
-----------------------------	--

وقال أيضاً:

هلا سألت عميراً عن مصاولتي	قومًا منازلهم بالصيف ألبان ³
----------------------------	---

وقد استخدم زهير بن أبي سلمى كلتا الصلتين فقال:

فأقبلت في الساعين أسأل عنهم	سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله ⁴
-----------------------------	--

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

وإن تسألوا عنهم لدى كل غارة	فقد يُنبأ الأخبار من كان سائلا
أولئك قومي إن سألت بخيمهم	وقد يُخبرُ الأنباء من كان جاهلا ⁵

وقال أبو الأسود الدؤلي:

فسل بي ولا تستحي مني فإنه	كذلك بعضُ الناس يسأل عن بعض ⁶
---------------------------	--

وأما "سأله إياه" فله مدلولات عديدة فقال حسان بن ثابت الأنصاري:

هلا سألت، هداك الله، ما حسبي	أم الوليد وخير القول للواعي ⁷
------------------------------	--

وقال الكميت الأسدي:

¹ ديوانه، ص 14
² ديوانه، ص 142
³ ديوانه، ص 211 وألبان: موضع.
⁴ ديوانه، ص 93
⁵ ديوانه، ص 122، خيم: شيمة وخلق
⁶ ديوانه، ص 63
⁷ شرح ديوانه، ص 209

فلا تسأليني واسألي ما خليقتي
إذا ردَّ عافي القدر من يستعيرها¹

وقال أبو النشاش:

وسائلة بالغيب عني وسائل
ومن يسأل الصعلوك أين مذهب²

ففي هذه الأبيات كلها السؤال ليس إلا لنيل المعرفة عن شيء.

وأما في الأبيات التالية فالسؤال جاء للطلب كما قال أبو الأسود الدؤلي:

فإن مُتَّ ضرًّا فلا تسألن	أخا الجهل من ماله خردله
فترجع من عنده نادماً	وتقطع من كَفَّك الأنملة ³

وقال مسكين الدارمي:

وإني امرؤ لا أسأل الناس مألهم	بشعري ولا تعنى علي المكاسب ⁴
-------------------------------	---

وقال الفرزدق:

تميم بن زيد قد سألتك حاجة	لتجعله من بعض ما كنت لي تُهدي ⁵
---------------------------	--

ومنه استخدم الفعل لمعنى الخلع كما قال العجاج:

من بعد طول نقض مذرويه	تسالني الطلاق أم حيّه
فقلتُ ببني غير ما مرضيه	ثالبةً لبعليها مقلية ⁶

كما استخدم لمعنى التحدي فقال الأقيشر الأسدي:

وسألتني يوم الرحيل قصائدًا	فملاثن قصائدًا وكتابا
إني صدقتك إذ وجدتُك صادقًا	وكذبتني فوجدتني كذابًا ¹

كما في قوله تعالى المذكور أعلاه: "يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ

¹ ديوانه، ص 406

² شرح ديوان الحماسة، 116/1

³ ديوانه، ص 362

⁴ ديوانه، ص 24

⁵ ديوانه، ص 146

⁶ ديوانه، 170/2

ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيْنَتْهُمْ فَعَقَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ١٥٣". (سورة العنكبوت)

وكذا يأتي للدعاء لأمر ما فقال النابغة الذبياني:

ونحن لديه، نسأل الله خلده،	يردّ لنا ملكًا، وللأرض عامرًا ²
----------------------------	--

وأما صلة "الباء" في قوله تعالى التالي:

"الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا ٥٩". (سورة الفرقان)

فاختلف فيه المفسرون فبعضهم يرى أنّ الصلة متعلقة بالسؤال بينما البعض الآخر يربطها بالخبر. وأرى أنها متعلقة بالخبر لا بالسؤال كما فهمه الآخرون. قال علقمة الفحل:

فإن تسألوني بالنساء فإنني	خير ³ بأدواء النساء طبيب ⁴
---------------------------	--

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

فيكاد يعرفها الخبير بها	فيردّه الإقواء والمحل ⁵
-------------------------	------------------------------------

وقال الفرزدق:

سيجزي وكيعًا بالجماعة إذ دعا	إليها بسيفٍ صارمٍ وسان
خبيرٌ بأعمال الرجال كما جزي	ببدرٍ وباليرموك فيء جنان ⁶

وقد جاء هذا المعنى في كلام الشعراء العرب فقال عنتر بن شداد العبسي:

وسناني بالدارعين خبير	فأسأليه عما تكون القلوب ⁷
-----------------------	--------------------------------------

وقال زيان بن سيّار:

فإن تسألوا عتّا فوارس دارم	يُنَبِّئُكَ عنها من راحة عالم ⁸
----------------------------	--

¹ ديوانه، ص 51

² ديوانه، ص 45

³ ويروى "بصير به"، ديوان المفضليات، 390

⁴ ديوانه، ص 11

⁵ ديوانه، ص 457

⁶ ديوانه، ص 631

⁷ شرح ديوانه، ص 27

⁸ ديوان الأسمعيات، ص 211

وقال عبد المسيح بن عسلة:

ألا يا اسلمي على الحوادث فاطما	فإن تسأليني تسألي بي عالما ¹
--------------------------------	---

وقال الفرزدق:

وجدتُك البيضاء عمه خيركم	بني الهدى، والله بالناس خابر ²
--------------------------	---

وقال الفرزدق أيضاً:

وما يعلم الطائي ممن أب له	ولو سألوا عن طيء كل عالم ³
---------------------------	---------------------------------------

وأما الصلة "إلى" أي سأله إليه فأراها تضمين للضم كما قال شائش أخو علقمة الفحل:

حلفتُ بما ضم الحجيح إلى منى	ومائج من نحر الهدي المقلد ⁴
-----------------------------	--

وقال الأعشى الكبير:

فإني بحمد الله لم أفتقدكم	إذا ضمّ همّامًا إليّ حلولها ⁵
---------------------------	--

وقال أبو خراش الهذلي:

رأتُ قنصًا على قوتٍ فضمتُ	إلى حيزومها ريشًا رطيبًا ⁶
---------------------------	---------------------------------------

وقال مسكين الدارمي:

حسبك من تحصينها ضمها	منك إلى خلقي كريم ودين ⁷
----------------------	-------------------------------------

ففي قوله تعالى: "لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ لَـ" (سورة ص: 24) يعني السؤال بصلة "إلى" أن

الخصم طلب من الرجل أن يعطيه نعجته كي يضمها إلى نعاجه.

ولكن لم أجد شاهدًا على استخدام (إلى) مع السؤال سوى قول الفرزدق الذي قال:

أسألتني عن حُبوتي ⁸ ما بالها	فاسأل إلى خبيري وعمّا تسأل ⁹
---	---

فمعنى ذلك أن تنضم إلى من يعرفني ثم سله عما يعنيك.

¹ ديوان المفضليات، ص 302

² ديوانه، ص 279

³ ديوانه، ص 586

⁴ ديوان علقمة الفحل، ص 40

⁵ ديوانه، 417/2

⁶ ديوان الهذليين، 225/1

⁷ ديوانه، ص 67

⁸ حبة: من يجتمع حول المرء من الأهل والأقارب.

⁹ ديوانه، ص 495

وأما قول النابغة الذبياني:

فأرسل في بني ذبيان فاسأل	ولا تعجل إليّ عن السؤال ¹
--------------------------	--------------------------------------

فالصلة هنا للعجلة لا للسؤال كما جاء في سورة طه: "وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يُمُوسَى ۚ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ۚ" ٨٤.

وقال بعض المفسرين إن صلة (الباء) في "سأل سائل بعذاب واقع" للهزة كما في قوله تعالى: "وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ" (سورة الأنعام) وقال: "وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۚ" (سورة الرعد) ويؤيده قول قول يزيد بن حبناء:

إني هزئت من أم الغمر إذ هزئت	بشيب رأسي وما بالشيب من عار ²
------------------------------	--

وقول عبيد الله بن قيس الرقيات:

ألا هزئت بنا قرشي	ية هتزموكها ³
-------------------	--------------------------

والتضمين باب واسع. وعلى هذا يمكن أن نجعله تضميناً للشماتة كما قال عمر بن أبي ربيعة العامري:

فلا مرحباً بالشامتين بهجرنا	ولا زمن أضحي بنا قد تقلبا ⁴
-----------------------------	--

أوللدعاء كما يراه الزمخشري واستدل عليه بقوله تعالى:

"هَذَا ذِكْرُ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمْ ۖ أَلْبَوبُ ۖ ٥٠ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۖ" (سورة ص)

ويؤيده قوله تعالى: "وَيَدْعُ الْإِنْسُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسُ عَجُولًا ۚ" (سورة الإسراء) وقال أوس بن حجر:

لعمرك ما تدعو ربعةً باسمنا	جميعاً ولم تُنَيِّ بإحساننا مُضَرَّ ⁵
----------------------------	--

وقال النمر بن تولب:

دعاني الغواني عَمَّهْنَ وَخِلْتَنِي	لي اسمٌ فما أدعى به وهو أول ⁶
-------------------------------------	--

1 ديوانه، ص 61
2 شعر الخوارج، ص 86
3 ديوانه، ص 121
4 ديوانه، ص 66
5 ديوانه، ص 32
6 جمهرة أشعار العرب، ص 424

وقال روبة بن العجاج:

أيام يدعو من دعاني باسي
لو رأى البيض مكان العصم
لانقض من أعلى الهضاب الدلم
بهن ناموس الرقي والهم ¹

وأما من يرى تضمين الإسقاط فقوله مبني على عدم ممارسته بكلام العرب فالتضمين له أصول ولطائف. هذا، وإذا كان أمر التضمين فأنا إلى معنى الهزء أميل وهو قريب من معنى التحدي الذي يشمل السؤال به. ملخص الكلام: ظهر من هذا البحث الوجيز أن الفعل (سأل يسأل سؤالاً) يعني السؤال عن شيء كما يعني طلب أحد شيئاً وجمع المعلومات الدقيقة عن أحد. وإذا دخلت عليه الصلات فتتغير دلالاته قليلاً فإذا دخلت عليه (إلى) عنث ضم الشيء أو انضمامه إلى مجموعة، وإذا دخلت عليه (الباء) عنث السؤال الدقيق عن أحد كما عنث الشماتة به، وإذا دخلت عليه (عن) عنث السؤال البسيط. وإذا جاء متعدداً بنفسه فيعني السؤال عنه كما يعني الطلب كما قال تعالى: "يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ۖ ١٠". (سورة المعارج) وقال: "يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا آلَهِ جَهَنَّمَ فَأَخَذَتْهُمُ الصُّعْقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِيناً ١٥٣". (سورة العنكبوت)

هذا، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمزيد الخدمة للسان كتابه العزيز.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أسلوب التضمين وأثره في التفسير للدكتور زيد عمر عبد الله، د.ت.
3. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
4. ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة: أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، ط2، 1998م
5. ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط3

¹ ديوانه، 95/2

6. ديوان الأعشى الكبير بشرح محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة، قطر، 2010م
7. ديوان الأقيشر الأُسدي، صنعة: د. محمد علي دَقَّة، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م
8. ديوان السموأل، شرح وتحقيق، علي سابا، مكتبة صادر، بيروت، د.ت
9. ديوان العجاج، تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، 1971م
10. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
11. ديوان الكميت بن زيد الأُسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
12. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6
13. ديوان النابغة الذبياني بشرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
14. ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار الكتب، بيروت، 1996م
15. ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م
16. ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م
17. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، شرح: ضابط بالحربية، مطبعة السعادة، مصر، د.ت
18. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م
19. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، د.ت.
20. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
21. ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق وتقديم: د. فوزي عطوي، دار صادر، بيروت، 1980م
22. ديوان ليبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت.
23. ديوان مسكين الدارمي، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري و خليل إبراهيم العقبة، مطبعة دار البصري، بغداد، ط1، 1970م
24. شرح ديوان الحماسة للعلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى
25. شرح ديوان روبة بن العجاج، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، ط1، 2011م
26. شرح ديوان عنتر بن شداد العبسي، للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م
27. شعر الخوارج، جمع وتحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م
28. علقمة الفحل، شرح ديوان علقمة الفحل للسيد أحمد صقر، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط1، 1935م

السيد عبد الملك عالماً وأديباً آسامياً



د. محمد جهانغير عالم

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة العالية، كولكاتا، الهند

Abstract: Syed Abdul Malik was an unparalleled author, writer and poet in Assamese literature. Born and brought up in a small village in Golaghat district of Assam in a peasant family. His education from primary to college was in the government institutions. He was selected secretary of Assam *Sahitya Sabha*, he had great attachment with various regional and national literary organizations throughout his lifetime. He was awarded 'Padmashree' from Govt. of India, 'Shankardev Shahityachariya' awards from the Govt. of Assam. He has more than 60 novels, 22 short stories, 10 research works, 3 Travelogues, 23 dramas, 2 biographies, 1 Lyric, 3 humorous writings, 4 autobiographies, 4 poems, 5 books on children literature and 10 translation works in his credit. He is the only Muslim literary figure North-East India who left behind such a huge literary contributions in Assamese literature. As a man his life was simple with smiley face in every well and woe. The paper aims at to reach the wider arena of Arabic world about Syed Abul Malik and his enormous literary outputs and also aims to open a scope for Arabic researchers to work in the field of comparative literature in the days to come.

Key words: Syed Abdul Malik, writer, Shankardeva, novel, contribution

الكلمات الدلالية: السيد عيد الملك، الكاتب، سانكرديفا، الرواية، اسهامات

المدخل:

حياته و نشأته: ولد سيد عبد الملك في قرية نهارني (Naharani) في مديرية غولاغهاث (Golaghat)، في ولاية آسام يوم 14 يناير في عام 1919م. هذا هو اليوم الذي يحتفل ماغ بيهو (Magh Bihu) بشعب آسام. كان والده سيّد علي رحمه الله، وأمه سيّدة لطيف النساء من أسرة شهيرة، أسرة الشيخ حضرت خندكر أحد كبار المشائخ في ولاية آسام. بدأ دراسته الرسميّة عام 1924م. في الرابعة من عمره في المدرسة الابتدائية. وفي العام 1929م، التحق بالمدرسة المتوسطة (M.E. School) في درغاون (Dergaon) ثم التحق بالمدرسة الثانوية في الصف السابع عام 1933م، ثم واصل دراسته في مدرسة حكومية عالية بجورهاث. وخلال ذلك ساهم في مسابقة كتابية جوائز مدرسية بمقالته الأولى عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم في مجلة "أجولي" (Ajoli)، في عام 1935م. وهي مجلة تكتب بخط يدوي في المدرسة وحصل على الجائزة الأولى في المسابقة بمناسبة الاحتفالية بعيد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت مقالته في اللغة الآساميّة بعنوان: "ماناف روبي محمد" (Manav Rupi Muhammad).

أكمل دراسته الثانوية العامة باللغة الفارسية في عام 1937م، وحصل على شهادة أي.ي (I.A.) من كلية جورهاث (Jorhat) في عام 1939م. ثم على شهادة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية من كلية القطن، جامعة غواهاثي في عام 1941م. وكان عبد الملك من الطلاب المعروفين وكان صيته غير مقتصر بين الطلاب فقط، بل كان فيما بين المعلمين وعامة الناس في المجتمع الآسامي أيضا من أجل ذاكرته الحادة وتعليقاته المهمة. بدأ السيد عبد الملك حياته الوظيفية مفتشاً مساعداً في قسم المكوس في عام 1942م. فعينه الرقيب المدني في الجيش في 1943م. وفي عام 1946م، ترك وظيفته وعين محاضراً في قسم اللغة الفارسية في كلية جورهاث. كما عمل مساعد البرنامج في إذاعة غواهاثي وشيلانغ خلال عام 1948-1949م.

في العام 1950م، عين مدرساً مساعداً في مدرسة دهكيال الثانوية الحكومية. وفي العام التالي، شارك في امتحان الماجستير في اللغة الآسامية في جامعة كلكتا ونجح بالدرجة الثانية. وفي عام 1951م عين محاضراً في قسم اللغة الآسامية في كلية جاغاناث بروا، جورهاث (Jagannath Baruah College, Jorhat)، وتقاعد عن الوظيفة وهو كان رئيس القسم وذلك في 1976م. كان السيد عبد الملك مرتبطاً بالعديد من المنظمات الاجتماعية والثقافية والسياسية أمثال اتحاد شباب العالم (World Youth Federation)، منظمة المسرحية الهندية، المؤسسة الهندية للكتاب المتقدمين، منظمة الكتاب الأفريقيين والآسيويين، المؤتمر الثقافي للسلام لعموم الهند، ولاية آسام ساهيتيا سبها (Assam Sahitya Sabha). كان مثل كتاب آسام في مؤتمر الهند الثقافي لعموم الهند الذي انعقد في كلكتا عام 1951م، وفناني آسام في منظمة المسرحية لعموم الهند مومباي (Bombai) في عام 1952م. وفي عام 1954م. قاد مجموعة من الفنانين من شمال الهند إلى جنوب الهند وقام بتنفيذ العديد من البرامج هناك. أكمل الأعمال البحثية تحت قسم الفولكلور (Folklore) من جامعة غواهاثي على العنوان "آسامية ذكر أرو جاري" (Assamiya Jikir Aru Jari) خلال عام 1954-56م. وشارك في مؤتمر الكتاب الآسيويين الذي انعقد في دلهي في عام 1957م.

في العام 1961م، أصبح مالك السكرتير الأول لمجلس التدقيق في آسام ساهيتيا سبها في اجتماع تنفيذي في مديرية غوالبارا. وفي عام 1963م. تزوج السيدة حسنة تشيشتي، ابنة الشيخ المعروف من منطقة سيب ساغار (Sibsagar) آسام. وكان واحداً من أعضاء لجنة إصلاح الأراضي (Land Reform Committee) من حكومة ولاية آسام خلال فترة حكومة كبير الوزراء سرات تشاندرا سينغ. وكان مرتبطاً مع المنظمات البارزة الأخرى أمثال: كتاب الثقة الوطنية، الموسيقى الأكاديمية، أكاديمية الفنون الجميلة، مجلس هندي للحكومة الهندية، الهيئة الأردية لعموم الهند، المجلس الاستشاري للتربية والثقافة والرعاية الاجتماعية من الحكومة الهندية، ومن المعاهد المهمة مثل جامعة غواهاثي، جامعة ديبروغاره، جامعة هيلز للشمال شرقية، مجلس النشر لولاية آسام، مركز إذاعة ومركز التلفزيون وغيرها.

انضم عبد الملك عام 1945م. إلى رابطة مسلم (Muslim League) التي كانت تهدف إلى إنشاء دولة جديدة ذات سيادة للمسلمين، وخلال تلك المدة قام بتحرير مجلة "بيغام" (Paygam) الشهرية في آسام التي كانت منسجمة مع أيديولوجياته الفكرية. استقلت الهند من الاستعمار البريطاني فانضم العديد من القادة والزعماء

إلى حزب المؤتمر الوطني ولكن السيد عبد الملك لم ينضمّ إلى حزب المؤتمر وبقي في معسكر المعارضين. ومن الجدير بالذكر أن عبد الملك ظل مؤيداً للحزب اليساري السياسي المرتبط مع الحزب الشيوعي الهندي على الرغم من تأييده لرابطة مسلم حتى أصبح مرشحاً في الانتخابات العامة في العام 1957م. للحزب الشيوعي في دائرة انتخابية جورهاث وغولاغهاث (Golaghat) المقعد البرلماني. لكن مرشح حزب المؤتمر هزمه. لم يزل كان هناك في معسكر اليسار بعد هزيمته في الانتخابات العامة ولكنه انضمّ في عام 1971م، إلى حزب المؤتمر الوطني تحت قيادة إنديرا غاندي، رئيسة الوزراء الهندية خلال الفترة ما بين (1972-1975م)، وأنه كان أيضاً منافساً لمقعد المجلس التشريعي ديرغاوان كمرشح المؤتمر ولكنه لم ينجح هناك أيضاً رغم أنه كان حزب المؤتمر على الحكومة. ولكن علاقته ظلت مع حزب المؤتمر دون تغيير بعده. وفي عام 1976م، تم انتخابه مرشحاً لحزب المؤتمر في مجلس الشيوخ (راجيا سبها) من ولاية آسام، وظل على هذا المنصب عضواً للبرلمان حتى عام 1982م.

تكرم عبد الملك بجائزة "السوفييتي ديش نهرو" عن كتابه "ماجوت ماثون هماليان" أعني في وسط جبل هيماليا فقط (Majot Mathon Himalaya) في عام 1965م، وذلك الكتاب عن الرحلة. وهو كان حائزاً "جائزة ساهيتيا الأكاديمية" عن روايته "أغهارى أتمار كاهيني" (Aghori Atmar Kahini) أي قصة روح الغجري. وفي عام 1976م. كان رئيساً للجلسة الدراسية بمؤتمر آسام ساهيتيا سبها في منطقة تيهو (Tihu). وفي السنة نفسها، تم ترشيحه من قبل الحكومة عضواً لمجلس الشيوخ (Rajya Sabha). وفي عام 1977م، أصبح رئيساً لمؤتمر "آسام ساهيتيا سبها" في امهياپوري (Abhayapuri). شارك في المؤتمر الدولي للأقليات في انجلترا كواحد من أعضاء ممثلين في عام 1981م. وفي السنة نفسها حصل على الجائزة الأدبية والثقافية للهند الشرقية من قبل حكومة ولاية بنغال الغربية. وكما حصل على جائزة بادما شري (Padmasree Award) في عام 1984م. من قبل الحكومة الهندية، ومنحه درجة الدكتوراه في الأدب من جامعة ديبروغاره في عام 1988م. وعيّن رئيس مجلس التنمية في آسام الأقليات مرتين خلال 1985-1986م. و 1993-1999م.، لقد حصل على جائزة آسام اكسبريس لولاية آسام. وفي عام 1994م، حصل على "جائزة وادي آسام الأدبية"، وجائزة "موكتا كانتا". وفي عام 1995م. على جائزة أذان فقير، وفي عام 1996م. و"جائزة الصحافة ضوء القمر". حصل على أعلى تكريم من آسام ساهيتيا سبها "ساهيتياتشاريا" "Sahityacharya" و"جائزة سريمانتا سانكارديفا" (Srimanta Sandkar Dev Award) في عام 1999م.

حدثت صدمة كبرى في حياة هذا الكاتب على وفاة زوجته في 22 ماي في عام 2000م.، ولا يمكنه أن يتحمل هذه الصدمة المفجعة فلفظ هو نفسه الأخير في 20 ديسمبر في عام 2000م. ودفن في مقبرة قريته نهارني في ولاية آسام.

السيد عبد الملك كانسان حقيقي:

كان السيد عبد الملك رجلاً قصيراً. وقال يوماً بخفة الدم أن "هذا الرجل القصير قد ترك وراءه لائحة طويلة من الإنتاج الأدبي الشامل الذي يمكننا أن نرى من خلاله ولاية آسام". كابن للتربة، وهو عمل في حقل الأرز كمزارع وعلى الطريق بوصفه ناشطاً اجتماعياً. كان مشهد فرحة نادرة، نحن نرى هذا الرجل في الكتابة مع القلم،

وفي المشي مع المحراث على كتفه والعمل مع المجرفة. وكان الرجل الذي أحسن دائما بهموم الفقراء والمستضعفين، وقد ذكر أحد أصدقائه المخلصين عن أخلاقه وحلمه أن الفصول الدراسية لعبد الملك التي تكون دائما مليئة بطلابه في المعهد، وأن حذاءه كان في ممزقا لأنه ترك لإخوته الآخرين الحذاء الجيد في المنزل، كان له قلب نبيل يتوق للعمال الفقراء في قريته على مسافة سبعة أو ثمانية كيلومترات الذين استأجرهم لحقوله في القرية فيوفر لهم الوجبات الغذائية لكي يكونوا مرتاحي البال في العمل. لقد كان عبد الملك صاحب مواهب غير عادية لقد كتب عنها الكثير.

كان عبد الملك بلغ التسعين من عمره لكن كان يبدو أنه شاب لم يجاوز التاسعة عشر من عمره. عندما بلغ الثمانين من عمره، أصابه مرض السرطان، ولكنه ظل مشغلا في عمله من دون تعب وإهمال. ولا يزال يعمل رغم مرضه. وغاب للمتعة في الريف بعيدا عن التصنع الحضري. تولى عادة زراعة الأرز وحصادها، والشحن من البرك، وتناول shingeri و chechor (وهي ثمار مائية) من البرك، وجمع الأرز، وخرج للنزهة، وجمع وأكل futuka (ثمرة المرقطة) مع ابنه وبناته وغيرهم من الأطفال من القرية. كان باب بيته مفتوحا دائما للضيوف الذين كانوا مشتاقين للحديث معه بروح الفكاهة.

كان عبد الملك نفسه حريصا جدا على الترحيب بالضيوف واستقبالهم. كان يحب ان يكون منزله دائما مملوءا بالضيوف والأقارب والزائرين من أنحاء آسام. عندما ينظر بيته خاليا عن الضيوف يقلق. وكان من عاداته زراعة النبات والأشجار المتنوعة في قريته التي قد احتضنها. كما كان يقول في بعض الأحيان إن قرية عبد الملك هي مكة ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومدينته لندن ومدينته بوسطن. وكان لديه علاقة عميقة مع قريته نهاراني وأظهر إرادته أن يكون قبره في هذه القرية.

خلال حركة آسام في عام 1982م. من قبل اتحاد الطلبة لعموم آسام (AASU) كان عبد الملك استنفد عقليا لأنه كان من المفترض أن يكون اتهم بأنه ضد الحركة. وكانت جريمته في التحدث والاختلاط مع الرجال الذين هو كانوا أحب الرجال، ولكن الذين كانوا يعتبرون ضد الحركة أعطيت ثمن رأسه 500 روبية ولاغير. قال عبد الملك بخفة دم: "لا أحد سيأتي لاتخاذ مثل هذا الرأس الرخيص".

كتابة عبد الملك:

هومين برغوهاي، الصحفي الكبير والمفكر الشهير من آسام نادى عبد المالك بالشاعر. ولكن عبد الملك نفسه يقول: "في الواقع، أنا لست بشاعر. ولكن قريحتي أحيانا جاشت فقلت الشعر". مهما يقول عبد الملك عن هذا ولكن الدكتور ناغين سيكيا، التربوي البارز من ولاية آسام يقول أيضا أنه مما لا شك فيه أنه شاعر. النثر الشعري له هو النداء الشعري من رواياته وقصصه القصيرة التي تمتد من البداية إلى النهاية. الدكتور ماهيندرا بورا، الأديب الشهير أيضا ذهب إلى هذا الرأي: "كثير من الناس لا يعرفون أن عبد الملك هو أيضا شاعر. في الواقع الشاعر عندما يكتب، قصة أو رواية، فإنه لا يعرف نفسه أن قصيدته وكتابته تدل كالشعر". يقول الدكتور ناغين سيكيا أيضا إذا أراد أحد أن يفهم كتابات عبد الملك فينبغي له أولا أن يفهم هذه القصائد الخالدة: "مور سرغا" (جنّي)، "أماك كوني ماري"؟ (من يقتلنا؟)، و "موي أسومييه (أنا آسامي)" وغيرها حيث يظهر له الحب والوعود

من قلبه، وبلاده وطبيعته وحساسيته الشعريّة.

قد نالت إسهاماته الأدبيّة الأساميّة إعجاباً وقبولاً عند الأوساط الأدبية في ولاية آسام من ستين سنة. يوجد هناك مصدر التعلم والتغييرات على الحياة الاجتماعيّة من آسام خلال السنوات الماضية في كتاباته التي قد تساعدنا في فهم المجتمع الحاضر لولاية آسام. يقول عبد الملك في كتابته الأدبية: "لقد تفقت في سياق التجارب الابتسامة والبكاء، أصبت إنجازاً بعد الخسارة، وخبر الابتسامة والبكاء." هذا تصريح عبد ملك عن نشاطاته الأدبية في الواقع، يمكننا أن نقول أن عبد الملك هو معمار الأدب الأسامي الذي له إحساس عن لغة حياة المظلومين والفقراء وعامة الناس. وله جميع صفات الكاتب الناجح لتصوير الصورة الحقيقية للحياة والمجتمع الذي احتل على مكانة مرموقة في مجال الروايات والقصص القصيرة في آسام.

اسم السيد عبد الملك سيكون في صدور الأنااس الأساميين كصورة الخضرّة الدائمة، خاصة لقصصه مثل "بعد إدراك الحياة" (Praan Powar pichat) و"كات فولاً" (Kathphula) ولرواية غير عادية مثل "سورجا موخير سابنا" (Surujmukhir Svappna) وغيرها.

لقد أثرت إسهاماته الأدبية في قلوب الأساميين ثابتة ودائمة ولا يمكن أن يلغى من قلوب الأساميين في المستقبل. إن الشخصيات والموضوعات في رواياته وقصصه القصيرة ولغته بسيطة وهي قابلة للقراءة لعامة الناس. الشخصيات في رواياته حقيقة أو غير حقيقة هي لايلاحظ القارئ ولكنهم يحبون منهجه البسيط. بعد ذلك، إنه سيقود القراء مع نظيره العفوية واللغوية السحرية، التي تعد واحدة من صفات شعبيته. في معظم الأحيان وهو يشكل في كتابته مشكلة اجتماعيّة أو شخصية متناقضة في كتاباته بروح الدعابة. لكن الجاذبية الأولى للقراء هو لغته البسيطة، والنكتة وتكوين الجوّ المناسب.

كان عبد الملك انساناً ملتزماً، وفوق كل تعقيدات الحياة الذي يمكن أن يسمى "الكبير" من ولاية آسام. كان دينه "دين إنساني" كان يحترم الإنسان لكونه إنساناً مهما كانت عقيدته أو نظريته سواء كان مسلماً من المسلمين أو هندوسياً من الهندوس، جمع "ذكر" لأذان الفقير، وكتب أول رواية السيرة الذاتية عن حياة مؤسس الفكر والثقافة في آسام سريمانتا سانكرديف (Srimanta Sankardev). الذي كان يتمتع بالمكانة والحب والتكريم في كل من المسجد والكنيسة والكاتدرائية والمعبد الهندوسي أيضاً. السيد عبد الملك يمثل الحياة والثقافة لأراضي آسام والأساميين. وهو كان من أعظم كتاب النثر والأدب في آسام. انعكست في رواياته وقصصه القصيرة الحياة الخالدة بشكل واضح تقوم في المنطقة الشرقية جنوباً إلى جنب مع حياة شمال شرق الهند. يوجد له أكثر من ستين كتاباً منشوراً وغير منشور. وفي التالي قائمة لأعماله الأدبية والعلمية في المجالات المختلفة:

روايات عبد الملك:

1. أغني غرهبا (Agni Garbha) 1971 م.
2. أغهار أتمار كاهني (Aghari Atmar Kahini) 1969 م.
3. أكتهي أسربا (Akathya Asrabya) 1980 م.
4. أمار مايا (Amar Maya) 1970 م.

5. أن أكاش أن تارا (Anno Akash Anno Tora) 1962م.
6. أرنا ديوتا (Arannya Devota)
7. أدهارشيل (Adharshila) 1960م.
8. أبون أبون شارغا (Apon Apon Sharga) 1998م.
9. بهوت بيدونا يتوبال تشاكولو (Bahut Bedona Atopal Chokulo)
10. باندر كاميز تشولا (Bandar Kamiz Chola) 1991م.
11. بانجوي (Ban Jui) 1942م.
12. بالير بكور شونور تشيكورا (Balir Bukur Sonor Chekura) 2000م.
13. بها متيكار فول (Biha Metekar Phool) 1969م.
14. بورا ناور بتارا (Bura Naor Batora)
15. تشابي غهار (Chabi Ghar) 1958م.
16. دهونيا نراتنوبهال 1987م.
17. دوكمكالي (Dokmokali) 1972م.
18. دكتور أرونا بهار أشامبرنا جيباني (Doctor Arunavar Asumpurna Jivani) 1957م.
19. إكا بكا براتا (Eka Beka Bratta) 1957م.
20. اتا دهومكتور شراسجا (Eta Dhuketur Sarasajja) 1987م.
21. اتا سورجا، دوخان نادي اروا خان مروبهومي (Eta Surja, Dukhan Nadi Aru Ekhon Morubhumi) 1972م.
22. غاتهنيت تيجار كيرول (Gathonit Tajor Kerol) 1988م.
23. جايا، مانیکا اتيادي (Joya Manika Ettyadi) 1968م.
24. جيتوكا باتر داري (Jetuka Patar Dari) 1973م.
25. جيا جورير غهات (Jiya Jurir Ghat) 1986م.
26. كابيتار نام لاها (Kabitar Naam Lava) 1956م.
27. كانتها هار (Kantha Har) 1960م.
28. كيبيل بريميري جادي (Kebol Premerei Jodi) 1985م.
29. خورا نيدان (Khura Nidan) 1971م.
30. ماي ماريبونيجانو كيون (Moi Maribo Nejano Kio) 1997م.
31. مي بروستاب كارو جي (Mao Prastab Karo Je)
32. مانوساتر مريسالي (Manosattar Morisali) 1994م.
33. مرامر ماجاور سيجي دهوبوري (Moromor Major Siji Dhuburi) 2000م.

34. ماتير كاكى (Matir Kaki) 1959 م.
35. ماوميتها ريدايار بهاشا (Mou Mitha Hridayar Bhasa) 2000 م.
36. مورباي نروبامالوتي فول (Mor Babe Noroba Maloti Phool) 1966 م.
37. موني كوني دهاكا كاك (Moni Kuni Dhaka Kaka) 1994 م.
38. ماو ديمورور كوك (Mou Dimorur Kokh) 1985 م.
39. نال برينا خاغوري (Nol Birina Khagori) 1973 م.
40. نيجارار بكوت جالا جوير شيخا (Nijarar Bukut Jala Juir Sikha) 1998 م.
41. نسونا موبيار غيت (Nosuna Moupiyar Geet) 1985 م.
42. امولا غهارار دهولي (Amola Ghorar Dhuli) 1940 م.
43. بهومارا هير بات (Bhumara Habir Paat) 1973 م.
44. فاغونر شيش هاهي (Fagunar Sesh Hahi) 1984 م.
45. براتشير ارو برانتار (Prachir Aru Prantor) 1968 م.
46. فلاني باريت بزار بات (Phoolani Barit Bazrapat) 1996 م.
47. بران سامودرا (Pran Samudra) 1972 م.
48. رجاني غاندهار تشاكولو (Rajoni Gondhar Chakulo) 1964 م.
49. راتهار تشاكاري غهوري (Rathar Chakuri Ghure) 1958 م.
50. راتير كابيتا (Ratir Kabita) 1950 م.
51. روبا بارير بلاس (Rupa Barir Palash) 1980 م.
52. روب ترتهار جاتري الجز-1,2,3 (Rup Tirthar Yatri) 1965 ، 1963 ، 2000 م.
53. سامبردهانا (Sambhardhana)
54. سريرت اكورا جوي (Hariarat Ekora Jui) 1970 م.
55. شتار باتهيري شانتير راتهيري موكتير جيئاترا (Sattyar Pathere Santir Rathere Muktir Joy Yatra) 1993 م.
56. سيباري بران سمودرا (Hipare Pran Sumudra) 1972 م.
57. سمريتريخا (Smritirekha)
58. سونالي اندهار (Sonali Andhar)
59. سونالي سوتاري باندھا (Sonali Sutare Bandha) 1972 م.
60. سوميرو كوميروارو يتا باهي (Humero Kumero Aru Eta Bahi) 1986 م.
61. سروجاموخير سابنا (Surjamukhir Sapna) 1960 م.
62. ساتي ناك ساترار بهاشما (Swati Nak Hatrar Bhasma) 1988 م.

63. تيرتها جاتري (Tirtha Yatri) 1946 م.
64. تريسول (Trisul) 1968 م.
65. اومياتي أهارغان (Ubhati Ohar Gaan) 1989 م.
- مجموعة من القصص القصيرة:
 1. ألانكار (Alankaar)
 2. أندهاكوب (Andha Kup) 1977 م.
 3. أريهانا (Arihana) 1996 م.
 4. استهاي اروانترا (Isthai Aru Antara) 1965 م.
 5. أبرتا (Abarta) 1978 م.
 6. بيباتشا بيدانا (Bibatsa Bedona) 1978 م.
 7. ساي ارو فرينغاني (Sai Aru Firingoni)
 8. سي نامبار براسنار أثار (Soy Namber Prasnar Uttar)
 9. ايخان نليخا تشيتير خاتخي (Ekhon Nilikha Chithir Kahtakhon) 2000 م.
 10. ايجاني ناتون سوالي (Eijoni Natun Sowali) 1951 م.
 11. هاهي ارو تشاكولو (Hahi Aru Chakulo) 1987 م.
 12. هاهيري تشاكولو دهاكي (Hahire Chakulo Dhaki)
 13. مراها بابوري (Moroha Papori) 1954 م.
 14. مرام مرام لاغي (Marom Marom Lage) 1961 م.
 15. مريغانابي (Mriganavi) 1989 م.
 16. براشمانى (Parashmani) 1946 م.
 17. بورا غاوت باهيلا بهاغ (Bura Gaot Pahila Bohag) 1986 م.
 18. برانادهيك (Pranadheek) 1986 م.
 19. رانغا غرا (Ranga Gora) 1943-44 م.
 20. سيخاري سيخاري (Hikhore Hikhore) 1963 م.
 21. سيل ارو سيخا (Sil Aru Sikha) 1962 م.
 22. تني تشاكيو غاري (Tini Chakio Gari) 1984 م.
- أعمال البحوث:
 1. اسامت موسلمان (Asomiyat Musalman)
 2. اساميّة بهاسات مادهايا براتشا ارو أثار بهاراتر سابدا سمريدهي (Asomiya Bhasat Madya Prachya)
- 1988 م. (Aru Uttar Bharatar Sabda Samridhi)

3. سابداسمبهار (Sabda Sambhar) 1988 م.
4. اساميا ذكرارو جاري (Asomiya Jikir Aru Jari) 1990 م.
5. اذان فكيراو سورييا ذكر (Azan Fakir Aru Suriya Jikir) 1988 م.
6. صوفي ارو صوفي باد (Sufi Aru Sufibad) 1975 م.
7. دبارا خيام ناهال (Duwara Khayam Nahal) 1979 م.
8. جيوار ساراتهي نام (Jior Sarathi Naam)
9. ريجار موخر مات (Rajar Mukhar Maat) 1988 م.
10. سانكرديف ارو اسومر سانسكريتي (Sankardev Aru Asomor Sanskriti) كتابات الرحلة:
1. بالي بيلي اروجام جام (Bali Beli Aru Jom Jom) 1995 م.
2. ايتا تشيناكي ديبارتاتريخا (Eta Chinaki Dinar Tatrekha) 1990 م.
3. ماجت ماتهن هيمالايا (Majot Mathon Himalaya) مسرحيات عبد الملك:
1. او مار ابونار ديش (O mor Apuna Desh)
2. انكور (Ankur)
3. انيا ايجاني ساكونتالا (Annya Ejoni Sakuntala)
4. ادها انكا سوبي (Adha Oka Sobi) 1952 م.
5. اذان فكير (Azan Fakir)
6. ألاهي غهار (Alohi Ghar)
7. تشير كومار سابها (Chirokumar Sabha)
8. دورار ديبوتا (Durar Devota) 1948 م.
9. غهاريتو غهاريتو (Gharito Gharito)
10. جاغارا ماندالار بريمايهاني (Jagora Modalar Premabhinay)
11. جاناتا باده (Janata Badh)
12. جوارار دهاو (Jowaror Dhou)
13. كاته فوللا (Kathfula)
14. خان بهادور (Khan Bahadur)
15. ماكارا جال (Makara Jaal) 1964 م.
16. ميرى جورى (Miri Jiori)
17. برتهام برانام (Pratham Pranam)

18. راج دروهي (Raj Drohi) 1957 م.

19. تيجيمالا (Tejimala)

20. تيجيبيار غوهانير الي (Tejia Gohainir Ali)

21. جوجاك (Jujak)

22. جوغاردابي (Jugar Dabi)

السيرة الذاتية:

1. مور جيبانار اغي بيتشي سوي باوي سيد عبد الملكر ابراكاسيت راتشاناولي اروديري (Mor Jibanar Age)

(Piche Hoe Bae Syed Abdul Malika Aprakasita Resanawali Aru Dairi)

2. مور جيبانار ناهلبور (Mor Jibanar Nahalbor) 1990 م.

مجموعة الأغاني:

1. تومار كانتها مور كانتها (Tomar Katha Mor Katha)

كتابته المضحكة:

1. جليبي (Jibepi) 2002 م.

2. خريكي (Khiriki) 1995 م.

3. ميتها تينغا جالا- كهيا- تيتا (Mitha Tita Jala Keha-Tita)

شعر عبد الملك:

1. بيدوين (Bedwin) 1948 م.

2. سانداهارا ساندا (Sandahara Sanda)

3. سانداهين ساندا (Sandahin Sanda) 2001 م.

4. سابنا دوسابنا اروا كيسو كاتها (Sapna Du sapna Aru Kisu Katha)

أدب الأطفال:

1. أغولي بيتشالي تالولي اوبرلوي (Agoloi Picholoi Taloloi Uparaloi)

2. ايخان سونالي دوار (Ekho Sonali Duar)

3. قرآن شريف سادو (Quran Sharif Sadu) 1975 م.

4. موكالي مانار سادو (Mukali Monor Sadu) 1979 م.

5. نانان فولركاراني (الشعر) (Nanan Phular Karani) 1995 م.

أدب الترجمة:

1. ارانا ديبوتا (ترجمة من "بين" لكون هامسون)

2. أكوركايني (ترجمة من اللغة السين للو. تشون)

3. بهاراتيا سيخار بونرغاتان (ترجمة من د. ذاكر حسين)

4. بانغباري (ترجمة من رواية اللغة المراتمية)
5. تشيرا كومار سامها (ترجمة من مسرحية بانغال لربندراناته تاغور)
6. سلام نتوربريتيوي (ترجمة من الشعر اردية لعلي سردار جافري)
7. غاليب (ترجمة من د. مجيب الرحمان مرجا)
8. إقبال ارو جاتيوسامهاتي (ترجمة من كتاب لمظفر حسين)
9. سرداس (ترجمة من كتاب اللغة الهندية)
10. تيرتها جاتري (ترجمة من رواية جون بويار)

المراجع و المصادر

1. Choudhury Mrinal, Mohajiwanor Mahanayak: Syed Abdul Malik, Dr. Satyendranath Sarma, Mangaldai, (2010), Asamiya Upanyasar Gatidhara, Guwahati, 2002
2. Gogoi Borgohain Mamoni , Malik: A Writer Par Excellence. In H.C. Hazarika (Ed) Sahityaacharya Syed Abdul Malik Abhinandan Grantha, Guwahati, 1999.
3. Hazarika Hemen Chandra , Sahitya Acharya Syed Abdul Malik Abhinandan Grantha, Guwahati, 1999.
4. Pradhani Mir Jahan Ali, Malik: The Humanist, Northeast Indian Publication, Dhubri, 2011.
5. Idid, p. 38-42.
6. Idid, p-61,62
7. Idid,p-69-73
8. Idid, p-86-89
9. <http://www.nvcc.edu/home/ataormina/novels/history/origin.htm>
10. <http://www.assaminfo.com/famous-people/35/syed-abdul-malik.htm>
11. <https://abhikipedia.abhimanu.com/Article/State/NTEyNDkEEQQVV/Syed-Abdul-Malik--Assam-State>
12. <https://www.indiaonline.in/about/personalities/writersandpoets/syed-abdul-malik>

الشيخ ميرك شاه الأندرابي الكشميري حياته وإنجازاته العلمية



د. عبد الملك الرسول فوري

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية،

كلية ذاكر حسين دلهي، جامعة دلهي

Email: malikqasmi@gmail.com

Abstract: The paper discusses about the life and services of Sheikh Mukhtarullah Meerak Shah Al-Andrabi, a great man of the twentieth century. He was a towering personality who earned by his exemplary interest and sound capabilities in the fields of Islamic sciences and Arabic literature. He earned a great fame in literary society of his time. The paper consists of what the Sheikh had done in terms of intense efforts and outstanding services in preaching Islam, promoting the Arabic language, and spreading Islamic spirit for the benefit of Islam and the Muslims. It focuses on his literary works: prose and poetry, especially on his sound abilities to compose Arabic poems which reflects his extraordinary characteristics and progressive thoughts.

Keywords: Merk Shah Al-Andrabi, Arabic poetry in Kashmir, Shuddhi movement, Muheetu-al Daiyrah.

الملخص: المقال ينص عن حياة الشيخ مختار الله ميرك شاه الأندرابي وخدماته، إنه كان رجلاً فذاً رضع بلبان العلم والمعرفة، وحصل عن كد ساعده على كفاءة بارزة في الثقافة الإسلامية ولا سيما العربية، وتبوأ على مكان كعوب، كان قد يشار إليه بالبنان. وقد ضمن فيه أكثر ما قام به الشيخ من مجهودات كثيفة وخدمات بارزة في سبيل توسيع رقعة الدين الإسلامي وترويج اللغة العربية وتجميع القوى الإسلامية لصالح الإسلام والمسلمين. كما في المقال تركيز على أعماله الأدبية من حيث النظم والنثر وخاصة على كفاءته البارزة في قرض القصائد العربية وما تحوي من ميزات بارزة ومعاني ممتازة. ولا تنسوا أن زمن الشيخ الحيوي يرجع إلى العشرينيات من القرن العشرين.

كلمات مفتاحية: ميرك شاه الأندرابي، الشعر العربي في كشمير، حركة شدي، محيط الدائرة.

المدخل: الشيخ مختار الله المعروف بميرك شاه الأندرابي كان رجلاً فذاً، ذا كفاءة عالية. كان قد رضع بلبان العلم والمعرفة، فكان يجنح إلى الدراسة الإسلامية منذ أن تفتحت مدارك ذهنه وعقله، ثم سنع له أن يتلمذ على كبار الأساتذة في جامعة ديوبند فسعد بمصاحبة الشيخ أنور شاه الكشميري الذي كان من أبناء جلدته وتعلم لديه الشعر والأدب حتى أصبح بارعاً في علم العروض وفن النظم وقرض الشعر. وكذلك عمل مفتياً في جامعة ديوبند وأفاد الناس في مجال الفقه الإسلامي. وأدى دوراً ريادياً في كبح جماح حركة "شدي"، وأصبح سداً منيعاً لصيانة

المسلمين السذج من عواصف الردة، سواء في منطقة آغرة ومناطق أخرى في ولاية كشمير.

أسرته: تنحدر أسرته من منطقة "أندراب" ببلدة أفغانستان، من حيث هاجر أحد أجداده الشيخ السيد أحمد الأندرابي ابن أخت الميرسيد علي الهمداني - أحد الأئمة الأقدمين من سلالة الإمام حسين بن علي (ع) - في حين قصد الهمداني بلاد كشمير عام 780 هـ². ومكث الشيخ الهمداني في المنطقة عدة سنوات يدعو الناس إلى الامتثال بأوامر الله سبحانه وتعالى واتباع نبيه (ص)، ثم عاد إلى مسقط رأسه عام 786 هـ، تاركاً وراءه كثيراً ممن اصطحبه في السفر دعاءً وهداةً. فكان من بين الدعاة الذين بقوا في المنطقة الشيخ السيد أحمد الأندرابي الذي أقام في حارة "ملارته" لمدينة سري نغار، حيث بنى لنفسه زاوية وبدأ منها بنشر الدعوة الإسلامية في المنطقة.

وفي الجيل السابع عشر لأسرة الشيخ السيد أحمد الأندرابي ولد الشيخ ميرك شاه الأندرابي لأبيه الشيخ سيد شاه مصطفى الأندرابي، في شهر صفر المظفر عام 1306 هـ الموافق لشهر أكتوبر عام 1888 م. ولما أن أحد أجداده المسمى بـ "سيد محمد ميرك شاه الأندرابي" كان قد توفي في السنوات الماضية بنفس الشهر، سمي الوليد بميرك شاه" تذكراً لذلك الجدّ وتفاؤلاً به.³ فالشيخ كشميري صميم من حيث المولد، أما ما يقال له أندرابي، فهو نسبة إلى مدينة "أندراب" في بلدة أفغانستان حيث كانت الأسرة تقطن في الأزمنة الغابرة.

دارسته: ورث الشيخ تربية حسنة، حبّبت إليه الصلاح والتقوى كما حبّبت إليه العلم والثقافة. فما إن تفتحت مدارك ذهنه حتى عكف على القراءة والدارسة وحصل على مبادئها ثم بدأ في حفظ القرآن واكتنف له نابذا جميع دراساته وقراءاته وراء الظهر؛ إلى أن انتهى منه في سنة 1904 م، وسنه لم تتجاوز السادس عشرة من عمره.

كان الشيخ مولعاً بالعلم والثقافة، فلم يكن يدخر في الحصول عليه أيّ وسع، ولم يكن يضع أي وقت من وقته سدى، فدائماً كان يرى منكبا على الكتب أو ذاهباً إلى أستاذ متأبطاً أي كتاب. حتى كان يستقيظ مبكراً في الصباح ويذهب إلى أستاذ آخر بقرية تبعد من قريته زهاء سبعة كيلومترات. فأخبر أهالو القرية جدّه أن الخروج لمثل هذا الولد الصغير في الهجيع الأخير من الليل لا يخلو عن خطر، فأشفق عليه جدّه. وسأله عن الأمر فرد عليه بأنه يذهب إلى المسجد فحسب، فقال له إذن لا تأخذ الكتب، ففصل الدفاتر عن الكتب وأخذ يذهب بها مختفياً، حتى فشا سرّه وباح أمره، فأشار أهالو القرية على جده أن يزوجه لئلمنع زوجته عن الخروج في الصباح الباكر. فأخذ جدّه

¹ وهي منطقة معروفة تقع بين غزني وبلخ، وبها تذاب الفضة المستخرجة من معادن بتجوير، ومنها تدخل القوافل إلى كابل ويقال له "أندرابة" وهي مدينة حسنة نسبت إليها جماعة من أهل العلم (ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ج 260/1).

² أوضح الدكتور مظفر في كتابه "أمثال كشمير" أن الشيخ هاجر إلى كشمير عام 773 من الهجرة؛ إلا أن الأستاذ المؤرخ شمس الدين أحمد أكد في تذكرته للشيخ الهمداني بأنه قدم كشمير لأول مرة في سنة 780 من الهجرة (أ. شمس الدين، شاه همدان حيات اوركارنامي، ط: غلام محمد ايند سز بك سيلرز 1995 م، ص: 880).

³ محمد نذير رانجها، تذكره علماء أهل سنت وجماعت (بنجاب)، ط: دار الكتاب لاهور، 2009 م، ص: 429/2.

مشورتهم بالاعتبار وزوجه بفتاة لأحد أقربائه الشيخ سيد محمد مقبول الأندراي. ولم يكن السيد يرى إلا خمسة أو ستة عشر ربيعاً من عمره؛ إلا أن هذا الطوق المذهب لم يستطع أن يمنعه من الدراسة.

فبعد أن حفظ القرآن الكريم، بدأ في دراسة العلوم الآلية وتلمذ على زوج أخته السيد أحمد سعيد الأندراي "الصرف الهوائي"، و"خلاصة الكيداني"، كما درس "كريما سعدي" باللغة الفارسية على يد والده. ثم ارتقى في دراساته ودرس الكتب المتوسطة في الصرف والنحو والمنطق والفلسفة والفقه والأصول والمعاني بالإضافة إلى الحديث والتفسير على كل من الشيخ أحمد سعيد الأندراي والمفتي محي الدين الفتح كدمي والشيخ محمد حسين الوفائي، وجمعهم درّسوه بالتركيز الخاص والحنان المتزايد، حتى فاز في جميع العلوم والفنون بدرجة ممتازة.¹

بينما كان الشيخ كذلك إذ سمع أن العلامة محمد أنور شاه الكشميري المحدث بجامعة ديوبند قد زار قريته "درنو" في وادي "لولاب" فعزم على لقائه وحضر في حضرته، فتوسم العلامة الكشميري في شيخنا الأندراي الذكاء والولوع بالعلم، فنصحه بالالتحاق بجامعة ديوبند والحصول على الدراسات العالية. فمع أن الخروج من القرية في مثل تلك الأوضاع المختلفة كان تعرضاً للخطر والهلكة؛ إلا أنه لشدة ولوعه بالعلم وسعادته بحنان العلامة المواسي وحب الخالص، انطلق من قريته مولياً وجهه شطر الجامعة الإسلامية دارالعلوم بديوبند بمرافقة المير واعظ الشيخ يوسف شاه الكشميري. والتحق بها وانضوى إلى الصفوف العلمية حتى قضى في رحابها زهاء سبع سنوات. وتلمذ على العلامة الكشميري² كما تعلم لدى الأساتذة الآخرين ودرس فيها ما درس، وأخذ فيها ما أخذ إلى أن تخرج في الدراسات الإسلامية عام 1336 هـ الموافق 1918 م³ وأحرز له كفاءة أكسبته التقدم عند الأساتذة وأولي العلم والمعرفة.

وقد أشار عليه بعض من أساتذته المحبين أن ينتسب بجامعة بنجاب بمدينة لاهور ويحضر في اختبارات "المولوي فاضل" والمنشي الفاضل". فأخذ نصيحتهم وسجل نفسه فيها ونجح في اختبارات "المولوي الفاضل" بدرجة ممتازة أولى في الجامعة كلها وفاز بميدالية ذهبية، ومنحة مالية تعادل ثلاثين روبية شهرياً لسنة كاملة. ثم في سنة 1920 م حضر في اختبار "المنشي الفاضل" وفاز به بامتياز.⁴

شغله التدريسي: بعد التخرج في جامعة ديوبند بدأ الشيخ في التدريس والتعليم، فقدم خدماته في المدرسة الإسلامية بمديرية درهناك بولاية بهار، إلى أن تم تعيينه في جامعة ديوبند عام 1922 م.⁵ وما إن تولى منصبه في

¹ محمد نذير انجها، تذكره علماء اهل سنت وجماعت (بنجاب)، ص: 429/2.

² سيد أحمد رضا البجنوري، أنوار الباري شرح أردو صحيح البخاري، ص: 436/2.

³ تقرير سنوي لفعاليات جامعة ديوبند. سنة 1336 م، ص: 251.

⁴ محمد نذير انجها، تذكره علماء اهل سنت وجماعت (بنجاب)، ص: 431.

⁵ تقرير سنوي لفعاليات جامعة ديوبند. سنة 1341 م، ص: 40. - د. محمد الله، جامع ومختصر تاريخ دارالعلوم، مكتبة دارالعلوم، ص: 633.

قسم الإفتاء بجامعة ديوبند؛ حتى بدأت حركة "شدهي" [حركة الردة] التي شنتها منظمة آرية سماج تُرسى جذورها في منطقة آگره. زحف إليها علماء ديوبند لينقذوا المسلمين السذج من الوقوع في حبال الحركة. فأنشأت الجامعة مركزا بمدينة آگره وولت مسؤوليته إلى الشيخ ميرك شاه الأندرابي، أستاذ في جامعة ديوبند، فكان يبعث الدعاة في ضواحي المدينة حيثما تمس بهم الحاجة وكان يتعهد بأمورهم.¹

ولا يُعلم كم سنة قضى الشيخ في جامعة ديوبند؛ إلا أن الدكتور مظفر حسين صرح في كتابه بأنه استقال من وظيفته في جامعة ديوبند حينما استقال منها أستاذه العلامة الكشميري عام 1928م. فغادرها الكشميري إلى الجامعة الإسلامية ببلدة دابيل بغوجرات، وانضوى الأندرابي إلى المدرسة الإمدادية بمدينة مرادآباد كأستاذ ومفتٍ للمدرسة.²

ثم نجد أنه اشتغل كأستاذ بدارالعلوم بمدينة مئو في سنة 1938م. وربما كان يجب على استفتاءات تُقدّم إلى الدار. ففي مجموعة الفتاوى التي طبعها الدار، نجد له فتوى، كما نرى في بعض الفتاوى توقيعاته المؤيدة. فمرة أجاب على سؤال لتعليق التميمة الدعائية في العنق. فنجد في نهايته عبارة: "أجاب وكتبه بقلمه الملتحي مختار الله، المدعو بميرك شاه عفا الله عنه وعافاه. دارالعلوم مئو، أعظم جراه. 1358/7/25 هـ مطابق: سبتمبر 1939م".³ ولا يعلم إلى متى مكث الشيخ في رحاب هذه الدار.

وكذلك تدل المصادر على أنه عمل كأستاذ بقسم اللغة الفارسية بكلية لاهور الشرقية عام 1943م، ولم يزل يشغل هناك إلى أن تقاعد عن عمله عام 1958م.⁴

خدماته كداعٍ ومنقذ من الردة:

عندما ثارت فتنة الردة من على منصة حركة "شدهي" التي شنها السوامي ديانند سرسوتي، نشطت المنظمات الإسلامية لمقاومة هذه العاصفة، وكبح جماحها. فزحفت جامعة ديوبند التي أسست لصيانة الديانة الإسلامية، والذود عن حماها، وهي كانت على رأس المنظمات، وكوّنت جبهتين جبهة لإعداد الدعاة والمبلغين، وتزويدهم بكل المعلومات التي تساعد في المناقشة مع الآرية سماجيين. وجبهة أخرى لاقتحام المنطقة التي وقعت تحت تأثير هذه الحركة، وهي مديرية علي گر، وآگره وگورگاؤن، وساندهن واجنهيرو.⁵ فبدأت الجامعة تبعث الوفود والبعثات لإرشاد الناس إلى تعاليم الإسلام وحثهم على التوبة، وإنقاذهم من براثن الحركة. والبعثة الرابعة من

¹ سيد محبوب رضوي، تاريخ دارالعلوم ديوبند جلد اول، 1977ء، ص: 264.

² د. مظفر حسين، أمثال كشمير، ط: بيت الحكمة الندوية، سرينغر، 2004م، ص: 351.

³ فتاوى دارالعلوم مئو، ص: 261.

⁴ د. منير أحمد سليج، وفيات أهل قلم، ط: أكاديمي أدبيات باكستان، ص: 456.

⁵ وثائق عن قسم الدعوة والتبليغ لجامعة ديوبند، لسنة 1341هـ، ص: 5.

بين هذه البعثات كانت تتضمن أحدا وعشرين داعيا وهي التي تحركت من جامعة ديوبند في السابع عشر من شهر شعبان المعظم عام 1341هـ وعيّن الشيخ ميرك شاه الأندرابي على رأس البعثة، وفوضت إليه مسؤوليات جميع الخدمات في المنطقة، فما إن وصل الشيخ إلى مدينة آگره أنشأ هناك مكتبا خاصا لقسم الدعوة والتبليغ لجامعة ديوبند، وتولى مقاليد أموره وأخذ يرسل البعثات إلى القرى والأرياف التي تأثرت بحركة شديهي أو كادت أن تتأثر.¹ فإثر هذه المجهودات الدعوية رجع كثير من المسلمين السذج الذين كانوا قد وقعوا تحت تأثير الحركة وارتدوا عن دين الإسلام إلى حظيرته وتابوا على يد الشيخ ميرك شاه الأندرابي توبة نصوحا.² ومع رجوعهم، أسلم كثير من الهنادك الذين كانوا يعبدون الآلهة والأصنام متأثرين من خطب الدعاة المبعوثين من جامعة ديوبند ودخلوا في حظيرة الإسلام. ورئيس هذه البعثات الشيخ ميرك شاه الأندرابي كثيرا ما كان يذهب إلى القرى والأرياف ليستطلع أحوال سكانها، فكان يناقش مع الأريائين ويرشد المسلمين السذج إلى دينهم الأصيل ويبني هناك مسجدا وينشئ كُتّابا أو مدرسة حسب ما يقتضي بها الحال.³ هكذا أسست زهاء ثلاث وثلاثين كُتّابا ومدرسة في المنطقة لتمحو الأمية وتُعلّم الناس الدين الإسلامي وترشدهم إلى تعاليم الإسلام.⁴ وقد أشيد بهذه الخدمات للبعثات الدعوية من قبل جميع الأوساط الإسلامية في الصحائف والرسائل الواردة في جامعة ديوبند ولا يسعنا هنا المجال لنقلها.

براعته في علم الطب: بجانب تمكنه من الدراسات الإسلامية وتضلعه في الآداب العربية، كان الشيخ مولعا بعلم الطب بالعقاقير والأعشاب، وكسب فيه براعة، فربما كان يشغل به ويعلمه الآخرين. فخلال مكوثه في مسقط رأسه "سوبور" كان يلقي على كل من كان يرغب في علم الطب دروسا من كتاب القانون، فيوجد بين تلاميذه في هذا الفن أطباء مهرة، ووصفاته الطبية كانت تكون ذات أثر خاص.⁵

خدماته الاجتماعية: إن الشيخ أنشأ مؤسسة في بلده "سوفور" باسم "انجمن معين الإسلام". وخطط لإنشاء جامعة كبيرة فيها؛ مع أن أشغاله الأخرى حالت دون تجسيد هذه الخطة. فلولم يستطع إقامة جامعة كبيرة، لم يعجز عن إنشاء المدارس والكتاتيب لتعليم الولدان في بلده وضواحيها من منبر هذه المؤسسة. ففضل بناء "المسجد الجامع" و"مصلى العيد" و"مدرسة تعليم الإسلام" في البلدة، كله يرجع إلى الشيخ نفسه.⁶ وكذلك أنشأ مدرسة ابتدائية في قرية "مركوت" وظل يرعاها حتى ارتقت المدرسة إلى معقل عظيم للدراسات الإسلامية، ومن هنا تاب كثير من المرتدين ورجعوا إلى الديانة الإسلامية من جديد. ومن كتاتيب هذه المؤسسة مدرسة في قرية

¹ وثائق عن قسم الدعوة والتبليغ لجامعة ديوبند، لسنة 1341هـ، ص: 8

² نفس المصدر، ص: 12

³ نفس المصدر، ص: 13-15

⁴ نفس المصدر، ص: 10

⁵ محمد نذير انجها، تذكره علماء اهل سنت وجماعت (بنجاب)، ص: 432.

⁶ نفس المرجع، ص: 433.

"بدون" التي كانت تسعى وراء رقي المسلمين في المنطقة دينيا وخلقيا واقتصاديا. وله قصة في قرية "زكور" التي كان أهالوها لا يهتمون بالأمور الدينية؛ حيث كانوا يأكلون الموتى، فمرة مرض أحد منهم وسمع ذؤوه عن وجود الشيخ في القرية، فهرعوا إليه للعلاج، هكذا سنحت للشيخ فرصة ما سنحت ليوسف عليه السلام في غياهب السجن، فألقى عليهم خطبة دعوية أثرت في نفوسهم تأثيرا أقنعهم للرجوع إلى الديانة الإسلامية وتطبيق أحكامه في المجتمع، فتابوا وأسلموا من جديد.¹

تحمسه لتحرير كشمير:

كان الشيخ قد تلمذ على العلماء الذين مع تدريسهم للعلوم الإسلامية في الكتاتيب والمدارس كافحوا ضد الإنجليز مكافحة لم يدخروا فيه أي وسع. فإن الشيخ الأندي تعلم منهم الدين والمكافحة والمقاومة لتحرير البلاد من أعداء الله وأعداء الإسلام، فلم يكتنف في كنف بيته؛ بل شارك في هذا المقاومة وحاول محاولات جادة لتحرير البلاد عن براثن الإنجليز، وبذل فيها مجهودات مضنية إلى أن نفي من وادي كشمير. ثم بمحاولات الزعماء الآخرين سمح له بالدخول في الوادي؛ ولكنه لم يجد عن خطته ولو بقيد أنملة؛ بل كثف جهوده لتحرير كشمير وأدى دورا رياديا، حتى كان الشيخ عبدالله يستشير به في الأمور المهمة. وعندما ألقى القبض على زعماء حركة التحرير: الشيخ عبدالله ومسانديه الآخرين، وكاد أن يستولى اليأس على أعضاء الحركة، ألقى الشيخ خطبة حماسية في المسجد الجامع، حث الناس فيها على تكثيف الجهود، فلبوا على دعوته وأثاروا ثورة أرغمت الحكومة على إطلاق سراح الشيخ عبدالله ومسانديه الآخرين.

ثم عندما تحررت البلاد وانقسمت إلى قطرين: الهند وباكستان، كان الشيخ عند ذاك يقيم في مدينة لاهور التي وقعت في خريطة باكستان، فبقي بها واختارها كمجرد ديني له. وقدّم إليه رئيس باكستان مناصب عليا هامة؛ إلا أنه أبى وفضل البقاء في "كلية لاهور الشرقية" حيث كان يشتغل بها من قبل.²

وفاته: ظل الشيخ يقدم خدماته العلمية بمدينة لاهور، حيث بعد تقاعده من "كلية لاهور الشرقية" أسس مدرسة كان يعتني بأمورها، ثم انضوى إلى السلك التدريسي بـ"الجامعة المدنية" بمدينة لاهور نفسها وتولى منصب شيخا الحديث فيها وما زال يؤدي واجباته بأحسن وجه ما يرام من الأداء، إلى أن توفي في 27 من شهر يوليو عام 1973م وتم تدفينه بمقبرة جي بلاك، مادل تاؤن بمدينة لاهور بباكستان.³

انطباعات العلماء: ذكره السيد أحمد رضا البجنوري في مقدمة كتابه "أنوار الباري" تحت رقم 18 خلال ذكره

¹ نفس المرجع، ص 435.

² محمد نذير رانجها، تذكره علماء اهل سنت وجماعت (بنجاب)، ص 437.

³ د. محمد منير أحمد سليج، وفيات أهل قلم، ص: 456

لتلاميذ العلامة محمد أنور شاه الكشميري وقال: "السيد ميرك شاه الكشميري، الأستاذ الأسبق لكل من دارالعلوم بديوبند، وكلية تبليغ بمدينة كرنال، وكلية لاهور الشرقية. وآلآن يشغل منصب شياخة الحديث في الجامعة المدنية بـلاهـور. وهو محدث عظيم ومفسر كبير ومحقق خبير وأديب بارع للغة العربية".¹
ويقول الأستاذ الدكتور محمد مظفر حسين الندوي أحد العلماء الكبار في كشمير:

"إن أكبر شخصية يدين لها كشمير قاطبة، لتضحياته الضخمة في نهوض الكشامرة بالعلم والفن، وإيقاظ شعورهم السياسي والوعي الديني والإحساس بالمسؤوليات نحو دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة الخالصة، وإبعادهم عن البدعات والخرافات التي لم ينزل الله بها من سلطان، وإنقاذهم عن شفا جرف هار، ودحض انتحال المبطلين، هي شخصية السيد ميرك شاه الأندرابي الكشميري الذي طلع على أفق كشمير كشمس ساطعة لامعة تنير من تقع عليه أشعتها حتى الخفافيش التي لا تراها".²

وعندما قام الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني بطباعة مؤلفة الشيخ الأندرابي عرفه بألفاظ فخمة مثل: ".....المحلاة بتحشية الفاضل اللوذعي والبارع الألمي الأديب الأريب والحبيب اللبيب مولنا السيد مختار الله المدعو بميرك شاه الكشميري المدرس بدارالعلوم الديوبندية".³

انتاجاته العلمية: لم يجد الشيخ فرصة للتأليف والتحقيق لكثرة أشغاله الدينية والسياسية؛ ولكنه كان يتوق إليه ويتلهف، فكلما سنحت له فرصة، رتب كتيباً أو كتاباً، نذكر هنا المهمات التي ذكرها الشيخ نفسه في الرد على سؤال عن مؤلفاته، وهي:

مؤلفاته العربية

- شرح المؤطا للإمام مالك بن أنس: المؤطا كتاب مهم في علم الحديث وقد شرحه الشيخ باللغة العربية.
- شرح سبع المعلقات: المعلقات السبعة مجموعة لقصائد عربية قديمة، ولها مكان رفيع في الأدب العربي، وهي مندرجة في منهج الأدب العربي لجميع المدارس العربية والإسلامية في الهند تقريبا. فقام الشيخ بشرحها وتسهيلها باللغة العربية.
- رسالة في أحكام إنكار ختم النبوة: رتبها الشيخ باللغة العربية، وفي الحقيقة إنها رد صريح على سؤال طرح عليه من بلاد عربية.
- رسالة في تحقيق "كدعة"⁴: وهي رسالة صغيرة رتبها الشيخ باللغة العربية.

¹ سيد أحمد رضا البجنوري، أنوار الباري شرح أردو صحيح البخاري، ص: 436/2.

² د. مظفر حسين، أمائل كشمير ص: 344.

³ ميرك شاه الأندرابي، محيط الدائرة في علم العروض والقافية، ط: دارالتدريس والإشاعة بديوبند، ص: غلاف

⁴ وهي قرية سوف يخرج منها المهدي عليه السلام حسب ما يعتقد البعض.

• لغات جديدة: وهو قاموس للمفردات، رتبته الشيخ من الأردية إلى العربية.¹

• الدرر الزاهرة لمن تغلغل في "محيط الدائرة"

وهو شرح لكتاب مهم ألفه السيد كربليوس قان فريك² في علم العروض باسم "محيط الدائرة في علم العروض والقافية". وهو يحتوي على باين: أولهما يتضمن الأجزاء والدوائر الشعرية و البحور العروضية في أحد عشر فصلا، وثانيهما يشتمل على حقيقة القافية وحركاتها وأنواعها في أربعة فصول. وقد أكمله صاحبه اللبناني في شهر شباط سنة 1849 م³. ولندرة الكتاب في الموضوع كان قد أدرج في المقررات الدراسية لكثير من المدارس الأهلية والكليات الرسمية؛ إلا أن الكتاب كان مليئا من لبس وإغلاق يحولان دون فهم المعاني والمطالب فأشار المفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي أحد أساتذة جامعة ديوبند على الأستاذ مير شاه أن يقوم بشرح الكتاب والتعليق عليه كي تعم الفائدة ويسهل على الطلاب فهم معانيه. كما ذكره في "خاتمة الطبع" للكتاب وهو يقول: "كانت الرسالة المسماة بـ "محيط الدائرة" محيطة لجميع مباحثه بأحسن وجه وأتم تفصيل؛ بيد أنها كانت محتاجة إلى حل المغلقات وشرح المهمات، فالتمست لأجله أخي في الله مولانا السيد مختار الله المدعو بميرك شاه الكشميري المدرس بدارالعلوم الديوبندية، فلبى مع ما به من المشاغل والذواهل، فعلق عليه تعليقا حسنا جاء بحمد الله كما تروق النواظر وتسر الخواطر"⁴ وكما أشار إليه السيد ميرك شاه في مقدمته للكتاب وهو يقول: "فلما كان فن العروض مما لا بد منه للأديب عموما، وللشاعر خصوصا، وكانت كتب هذا الفن صعبة التي لا يستفيد منها إلا من له يد طولى في حل المشكلات وفتح المغلقات؛ بيد أن "محيط الدائرة" أسهلها وصولا وأوضحها بيانا، أردنا طبعها، وأمرت أن أعلق عليها ما يحتاج إليه للمبتدي عند مطالعتها فامتثلت الأمر وبالله التوفيق، ولعله يفيد المبتدي ولا يستغني عنه المنتهي"⁵.

وخلال عمله في الكتاب إنه أطنب في شرح المصطلحات العروضية لتبين تماما. وكذلك قام بحل الألفاظ الصعبة من ناحية اللغة والنحو، وربما أشكلها. وشرح الأبيات الواردة في الكتاب وربما قام بتقطيعها حسب الأوزان الشعرية. وراجع في ذلك كله إلى المصادر الموثوق بها في الفنون المعنية، فكثيرا ما أحال إلى أقوال خليل بن أحمد الفراهيدي، والسكاكي وأخفش والدمياني والجرجاني. وكذلك في بعض الأمكنة إنه أوضح مسامحات المؤلف

¹ محمد نذير رانجها، تذكره علماء اهل سنت وجماعت (بنجاب)، ص: 439.

² وهو نصراني من لبنان، وقد هاجر إلى أمريكا- ميرك شاه الأندراي، محيط الدائرة في علم العروض والقافية، ص: 1

³ ميرك شاه الأندراي، محيط الدائرة في علم العروض والقافية، ص: 112

⁴ ميرك شاه الأندراي، محيط الدائرة في علم العروض والقافية، ص: 112

⁵ نفس المصدر: ص: 1

مستشهدا بأفكار النوابع لفن العروض. وقد أكمله الشيخ في سنة أربع وأربعين وثلاث مئة بعد الألف من الهجرة.¹ في الطبعة الأولى للكتاب نجد النص الأصيل في وسط الصفحة وفي جوانبها الأربعة حواشي وتعليقات، كما نجد بعض التشریحات تحت اللفظ فيما بين السطور. ثم في نهاية الكتاب نجد ضمیمة تتضمن شرحا وافية لما بقي من شروح المطالب والألفاظ حسب أرقام الصفحة. والكتاب نشر في ست وخمسين ومئة صفحة على نفقة شعبة الإشاعة من دار التدريس والإشاعة بديوبند وطبع في مطبعة "دلي برنتك وركس" بمدينة دلهي عام 1345هـ.² أما آراء العلماء في عمل الشيخ ميرك شاه في الكتاب: فذكرنا أنفا ما قرّظ له الشيخ العثماني قائلا: "جاء [الكتاب] بحمد الله كما تروق النواظر وتسّر الخواطر"³ ويقول الدكتور محمد فاروق البخاري: "محيط الدائرة من أهم الكتب البلاغية التي ألفت في فن العروض، ألفه عالم يسوعي على وجه الاختصار في أسلوب وجيز، ولما أن الفن نفسه يعتبر فن جامد لا يشتاق إليه القاري. وقد شرّحه الشيخ ميرك شاه لإجلّاء ذلك الغموض وإطّناء ذاك الإيجاز. وطبع الكتاب مراراً وتكراراً."⁴ وكذلك يقول فيه الشيخ مظفر حسين: "لم يقدّم صاحبنا بشرح المصطلحات العروضية فحسب؛ بل وحل الألفاظ الصعبة المشكلة، كما أعرب بعض الألفاظ وشكل بعضها، وشرح بعض الأشعار شرحاً بسيطاً يوهّم أنه ابن بجدة هذا الفن وأخو جملتها".⁵

مترجماته من العربية: ترجمة القرآن الكريم: إن الشيخ الأندرابي ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الكشميرية، وتمت هذه الترجمة عام 1951م. وفي الحقيقة إنه ترجم القرآن الكريم إلى لغة مزيج من اللغة الأردية والكشميرية. كما فسّر في بعض الأحيان آيات القرآن الكريم باللغة العربية أيضاً. وقد ضمّتها فوائد علمية أيضاً. فسمى الترجمة بـ "مختار التراجم" والتفسير المتصل به بـ "تبيان القرآن" كما سمي الفوائد بـ "فوائد المختار". وكلها توجد بشكل مخطوط لم ير النور.⁶

ترجمة أستاذ أربعة: وهو كتاب قيم في فن الفلسفة، ترجمه الشيخ إلى اللغة الأردية للجامعة العثمانية بمدينة حيدرآباد، وقد طبع هناك.⁷

ترجمة "إكفار الملحدین": وهو كتاب مهم ألفه العلامة محمد أنور شاه الكشميري باللغة العربية وقد ترجمه الشيخ إلى اللغة الأردية في أربعة أجزاء؛ إلا أن الترجمة لم تطبع حتى الآن وهي محفوظة بشكل مخطوط لدى

¹ نفس المصدر: ص: 156

² ميرك شاه الأندرابي، محيط الدائرة في علم العروض والقافية، ص: 112

³ ميرك شاه الأندرابي، محيط الدائرة في علم العروض والقافية، ص: 112

⁴ د. سيد محمد فاروق بخاري، كشميريين عربي شعروادب كي تاريخ، ص: 146

⁵ د. مظفر حسين، أمثال كشمير: ص: 369.

⁶ نفس المرجع ص: 366.

⁷ محمد نذير رانجه، تذكره علماء اهل سنت وجماعت (بنجاب)، ص: 439.

أعضاء أسرته.¹

شرح مسلّم: وهو كتاب في علم الفلسفة، أُلّف باللغة العربية وقد ترجمه الشيخ إلى اللغة الأردنية. وبجانب هذه، إن الشيخ الأندرابي أُلّف رسائل كثيرة باللغة الأردنية يربو عددها على عشرين رسالة. أما المهم منها: فرسالة في تحقيق تعدد الجمعة. ورسالة في تحقيق التناسخ، ورسالة في الرد عن التثليث، ورسالة في حكم ساطعة الطلاق، ورسالة في تحقيق تلفظ حرف الضاد، ورسالة في حكم المفقود، ورسالة في تنقيد رسالة محبوب الإرث، ورسالة: منزل السعداء، ورسالة: إنعام عيد الفطر، ورسالة: قرباني [الأضحية] ورسالة في علم الحروف، ورسالة: القول الحق في ضابطة النظم والفسق وما إلى ذلك من الرسائل والكتب.²

قصائده الشعرية: ولما أن الشيخ الأندرابي كان يتضلع من اللغة العربية وقد درس قصائد الشعراء الأقدمين في حماسة أبي تمام وديوان المتنبي في المقرر الدراسي لجامعة ديوبند. وذلك في إشراف أساتذة الجامعة الأدباء والشعراء، مثل العلامة محمد أنور شاه الكشميري والشيخ إعزاز علي الأمروهي والشيخ حبيب الرحمن العثماني. فمن هناك حاجت فيه قريحة شعرية حببت إليه القريض، فنظم أبياتا وقرض قصائد كثيرة؛ كما قال الأستاذ حامد علي خان من جامعة علي جراه الإسلامية: "إن الشيخ الأندرابي قد قرض أكثر من ألفي بيت" إلا أن هذه القصائد لم تُجمع في ديوان. ولم نعتز على قصائده غير ثلاثة منها وجدناها في ثلاثة كتب متفرقة.

وهذا ما قرضه الشيخ الأندرابي في رثاء الشيخ فضل محمد المعروف بشمس المشانخ شاه آغا رحمه الله تعالى.

أَتَتْنَا مَنَاعِي سَيِّدٍ وَ مُمَجِّدٍ	كَرِيمٍ مُطِيعٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
نَقِيٍّ وَفِيٍّ لِلْعُهُودِ وَ وَعْدِهِ	جَلِيلٍ كَبِيرٍ مُرْشِدٍ وَ مُسَدِّدٍ
وَشَيْخٍ لِمَنْ رَامَ الْهِدَايَةَ صَادِقًا	بِنَهْجٍ بَيِّنٍ ذِي بَهَاءٍ مُجَدِّدٍ
وَذَا شَاهٍ آغَا دُو رُؤَاةٍ وَ رَافَةٍ	بِخُدَامِهِ هَادِي الْوَرَى بِتَوْقُودٍ
فَهَا مَوْتُهُ غَمَدَ الْمَعَارِفَ كُلَّهَا	كَمَا يَغْمُدُ الْقِرْضَابُ حِينًا
فَلَوْلَا بُكَاءُ الْبَاكِياتِ سَمِعْتُهُ	لَمَّا عَادَ صَبْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُسَوِّدِ
عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَبْكْ مَيِّتًا كَمِثْلِهِ	مُبْكِيَةً مِذْ كَانَ مَوْتُ كَمَوْلِدِ
وَمَا انْقَلَكْ قَوْتُ أَوْ حَيَاةٌ تَزُورُنَا	فَسَيَّانِ عَيْشٍ وَ اغْتِيَالٍ لِرُحَدِ
وَلَيْسَ كَمِثْلِ السَّلْوِ لِلْمَرْءِ خَصْلَةٌ	إِذَا أَشْمَتَ الدَّهْرُ الْخَوْنَ بِأَمَجْدِ

¹ د. مظفر حسين، أمثال كشمير ص: 366.

² محمد نذير رانجها، تذكره علماء اهل سنت وجماعت (بنجاب)، ص: 440.

وَلَمَّا رَأَيْنَا مَا لَهٗ عِنْدَ رَبِّهِ
حَمِدْنَا أَيَّادِي رَبِّنَا عَزَّ مَجْدُهُ
وَأَعْجَبَ بِمَا قَسَمَ الزَّمَانُ لَهُ وَلِي
لَهُ قُوَّةُ الْجَنَّاتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
عَرَى حُزْنَ ذَا ثُمَّ اغْتَلَّتْ مَسْرَّةُ
فَهِنَاتِهِ مَعَ بَدْءِ إِخٍ تَأْسِيًا
فَيَا رَبِّ نَضِرْ لِحَدِّهِ بِسِقَايَةٍ
وَكُنْ رَاعِيًا أَحْجَارَ رَمْسٍ مُنْصَدِّ²
مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ الْمُحَمَّدِ
عَلَى رَاحِ ذَاكَ الْمَاجِدِ الْمُتَمَجِّدِ
بِوَصْلِ وَهَجْرٍ ثُمَّ رَوْحٍ وَ مَسْهَدِ
لَنَا حُزْنَ هَجْرٍ مُوْعِدٍ وَ مُهَدِّدِ
بِمَا حَازَ رَغْمًا لِلْعُدُوِّ الْمُحْسَدِ
هَنِينًا لَقَى فَوْحٍ لِفَضْلِ مُحَمَّدٍ¹

إن الشيخ حسين أحمد المدني مع تضلعه من العلوم الإسلامية وصلاحه وتقواه يُعرف بأرجاء البلاد كزعيم سياسي شارك مشاركة فعالة في كفاح تحرير البلاد، ثم في رفض سياسة السيد محمد علي جناح لتقسيم البلاد إلى دويلات. أما الشيخ ميرك شاه الأندرابي فكان متحمسا لإنشاء دولة مستقلة باسم باكستان. فكلاهما كانا متباينين في سياستهما كما كلاهما كانا متحمسين لوجهة نظرهما. إلا عندما استأثرت رحمة الله بالشيخ المدني فاضت عيون الأندرابي بالدموع واستولى عليه الحزن، فقرض قصيدة رنانة في رثاءه وأعرب فيها عما كان يكنُّ له في قلبه من تكريم واحترام، وما كان يختلج في نفسه لموته من أحاسيس وعواطف محزنة. ففي بداية القريض إنه يئن مناقب الشيخ المدني من علمه الغزير، وتقواه الفريد، وخلقه الدمنة وشخصيته الفذة، كما سلط الضوء على أفكاره السياسية، وتبصره الإيماني ثم على خدماته السياسية والوطنية وحميته الدينية. وما إلى ذلك من صفاته الزعامة الأخرى. فيقول:

أَرَابَ الْقَلْبِ أَنْبَاءُ أَتَنَّا
وَإِفْلَاقٍ وَإِيْلَامٍ وَحُزْنٍ
وَإِيْحَاشٍ وَإِذْهَاشٍ وَيَاسٍ
أَلَا يَا عَيْنُ بَكِي إِذْ رُؤِنَا
إِمَامًا هَادِيًا قَمَرًا مُنِيرًا
مُحِيطًا بِالْعُلَى بَحْرًا تَجِيحًا
رَجِيبَ الصَّدْرِ ذَا نَسَبٍ جَلِيلٍ
زَعِيمَ الْقَوْمِ هَادِيَهُمْ بِرُشْدٍ
بِإِعَادِ الدَّوَاهِي وَاغْتِمَامِ
وَإِفْزَاعٍ وَتَحْرِيرِ الْمَنَامِ
وَإِسْهَارِ قَرِينٍ بِالْحَمَامِ
كَرِيمًا سَيِّدًا رَأْسَ الْأَنَامِ
مُزِيحًا نُورَهُ ظُلَمَ الظَّلَامِ
عَزِيمًا بَارِعًا قِيلَ الْعِظَامِ
رَفِيعَ الْقَدْرِ مَرْضِي الْمَقَامِ
لِسَانَ الْجَمْعِ فِي وَهْجِ الْخِصَامِ

¹ هذا المصراع يحمل في طينه تاريخ وفاة الشيخ 1343هـ.

² قصائد في مرثية الشيخ الأجل فضل محمد، مكتبة دارالعلوم ديوبند، رقم 64445. ص: 5

سَمِيًّا لِلْحُسَيْنِ بْنِ الْعَلِيِّ	وَأَحْمَدَ سَيِّدَ الرُّسُلِ الْكَرَامِ
فَدَمْعُ الْعَيْنِ جَارٍ مُذْ نُعِينَا	وَحُزْنُ الْقَلْبِ حَظُّ الْمُسْتَهَامِ
يَبْكِي طَالِبُ دَرْسِ الْبُخَارِيِّ	وَمُعْتَرِفُ الْمَعَارِفِ وَالزَّمَامِ
أَلَا يَا مَوْتُ رَفَقًا ثُمَّ رَفَقًا	أَلَا بَتَقِي عَلَى سُبُلِ السَّلَامِ
عَلَى عِلْمٍ وَعِزِّفَانٍ وَمَجْدٍ	وَجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ وَافْتِدَامِ
وَحَزْمٍ ثُمَّ عَزْمٍ ثُمَّ جُودٍ	وَ صِدْقٍ فِي الشَّجَاعَةِ وَافْتِحَامِ
وَبِرٍّ وَالسَّخَاءِ وَفَاءٍ عَهْدٍ	وَتَحْدِيثٍ وَفَقْهِ وَالْكَلامِ
وَتَفْسِيرٍ وَتَذَكُّيرٍ أُنْبِيقِ	وَإِصْلَاحِ الْخَلِيقَةِ وَاعْتِصَامِ
أَلَا يَا مَوْتُ مَهْلًا ثُمَّ مَهْلًا	أَلَمْ تَعْرِفْهُ أَمْ خَرَّتِ التَّعَامِي
فَقَدْ أَذْهَبَتْ شَيْخًا مُسْتَطَابًا	وَمَنْ سَاسَ الْوَرَى وَعَلَاهُ نَامِي
وَقَدْ أَبْكَيْتَ جَمْعًا مِنْ رِجَالِ	يُسَمَّى جُلُومٍ بِاسْمِ الْإِمَامِ
لِمَعْقُولٍ وَمَنْقُولٍ وَفَضْلٍ	وَحَلِّ الْمُغْضِلِ الصَّغْبِ الْمَرَامِ
سَبِيلِ الْمَوْتِ مِنْهَاجِ الْبَرَائَا	مَالِ الْعَيْشِ عَيْنِ الْأَحْتِرَامِ
خُلُودِ الْمَرْءِ لَمْ يُسْمَعْ قَدِيمًا	وَلَا مَوْلُودَ بَاقٍ لِلدَّوَامِ
وَلَا مَخْلُوقَ إِلَّا سَوْفَ يَفْنِي	وَيَبْقَى وَجْهُ خَالِقِنَا السَّلَامِ
وَمَنْ أَبْقَى بَقَايَا صَالِحَاتٍ	هُوَ الْبَاقِي عَلَى رَمِّ الْعِضَامِ
فَصَبْرًا أَيْهَا الْمُخْتَارُ صَبْرًا	فَمَا ذِي الدَّارِ إِلَّا لِأَنْهَادِ
وَيَا رَحْمَانُ رَحْمُوتًا وَجُودًا	وَ رِضْوَانًا عَلَى الصَّدْرِ الْمُهَامِ
وَطَيْبَ دَارُهُ مَثْوَاهُ فِيهَا	وَأَكْرَمُهُ بَرِيحَانِ النَّعَامِ ¹

ونجد له قصيدة أخرى قرضها في رثاء أستاذه الحنون العلامة محمد أنور شاه الكشميري، ولا يخفى على القاري أن العلامة هو الذي اصطحبه من كشمير إلى ديوبند، وألحقه بدارالعلوم فيها. ففضل ما يُعرف به الشيخ الأندرابي يرجع إلى العلامة الكشميري. فلدى وفاته فاضت قريحته فنظم قصيدة رثائية قد ضمَّها الشيخ محمد يوسف البنوري في كتابه "نفحة

¹ روزنامه الجمعية شيخ الإسلام نمبر 15 فروري 1958 م، جلد 43، ص: 276 / أمثال كشمير، ص: 362

العنبر" عن حياة الشيخ محمد أنور.¹ وهي ما تأتي:

سَقَى اللهُ رَمْسًا فِيهِ بَذْرُ مَنْوَرٍ
مِنَ الدِّيمِ الْمُدْرَارِ مَا ذَرَّ شَارِقُ
قَرَارَةُ بَحْرِ الْعِلْمِ أَمْ رَمْسُ أَنْوَرٍ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا مُشْرِقَ الْأَرْضِ
وَجَهْلًا وَ أَحْيَى قُلُوبًا وَالْمَعَارِفَ
بِالْحُجْمِ الْغُلْغُلِ فِي أَعْمَاقٍ مَا لَمْ يَصِلْ
إِلَى حَبْسِيْبٍ غَرِيبٍ طَالِعًا طَابَ
كُرْنِمَ إِذْ مَا زُرْتُهُ زُرْتِ زَاخِرًا
وَ رَوَايَةُ الْأَثَارِ مُسْنَدُ قَرْنِهِ
مُفَسِّرُ آيَاتِ الْكِتَابِ مُبَيِّنًا
مُحَدِّثُ عَصْرِ مَا أَتَى بِمَثِيلِهِ
عَمِيقُ أَنْيْقٍ غَائِرٌ لَا تَرَى لَهُ
وَإِنْ جِئْتُهُ تَرْتَادُ نَفْلَ مَسَائِلِ
وَإِنْ جِئْتُهُ تَرْتَادُ حِفْظَ رَوَايَةِ
فَفِي جَانِبِ أَخْبَارِ سِتٍ
وَفِي جَانِبِ آثَارِهِمْ وَ غُلُومِهِمْ
يُسَيِّي لَكَ الْأَسْمَاءَ تَسْمِيَةً
فِيَا لَيْتَنِي لَمْ أَسْتَمِعْ لِنَعْيِهِ
فِيَا عَيْنُ بَكِّي شَرَقَ شَمْسِي وَ
غَرَبًا بَعْدَ دَفِينٍ بِالْمَصْلَى يَرَى
وَحَيَاكَ رَبُّ النَّاسِ يَا خَيْرَ
وَ أَكْرَمَكَ الرَّحْمَنُ يَا خَيْرَ

أَصْأَتْ بِهِ الْأَفَاقُ إِذْ كَانَ يَزْهَرُ
عَهْدًا تُرْوِي غَيْثُهُ وَيُخَضِّرُ
قَدِيسُ مُحِيطِ الْقُدْسِ أَمْ هُوَ
جَوْهَرُ فَرَّاحٍ يُضِيئُ بَطْنَ اللَّيْلِ وَيُتَوَرَّ
كَأَحْيَاءٍ وَ سَيِّ رِيَاضًا تُنْصَرِّ
سُطُوحٍ ِلَهُ جَهَنَّمُ دَهْرٍ يُحْبِرُ
وَتَلْفِيهِ مَهْدِيًا إِذَا مَا يُغَوِّرُ
لَهُ دُرٌّ عِرْفَانٍ يَمْوُجُ وَيَنْدُرُ
وَشَيْخُ شُبُوحِ الْقَوْمِ وَالْأَمْرُ أَظْهَرُ
بَيَانًا وَتَبْيَانًا يَفُوقُ وَيُفَرِّ
وَبَحْرُ خِصَمِّ لِلْعُلُومِ وَمَصْدَرُ
شُطُوطًا وَ غَوْرًا وَ انْتِهَاءً يُبْصَرُ
تَجِدُ مَوْجَ بَحْرِ عَبَّةٍ قَامَ يَزْخُرُ
تَرَعَكَ كُنُوزٌ مِنْ حَدِيثٍ يَتَزَيَّرُ
أَحَادِيثُ مَا دُونَ الصَّحَاحِ يَخْبِرُ
وَفِي جَانِبِ أَسْمَاؤُهُمْ وَتَذَاكُرُ
رَأَهُمْ وَ سَمَاهُمْ وَ صَاحِبُ يَنْظُرُ
وَيَا لَيْتَنِي لَمْ تَعْتَفِرُهُ مُقَابِرُ
وَجُودِي بِدَمْعٍ سَيْلُهُ مُتَوَاتِرُ
جِبَالِ غُلُومٍ سَوْلُهُمْ أَيْنَ أَنْوَرُ
ضَمَمْتَ كَرِيمًا مَجْدُهُ لَيْسَ يُنْكَرُ
عَلَى ذِرْوَةِ الْغُفْرَانِ وَالرَّبُّ غَافِرُ

¹ محمد يوسف بن السيد محمد زكريا البنوري، نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور، ط: المجلس العلمي في كراتشي باكستان، 1969م،

قَضَيْتُ أُمُورًا كَانَ صَعْبًا قَدَلْتُ لَكَ الصِّعَابُ وَالصَّعْبُ
مَنَالَهَا قِيَا خَيْرَ هِنْدٍ ثُمَّ دَيْبَنْدَ مَرْقَدًا أَيْسَرُ يَبَاهِي بِكَ الْكَشْمِيرُ ثَمَّتَ نَرُورُ¹
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا عَاشَ وَمَا دَارَتْ الْأَفْلاكُ أَوْ نَارُ نَيْرِ
عَائِشَةُ رَوَى ضَرْبَ حَكِّ خَالِدًا هُنُونٌ بِهِ يَهْتَزُّ نَجْمٌ وَعَمِيرُ²

هكذا كان الشيخ يقرض القصائد باللغة العربية وقد يُرى فيها لمسات الشعر العربي القديم. وميزاته الفنية من الوصف والثناء.

خلاصة البحث: يتجلى من البحث أن الشيخ كان ضليعا من اللغة العربية فله إنجازات قيمة في النثر العربي وشعره. كما له خدمات جبارة في مجال الدعوة والإرشاد والجهود المقبولة في تحرير البلاد. فحياته كلها كان عبارة عن الجهد المتواصل لا يعتري عليه الكسل والملل.

المصادر والمراجع:

- شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دارصادر بيروت، 1977م.
- د. مظفر حسين الندوي، أمثال كشمير، ط: بيت الحكمة الندوية، 2004م.
- الأستاذ ميرك شاه، شرح محيط الدائرة في علم العروض والقافية.
- محمد يوسف بن السيد محمد زكريا، نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور. ط: المجلس العلمي في كراتشي، 1969م.
- پروفیسر شمس الدین، شاه ہمدان حیات اور کارنامہ، ط: غلام محمد اینڈ سنز بک سیلرز، 1955.
- محمد نذیر رانجھا، تذکرہ علماء اہل سنت والجماعت (پنجاب)، ط: دارالکتاب لاہور، 2009م.
- سید احمد رضا بجنوری، انوار الباری شرح اردو صحیح بخاری، ط: ربانی بک دہودہلی، 2006م.
- سید محبوب رضوی تاریخ دارالعلوم دیوبند. مکتبہ دارالعلوم، 1977م.
- الدكتور مفتی محمد الله خلیلی، مختصر جامع تاریخ دارالعلوم دیوبند، ط: مکتبہ دارالعلوم دیوبند.
- مجموعہ فتاویٰ دارالعلوم مئو.
- الدكتور منیر احمد سلیم، وفیات اہل قلم، اکادمی ادبیات پاکستان. 2007م.
- الدكتور سید محمد فاروق بخاری: کشمیر میں عربی شعروادب کی تاریخ.
- مجموعہ قصائد مرآئ سید فضل محمد. مکتبہ دارالعلوم دیوبند.
- روزنامہ الجمعۃ شیخ الإسلام نمبر، جلد 43، 1958.
- روداد سالانہ دارالعلوم دیوبند، سنہ 1336م.
- روداد سالانہ دارالعلوم دیوبند، سنہ 1341م.
- رپورت شعبہ تبلیغ دارالعلوم دیوبند، 1341

¹ مدفن جدہ بکشمیر.

² یوسف البنوری، نفحة العنبر، ص: 250

شيخ البحارة حنا مينا وأعماله الأدبية



بشنين هدى.كي.سي

باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية بكلية الفاروق،

بجامعة كاليكوت، كيرلا

Abstract: Hanna Mina, Syrian novelist was born in Latakia in 1924. He spent his childhood in a village near Iskenderun. Since Turkish forces entered the district, he moved back to Latakia with his family. His writings were partly inspired by his own experiences from stevedore, barber, journalist etc...Mina has authored around 40 novels reflected on values and rights. His writings shed on the topics related to sea and the life of sailors in the city of Latakia. It also describes their struggle on boats, ships and surfaces of the sea. He was excelled due to his literary journey with truth, pain, struggle, realism, love, beauty. Hanna Mina on 21, August, 2018

الملخص:

حنا مينا روائي سوري (1924-2018) ولد في مدينة اللاذقية، ساهم في تأسيس رابطة الكتاب السوريين ورابطة الكتاب العرب، وعاصر فترة الإنتداب الفرنسي على سورية، ولعب دورا فعالا في تطوير الرواية العربية، في حوزته الكثير من الروايات والقصص التي تميّزت بالواقعية الاجتماعية والصدق والمعاناة. ومعظم رواياته تدور حول البحر وأهله، دلالة على تأثره بحياة البحارة أثناء حياته في اللاذقية. يعد الروائي السوري الراحل حنا مينا واحدا من الكتاب الأوسع انتشارا في العالم العربي إلى جانب نجيب محفوظ، وعبد الرحمان منيف، والطيب صالح وغيرهم من أساطين الرواية العربية. وتعود شهرته الأدبية إلى أسباب ومعطيات كثيرة أبرزها شيماته الواقعية، وأسلوبه السردى السلس، وشخصياته المألوفة التي تشعر القارئ بأنّه يعرفها لأنها منبثقة من بيئته الاجتماعية التي يعيش فيها. وعلى الرغم أنّ حنا مينا لم ينل حظا واسعا من التعليم، فإن حياته الفقيرة قد امتدته بخبرات كثيرة فقد عمل حلاقا، وحمالا، وبحارا.

يحضر البحر في متن حنا مينا الروائي، بوصفه ذاكرة وهوية، وكأفق ينعكس على صفحاته المعرفي والأيديولوجي والوجودي، فالحرب بكل تناقضاته وغموضه وأسراره يغدو في تجربة مينا عالما حكايا. وقد استطاع مينا أن يخلق عبر تجربته السردية بحره الخاص، من خلال التغلغل إلى عالم الصيادين بكل تفاصيله، لذا فإنه ينظر إلى ذلك العالم من أكثر من زاوية، عبر وجهات النظر التي يبتثها في عالمه الحكائي، ولم يعزل حنا شخصياته عن

المدينة الساحلية التي يعيشون فيها اللاذقية. بل جعل البحر عالماً متداخلاً مع البر وامتدَّ لسيرة الحياة فيه. لقد أثر البحر على حنا مينا نفسه، قبل أن يؤثر في إنتاجه الإبداعي، لا سيما أنَّ نتاجه السردى كان بحرياً بامتياز، بل إنَّه أهم من وصف البحر في الرواية العربية، لذا لقب بـ "أديب البحر" و "شيخ البحارة".

حياته:

ولد حنا مينا في 9 مارس 1924 في اللاذقية لأسرة فقيرة، والدته مريانا ميخائيل زكور، "وقد رزقت بثلاث بنات كنَّ بالنسبة لذلك ثلاث مصائب، عانت منهنَّ الكثير الكثير، فالوسط الفقير إلى حدِّ التعاسة كان يشكِّل عقلية سلفية بالغ القسوة وفد تعاون هذا الوسط، وما فيه من ظلم ذوي القربى على إذلال الوالدة بإتهامها أنَّها لا تلد إلا البنات. وفي الأقل الأقل أن تلد صبياً بعد بنت، وهكذا إلى أن أتى حنا في الحمل الرابع، وبكت والدته فيه من الفرح، بينما كانت قبل ذلك تبكي من الحزن"¹.

عاش حنا طفولته في إحدى قرى لواء الإسكندرون على الساحل السوري، وفي عام 1939م عاد مع عائلته إلى مدينة اللاذقية، وهي عشقه وملهمته بجبالها وبحرها. كافح كثيراً في بداية حياته وعمل حلاقاً وحمالاً في ميناء اللاذقية، ثم كبچار على السفن والمراكب. اشتغل في مهن كثيرة أخرى منها مصلح درجات، ومربي أطفال في بيت سيّد غني، إلى عامل في صيدلية إلى صحفي أحياناً، ثم إلى كاتب مسلسلات إذاعية للإذاعة السورية باللغة العالمية، إلى موظف في الحكومة، إلى روائي .

كانت أسرته تتلقى المساعدة والشفقة من الكنيسة، وقد تحدث عن طفولته في الإسكندرون قائلاً: "طوال أربع سنوات كنت أقوم مع بعض أطفال المدرسة بالخدمة في الكنيسة، نطفئ الشموع، نحمل الأيقونات وننام أحياناً واقفين، بكلمة، أنا مطمئن من هذه الناحية"². وهكذا كان حياته القاسية أثرها في رواياته. وقد قال عنها: "كنت أعاني البطالة والغربة والفقر والجوع وأحسد الكلب لأنَّ له مأوى".

تزوَّج حنا من سيدة مريم، وهو يقول عنها: "لقد تزوجت مريم دميان سمعان أصلها من بلدة السويدية، كانت مقيمة في اللاذقية عندما التقيتُها وتعارفنا بعد هجرة العائلة من اللواء العربي السليب"³. وأنجب خمسة أولاد، بينهم صبيان هما سليم الذي توفي في الخمسينيات في ظروف النضال والحرمان والشقاء، والأخ رسعد أصغر أولاده. وهو ممثل معروف شارك في بطولة المسلسل التلفزيوني "نهاية رجل شجاع"، المأخوذ عن رواية والده. ولديه ثلاث بنات: سلوى وهي طبيبة وسوسن (تحمل شهادة في الأدب الفرنسي) وأمل وهي مهندسة مدنية. توفي

¹ - حنا مينا، الرواية والروائي، مختارات 6، ط1، دار البعث، وزارة الثقافة دمشق، 2004

² - نفس المرجع

³ - نفس المرجع

حنا مينا في يوم الثلاثاء 21 آب 2018م، وقد أذيع نبأ وفاته رغم أنّه أوصى منذ كان في الخامسة والثمانين من عمره بالأذيع أية وسيلة إعلامية نبأ موته قائلا إنّهُ شبع من الحياة.

دخل مينا المدرسة في السنّ السابع وحصل على شهادة التعليم الابتدائي، لكنّه لم يكمل تعليمه لسوء أحوال المعيشة وبالفقر المدقع الذي كان يعيش فيه. انه عانى الكثير من الآلام، والهزائم. قد تميزت حياته بالمرج ما بين الكفاح والنضال، بعد أن أرهقه حلما كبيرا طالما لاحقه في إصلاح ما أفسدته البشرية على سطح الأرض، وبعد إنتاج أعمال أدبية كثيرة تحاكي الواقع وتفسره، وتدعو إلى الرحمة، والبساطة، والإحسان..... لكنه ما وجد أيّ فائدة. فالحياة تسير من سيئ إلى الأسوأ، والصراعات والحروب تاكل الأعمال والآمال. إنجازاته:

عمل في بداية حياته موزعا لجريدة صوت الشعب، ودخل المعتزك السياسي، وناضل مع رفاقه ضد الإحتلال الفرنسي، وبدأ كتابة المراسلات والعرائض للحكومة ثم انتقل للعمل بحارا وحمالا في مرفأ اللاذقية، ثم حلافا. وفي عام 1948م انتقل حنا إلى بيروت بحثا عن عمل. وعاد إلى دمشق وبدأ عمله الأدبي هناك في جريدة الإنشاء الدمشقية محررا متمرنا يتقاضى راتبا قدره 100 ليرة سورية، ثم أصبح رئيسا للتحريض، كما عمل في كتابة المسلسلات الإذاعية قبل أن يعمل في وزارة الثقافة. وتنقل حنا بين العديد من البلدان، فسافر إلى أوروبا ثم إلى الصين، لكنّه في النهاية عاد إلى سورية. وساهم مع عدد من الكتاب السوريين أمثال حسيب كيالي وممصطفى الحلاج في تأسيس رابطة الكتاب السوريين عام 1951م. وحصل على جائزة الكتاب العربي عام 2005م. وله أكثر من 40 رواية وقصة إحداها "المصباح الزرق" التي نقلها إلى التلفزيون، ورواية "الشرع والعاصفة" التي نقل نصّها إلى السينما. وأعدت رواية "المستنقع" بقايا ذكريات مينة في الإسكندرون، وقد وصفها الناقد الأديب صلاح فاضل بأنّها الأعظم من بين السير الذاتية على الإطلاق والأوفر صدقا والأغنى فكرا. أدبه:

يقول حنا لقد فكرت منذ قرأت عمر الفاخوري في الأربعينات كيف يكون الأديب من لحم ودم، وليس من حبر وورق، وأدركت ألا شيء يجعل الأديب حيّا، مثل أن يباشر الأحياء، ويخرج من وحدته التي لا تتيح سوى السقم والأشباح، وأنّ التجربة بأوسع وأعمق معانيها، بكلّ أخلاقيتها ولا أخلاقيتها، هي التي تكس وهيك الأديب باللحم، وهي التي تجعل الدم يجري في شرايينه وبذلك تؤهله لأن يكون خالقا حيا. يخلق شخصا أحياء يعيشون بيننا، ويتنفسون هواءنا ويكونون صورة عنا حتى إذا عايشناهم في الكتب قلنا: هؤلاء هم نحن.

"جسد مينا في رواياته المرأة المظلومة وكان معها قلبا وقالبا، وكان معها في روحه، وكان ينصرها، ويبرئها من التهم الموجهة إليها، هذه التهم لوّثها بها هذا المجتمع المتحلف المقهور المسحوق. هذه المرأة التي لم تستكن للإضطهاد

وتخطت شروطها القاسية كلها، كما جسدت الشخصيات الروائية وأبطالها في روايات حنا مينا الرجولة والقيم الكبيرة، وتمسكت بأشروعها الكبيرة، وهي الصدق والكرامة والشجاعة والمحبة والدفاع والتضحية في سبيل الآخرين، وفي سبيل الوطن، وكرهت الكذب والنفاق والخيانة. إضافة إلى ذلك صوّر مينا في رواياته الفقر والبؤس والحرمان تصويراً دقيقاً¹. ويقول سهيل إدريس عن مينا: "انه ربط بين الواقع والحلم ليخرج من الظلمة إلى الضوء ومن الحزن إلى الفرح الإنساني العميق بما يرسمه من خط المواجهة والتصدي ورفض الواقع"². "وجسد في رواياته البحر، وصوّر أبطاله والبحارة وصوّر كيف كان البحر يهزمهم مرة وينتصرون عليه مرات. "لقد غطى حنا مينا في رواياته شطرا مهما من تاريخ سوررية القريب. وشخصيات رواياته الواقعية رسم كيف تمرّد الفلاحون على بعض الإقطاعيين"³.

كان أدب حنا مينا واقعياً، وقال عن نفسه أنّه كاتب الواقعية الاشتراكية ويرفض الواقعية باعتبارها مدرسة في التعبير الأدبي تأخذ الواقعية كما هو، فالواقعية في الحياة في رأيها يصير واقعاً فنياً في العمل الأدبي. وحنا يميز بين القصة والرواية فهما مختلفتان، ففي حين أن الرواية حياة وبالتالي فهي تتقدم نجد أن القصة عبارة عن لقطة مفردة من الحياة، فهي تتراجع، وفي رأي حنا أنّه ليست فقط القصة وحدها هي التي تتراجع أمام تقدم الرواية، بل الشعر والمسرحية وكل الآداب النثرية. وفي رأيها أنّ كل إقحام للسياسة في الأدب دون أن ينبثق عن ذات الأدب، وضمن شرطه الفني يفسد العمل الإبداعي.

تأثيره على مسيرة الأدب:

كانت إسهامات حنا مينا كبيرة في ما يعرف بأدب البحر، وذلك لأنّ الأدب العربي القديم يكاد يكون خالياً من الإبداع العربي البحري، وكتب تقريباً ثمانية روايات عن البحر، لعل أهمها "الشرع والعاصفة" التي أطلق النقاد عليها اسم قصيدة البحر أو ملحمة البحر. وترجمت إلى الإيطالية ونال جائزة عليها. وقد أشار أحد الباحثين إلى أنّ البحر في أدبه إنّما هو مكان وإنسان وإله، تتعرّف إليه مادة وروحا وتصطاده رمزا وأسطورة وتقرأه فلسفة لمعنى الحياة ذاتها. وهكذا نجد أن المرأة والبحر لديه مرادفان للمغامرة والبحرية وارتياح المجهول واكتشافه، مناقضان للرتابة الإعتيادية، وهادفان دوماً إلى التجديد والتغيير.

¹ - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بحار- الدقل- المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011م

² - سهيل إدريس، حنا مينا والرواية، مجلة الطريق، بيروت، 1996م

³ - محمد الباردي، حنا مينا روائي الكفاح والفرح، دار الآداب بيروت، 1993م

قد ترجمت روايات حنا مينا إلى سبع عشرة لغة أجنبية، "المصاييح الزرق"¹ ترجمت إلى الروسية والصينية و"الشراع والعاصفة" إلى الروسية والإيطالية، و"الثلج يأتي من النافذة" درست في السوريين بفرنسا لطلاب القسم العربي، و"الشمس في يوم غائم" ترجمها منظمة اليونسكو إلى الفرنسية، وترجمت إلى الإنجليزية في جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية، و"بقايا صور" ترجمت إلى الصينية والإنجليزية في واشنطن والفارسية والألمانية، و"حكاية بحار" ترجمت إلى الروسية. هكذا انتشر أدب حنا مينا عالمياً وساعد هذا على انتشار تجربته في أوروبا والصين بالإضافة إلى الوطن العربي. وهو الذي كتب رواية الصين الكبرى في ثلاثية تقع في ألف صفحة بعنوان: "حدث في بياتخو، وعروس الموجة السوداء، والمغامرة الأخيرة". وهو يرصد واقع الصين في بداية الستينيات والثورة الثقافية في بناء الصين الاشتراكية في قمة الإضطراب والنكوص والإقدام والحماس. وقد كتب عن "النضال ضد الإحتلال الفرنسي" في أكثر رواياته، ووضح أن الإستعمار الفرنسي هو امتداد للإستعمار التركي العثماني الذي كان قبله، وهما وجهان لعملة واحدة وهي الإستغلال واستعباد الشعوب واستنزافها ونهب خيراتها. قد تخطت روايات حنا مينا حدودها اللغوية العربية باستقبالها المتنوع خارج حدودها القومية عن طريق الترجمة، بمعنى آخر كما تذكر الأستاذة وجدان يحي مجده أن توفر الشرط الإنتاجي، أي ما تتمتع به من مستوى فني فكري متميز، يكسب أعمال مينا الأدبية الصفة العالمية.

رواياته ومؤلفاته:

معظم رواياته تدور حول البحر وأهله، دلالة على تأثره بحياة البحارة أثناء حياته في اللاذقية، ومنها:

- المصاييح الزرق
- الشراع والعاصفة
- الياطر
- الشمس في يوم غائم
- بقايا صور
- الثلج يأتي من النافذة
- عروس موجة السوداء
- المرفأ البعيد
- البحر والسفينة

¹ - أول رواية للأديب حنا مينا، صدرت في عام 1954، دار الآداب بيروت

- الأبنوسة البيضاء
- نهاية رجل شجاع
- حكاية بحار
- المستنقع
- البحر والسفينة
- امرأة تجهل أنها امرأة
- حمامة زرقاء في السحب وغيرها الكثير الكثير

المصباح الزرق:

"المصباح الزرق" هي باكورة أعمال الروائي حنا مينا والذي يعدُّ الأكثر انتشارًا بعد نجيب محفوظ، رواية تصور حياة جماعة من الناس البسطاء أيام الحرب العالمية الثانية، ومن ورائها المجتمع في مدينة اللاذقية، وسوريا عموماً، وكيف أنه في فترة الحرب يتم طلاء المصباح باللون الأزرق لتوحي بمنظر المنائر (جمع منارة) البعيدة المحاطة بالضباب. ونستعرض ذلك من بطل الرواية فارس وتطور شخصيته من طفل إلى رجل بالغ. وقد تجاوز الروائي فكرة "أثر الحرب في الناس"، إلى تصوير حياة كاملة تلعب فيها أزمة الحرب دوراً كبيراً، ولكن الدور الأكبر هو لمجموعة هؤلاء الناس الذين يضطربون في تثنيات الكتاب، حياتهم اليومية، وكيف يعامل بعضهم بعضاً، وكيف يكافحون في سبيل العيش، وكيف ترتبط مصالحتهم الخاصة بقضايا أمّتهم، وكيف يفهمون النضال. وعلى الرغم من أن الرواية تبدأ وتنتهي بفارس إلا أنه ليس بطلها الوحيد، ففي الدار الكبيرة تعيش مجموعة من العائلات الفقيرة، فهناك أم صقر المرأة العجوز التي تخدم في البيوت وابنها الشاب العاطل عن العمل، ومريم السوداء وزوجها نايف الملقب بالفحل، وهما قصة بمفردهما. وقدمت الرواية في مسلسل تلفزيوني سوري، وترجمت الرواية إلى الروسية والصينية.

الشرع والعاصفة:

تقوم هذه الرواية بدورها على حكايتين: حكاية بطل وحكاية وطن أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد ألغها الكاتب في فترة زمنية دامت سنتين (1956-1958) يبدو الطروسي في هذه الرواية، الشخصية المركزية، فهو بحار يعيش لحظة الإنتظار والأمل، وقد ارتبط ماضيه ومستقبله بشاطئ اللاذقية، بعدما غرق مركبه أثناء عاصفة هوجاء عام 1936م. ولكي يظل دائماً رفيق البحر وجاره في الفصول الأربعة، افتتح مقهى على الشاطئ. وقد رغب في العودة إلى البحر، لكن الحياة تغيرت، إذ أصبح البحّارة عمالاً وهو لا يقدر في مثل هذا العمر، أن يتحمل هذه

الوضعية الجديدة أو أن يصبح رجلاً من رجال سادة الميناء. وهكذا يجد نفسه وحده، بعد موت والديه وسفر إخوته، يدير شؤون مقهى صغير يستقطب مشاغل البحارة. وقد وجد البطل نفسه في مواجهة صراعين، ينعكس الأول على حياة الميناء ويقوم على مواجهة بين رجلين ينتميان إلى أسرتين تتقاسمان النفوذ في المدينة، وتنتميان إلى تجمعين سياسيين مختلفين يتصارعان بدورهما في سبيل الوصول إلى الحكم بعد جلاء الفرنسيين، وينعكس الثاني على حياة الوطن عامة ويقسم الشعب بطريقة أو بأخرى، وهو يعكس الخلاف الكوني بين قوتين متصارعتين، المحور والحلفاء.

يُعتبر أبورشيد سيد الميناء، فهو وحده المالك للمواعين رغم تواضعه ولباس البحار الذي يرتديه، وهو يبسط نفوذه عبر أحد رجاله "الشرعيين" أبي أمين، مدير الميناء، ويعرض الرشاوي على أصحاب النفوذ في المدينة وكبار الموظفين، ويمول الحملات الانتخابية ويدعم مرشحيه، ولكنه يباشر صراعاً سياسياً مع خصمه الرئيسي، نديم مظهر الذي يُعدّ بدوره الرجل الأقوى في حي الشيخ ظاهر، بحكم أن العائلة التي ينتسب إليها تهيمن على حركة النقل في المدينة. وقد احتدم الصراع بين الرجلين، ذلك أن أباً رشيد الذي يدعم الكتلة الوطنية يسيء إلى مصالح عائلة مظهر التي تدعمها الكتلة الشعبية، وذلك بإثارة البحارة ورجال الأمن ضدها. بيد أن الطروسي الذي يعيش في الميناء يصبح طرفاً في هذا الصراع، فهو في البداية يرفض أن يخضع لسلطة مالك المواعين الذي يسعى إلى إبعاده عن الميناء حتى يحبط أي محاولة لتنظيم حركة نقابية تدافع عن حقوق العمال، فقد حاول في البداية أن يستعمل مدير الميناء، ثم وظّف أعوان الأمن، وفي النهاية عمد إلى محاولة قتله بواسطة أحد رجاله. وقد كان الطروسي يدرك طبيعة الخلاف الذي يفصل بين الرجلين، ولكن طبيعته وميوله الاجتماعية ووطنيته، تضعه في مواجهة الرجل القوي في الميناء الذي يقاوم أي شكل من أشكال التنظيم النقابي. ولكنه رغم الصداقة التي تربطه بنديم مظهر يدرك أن التناقض الطبقي يفصل بينهما ويجعله لا مبالياً إزاء الرجلين والكتلتين معا.

خارج الميناء يجد البطل نفسه في مواجهة صراع من نوع مغاير فرضته الحرب، ذلك أن مجموعة يونس بحري تساند ألمانيا في حرب الحلفاء، مقتنعة اقتناعاً تاماً بأفكار الدعاية النازية التي تربط استقلال الدول العربية بانتصار هتلر في حربه، إلى درجة أن أباً حميد زعيم المجموعة يرى العالم في وضعيتين ويعتقد أن المسألة لا تكون إلا ألمانية أو إنجليزية، في حين يبدو الأستاذ كامل رجلاً ملتزماً بقضايا السياسة دفعته ظروفه الشخصية إلى أن يكون نصيراً قوياً للحلفاء وللاتحاد السوفياتي بصفة خاصة، وصاحب أطروحة ترى أن القضايا السياسية معقدة وأن ما يحدث في العالم يوجه قضايا الوطن. وقد كان الطروسي في البداية متعاطفاً مع أنصار ألمانيا، لا يكثر بتنظيم العمال داخل النقابات في الميناء، ويسهل الاستماع إلى راديو برلين بالنسبة إلى "مجموعة يونس" في مقهاه، ولكنه لا يفهم جيداً تحمس الناس لألمانيا وروسيا وقضايا العالم. وبعد خيبة ألمانيا، عمق اتساع العمل

السياسي في الوطن وأثر أفكار الأستاذ كامل حبه الوطني والتزامه السياسي، بالإضافة إلى حدث غير مجرى حياته وأعادته إلى البحر والحرية تمثّل في إنقاذ مركب الرحموني من الغرق¹. وهكذا كان تحرر البطل رهن تحرر الوطن من الاحتلال وتحرر العالم من الخطر النازي. وهكذا يعتبر د. الباردي "الشراع والعاصفة" رواية تسجيلية، إذ وصفت الحركة النقابية في مدينة اللاذقية سنة 1946م والحياة السياسية عامة في الوطن أثناء الحرب العالمية الثانية. **الياطر:**

تتحدث رواية الياطر عن حياة صياد أقدم على جريمة قتل فيضطر للهرب، ليعيش في مكان ما على الحدود السورية التركية، وتتداخل فيه أصوات عديدة، ومرجعيات متنوعة لتصنع عالمه الخاص. هي قصة تراوح بين الأحداث في الغابة، وذكريات المدينة، ضمن زمنين: زمن فيزيائي "الحياة على الشاطئ في الغابة"، وزمن نفسي لحظة ارتكابه لجريمة القتل، حيث يعيش غريباً وحيداً هارباً في خيمة نصّبها على شاطئ البحر، إلى أن يصادف راعية من بلاد الأتراك. وهو متزوج بفتاة، فيطمح بأن تكون هذه الفتاة هي صلة الوصول بالعالم الخارجي. وتتوالى الأحداث كاملة في حياتها الكثير من الأحداث والغربة والحب والبحث عن الأمان.

نهاية رجل شجاع:

استخدم حنا مينا شخصية "مفيد" للدلالة على تناقضات النفس البشرية، والصراع بين الخير والشر داخلها، ومفيد ليس إلا مثلاً أراد مينا أن يوصل من خلاله رأيه حول هذا الصراع الذي يمثّل بدوره طبيعة من طبائع البشر، فشخصية مفيد البسيطة تدفعه مع قلّة إدراكه وفهمه إلى الدخول في صراعات أكبر منه، بالتزام مع اندفاعه غير المدروس وتمسكه برأيه دون تفكير مسبق، وهذه الطبيعة تتغلب على إرادة الإنسان في بعض الأحيان. تسرد حكاية مفيد، تربي مفيد على يد والده الذي كان يعمل فلاحاً، وكان يعامله بعنف بهدف تربية صحيحة، إلا أن هذا العنف تحول إلى الابن، فأقدم مفيد وهو في السن الثانية عشر على قطع ذنب حمار، مما أثار حنق أهل القرية عليه، وصار لقبه "مفيد الوحش"²، لأجل هذا ربطه والده بحبل إلى جذع شجرة وضربه أمام أهل القرية، وانعكس هذا التصرف على الفتى المسكين، فاضطر لمغادرة أهله وجيرانه وقريته ولم يعد إلهم. مع مجيء الاحتلال الفرنسي إلى وطنه سوريا، سجنه الفرنسيون لمدة عامين وذلك بعد شجار معهم، وقد تركت هذه الحادثة أثرها في نفسه، فخرج من السجن رجلاً آخر، رجلاً يفهم معنى الحياة، بعد خروجه يتزوج من لبيبة ويعمل

¹- حنا مينا، الشراع والعاصفة، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2006م

²- حنا مينا، نهاية رجل شجاع، دار الآداب، بيروت، 1997

في صيد الأسماك في مرفأ اللاذقية، وبسبب قوته البدنية وشجاعته كان سكانها يحسبون له ألف حساب، فرغم كل شيء بقيت نزعة العنف في داخله، وخاض العديد من المشاكل والشجارات، ليأتي اليوم الذي يعود فيه إلى السجن مدة خمس سنوات، ثم أصابه مرض السكر هناك، واضطر الأطباء إلى قطع ساقه، ليخرج رجلاً آخر، مليء بالكأبة ولا يحلم سوى بامتلاك ساقين صناعيين ليعود إلى الحياة، صديق قديم له وقف إلى جانبه في محنته وأعاد إليه الأمل وعاد مفيد للعمل. في إحدى الأيام صادفه عدو قديم كان معه في المرفأ، فتشجارا، مما دفع الشرطة إلى إيقافه وقطع أحلامه قبل أن تتحقق، وهنا عادت نزعة العنف عند مفيد فقتل رجلاً، ومن ثم انتحر، بعد أن وجد أن لا معنى لحياته.

أدب البحر في كتابات مينا :

عرف مينا بالكاتب المكافح، حيث امتن أعمالا كثيرة ليوافقه ما يسميه بـ "الفقر الأسود"، ولم يترك عملا في الحياة إلا وجربه، في الميناء ومراكب البحر وكأجير صيدلي وحلاق وصولا إلى صحفي. يقول: "وبعد ذلك وجدت نفسي كاتباً ولا أدري كيف؟". تميّزت كتاباته بتوظيف فكرة العدالة الاجتماعية مدافعا عن حق كل إنسان في الحياة والرغيف والملبس... وقد فرضت طبيعة حياته وقسوة واقعه ذلك التوجه الذي لم يكن اختياراً منه، إذ يقول: "أنا فتى الميناء وهذا ليس باختيارى". البحار لا يصطاد من المقلاة وكذلك لا يقعى على الشاطئ، بانتظار السمكة السردين التافهة. إنه أكبر بكثير وأضاف مينا: "أنا هنا أتحدث عن البحار لا عن فتى الميناء! الأدباء العرب أكثرهم لم يكتبوا عن البحر لأنهم خافوا معاينة الموت في جبهة الموج الصاحب"¹.

كتب حنا مينا أكثر من 30 رواية أدبية طويلة غير القصص القصيرة، منها عدة روايات خصصها لعشقه "بحر اللاذقية"، وكانت أولى رواياته الطويلة التي كتبها "المصباح الزرق" عام 1954، وتوالت إبداعاته وكتاباته بعد ذلك. ورواية "الياطر" (أي وسادة السفينة) تعتبر من أروع وأجمل روايات البحر في الأدب العربي، وهو من أكثر الروائيين العرب الذين كتبوا عن البحر والأجساد التي حرقها الأملاح والشمس.

إنّ هذا الأزرق الواسع استطاع أن يمتلك حنا مينا امتلاكاً بعد معايشة طويلة، وصداقة حميمة. إنه روائي البحر العربي بدون منازع، تغني حنا بشجاعة البحار في صراعه مع البحر. يحضر البحر في متن حنا مينا الروائي، بوصفه ذاكرة وهوية، وكأفق ينعكس على صفحاته المعرفي والأيديولوجي والوجودي، فالبحر بكل تناقضاته وغموضه وأسراره يغدو في تجربة مينا عالماً حكاياً، يمتلك خصوصيته من كونه فضاءً ممتداً امتداد أحلام الإنسان وتطلّعاته؛ ذلك أن المشاعر المتناقضة التي يمنحها البحر للإنسان هي التي تجعل منه فضاءً مغرياً،

¹ - حنا مينا، الرواية والروائي، مختارات 6، ط1، دار البعث، وزارة الثقافة دمشق، 2004

وقد استطاع مينا أن يخلق عبر تجربته السردية بحره الخاص، من خلال التغلغل إلى عالم الصيادين بكل تفاصيله؛ لذا فإنه ينظر إلى ذلك العالم من أكثر من زاوية، عبر وجهات النظر التي يبثها في عالمه الحكائي، ولم يعزل مينا شخصياته عن المدينة الساحلية التي يعيشون فيها اللاذقية، بل جعل البحر عالمًا متداخلًا مع البر ومتممًا لسيرورة الحياة فيه، على النقيض مما تكرر في أعمال سردية أخرى، ولا سيما رواية "الشيخ والبحر" لآرنست همنغواي¹؛ فإن أبطال حنا مينا ليسوا على ذلك القدر من التصوير الملحي، فهم يعيشون في البحر ويعودون منه ليمارسوا حياتهم الطبيعية ويتفاعلوا مع المكان الروائي وينفعلوا به، وهذا ما تؤكد المدونة السردية لمينا.

لقد أثر البحر على حنا مينا نفسه، قبل أن يؤثر في إنتاجه الإبداعي، ولا سيما أن نتاجه السردية كان بحريًا بامتياز، بل إنه أهم من وظف البحر في الرواية العربية؛ لذا لُقّب بـ (أديب البحر) و(شيخ البحارة)، ولعل في الوقوف على ما كتبه وما قاله مينا، في الكتب والحوارات الصحفية، حول تجربته، خير سبيل لكشف تأثير البحر في وعي المبدع ولغته، وقد بين مينا مراحل تطور تجربته الروائية الغنية التي تمتد إلى أكثر من نصف قرن، تاركًا مادة روائية تسعف الباحث وتغني فضوله المعرفي.

وقد بدأ تجربته الروائية بكتابة رسائل للجبران أو عبارات على الجدران، إذ يقول "بداياته الأدبية الأولى كانت متواضعة جدا، فقد أخذت منذ تركت المدرسة الابتدائية بكتابة الرسائل للجبران"² وكان للبحر أثر كبير في وعيه، وقد عبّر عن ذلك بقوله: "البحر كان دائمًا مصدر إلهامي، حتى إن معظم أعمالي مبلة بمياه موجه الصاخب، وأسئل دائمًا هل قصدت ذلك متعمدًا؟ في الجواب أقول: في البدء لم أقصد شيئًا. لحي سمك البحر، دمي ماءه المالح، صراعي مع القروش كان صراع حياة، أما العواصف فقد نقشت وشمًا على جلدي. إذا نادوا يا بحر: أجبنا أنا. البحر أنا فيه، ولدت وفيه أرغب أن أموت"³. يظهر من هذا القول مدى التماهي، بين مينا والبحر، فقد ذاب في مياه البحر واستمد منه عوالم حكاياته وصور أبطاله، فهو لا ينظر إلى البحر، بوصفه عالمًا مستقلًا يلفّه السحر والغموض، بل ينظر إليه بوصفه انعكاسًا للحياة والصراع الناشب بين الفقراء والبرجوازيين من جهة، والفلاحين المستضعفين والمستعمر الفرنسي من جهة أخرى.

كان حنا مينا على وعي تام بأهمية المكان والمجتمع في تكوين الفنان والمبدع، فالإنسان ابن تاريخه الاجتماعي، وقد أظهر مينا أثر البحر في لغته السردية، فقد اختار اسم محمد بن زهدي الطروسي بطلًا لروايته "الشرع والعاصفة"، وعلل ذلك بأنه اسم ملائم لجو البحر الذي تدور فيه أحداث الرواية، وكذلك فعل في رواية

¹- هو كاتب صحفي أمريكي يعد من أهم الروائيين وكتاب القصة الأمريكية

²- حنا مينا، الرواية والروائي، مختارات 6، ط1، دار البعث، وزارة الثقافة دمشق، 2004

³- نفس المرجع

"الياطر" عندما اختار اسم زكريا المرسلني اسماً لبطلها؛ إذ كان المرسلني شخصية عجيبة فقد كان نصف إنسان ونصف وحش. "مهنة الكاتب ليست سواراً من ذهب، بل هي أقصر طريق إلى التعاسة الكاملة، لا تفهموني خطأ، الحياة أعطتني سخاء"، هذا ما قاله الروائي السوري حنا مين الذي وجد في البحر مصدراً لإلهامه، فكانت معظم أعماله مبللة بمياه موجه الصاحب.

الخاتمة: هذه المقالة محاولة متواضعة للدراسة الأدبية عن الروائي القاص حنا مينا وأسلوبه الممتاز في فن الرواية خاصة في الأدب البحري. وجدير بالذكر هنا أنّ هذا الأديب الشهير كان في ال الواقعي في تناول رواياته وقصصه. إضافة إلى هذا نفهم من معظم رواياته عن حياته ومشاكله التي واجهها الأديب، هو الأديب الذي كتب كثيراً من الروايات حول البحر وحياة البحارة في الأدب العربي من تجربته النفسية. على كل حال انطفأت شغلة حياة هذا الأديب في الآونة الأخيرة، وكانت هذه الكارثة في عالم الأدب في أغسطس 2018م.

المصادر والمراجع

1. حنا مينا، حوارات وأحاديث في الحياة والمتابيات الروائية، ط1، دار الفكر الجديد، بيروت، 1992م
2. حنا مينا، الرواية والروائي، مختارات 6، ط1، دار البعث، وزارة الثقافة دمشق، 2004
3. حنا مينا، الشراع والعاصفة، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2006م
4. حنا مينا، مصابيح الزرق، دار الآداب، بيروت، 1954م
5. حنا مينا، نهاية رجل شجاع، دار الآداب، بيروت، 1997م
6. حنا مينا، الياطر، دار الآداب، بيروت، 1972م
7. سهيل إدريس، حنا مينا والرواية، مجلة الطريق، بيروت، 1996م
8. شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينا، مجلة اللغة والآداب، 1989م
9. صياح الجهم، ملامح من حنا مينا، ط1، دار إيبلاء، دمشق، 1989م
10. عبد المحسن طه بدر، حول الأديب والواقع، ط2، دار المعارف، القاهرة
11. محمد الباردي، حنا مينا روائي الكفاح والفرح، دار الآداب بيروت، 1993م
12. محمد هادي مرادي- محسن خوش قامت، دراسة تحليلية لرواية الثلج يأتي من النافذة لحنا مينا، فصيلة إضاءات نقدية، عدد2، 2012م.
13. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بحار- الدقل- المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011م
14. يوسف الحمادة، حنا مينا ومياه الولادة الدائمة، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة دمشق، 2006م.

أثر اللغة العربية في أسماء المناصب في لغة هوسا في غانا

(دراسة تقابلية)



الدكتور عباس شمس الدين إبراهيم

محاضر في كلية التربية وعلوم الاتصالات

بقسم تعليم اللغات وتعليم اللغة العربية

جامعة التدريب على المهارات و تنمية ريادة الأعمال كوماسي . غانا

ABSTRACT: This research aims to highlight the relationship between the Arabic language and the language of Hausa in terms of words and connotations and the effects of the Arabic language on the Hausa language. The method adopted in this research will be to compare the Arabic language with some of the titles used in naming positions in the Hausa language in Arabic words in terms of origin, derivation and significance. The language of Arabic in the Hausa language has been widely influenced by the spread of Islam and the movement of traders on the continent. Africa is a region full of very many indigenous languages of up to 3,000,000 languages, and those languages vary in prevalence and use power from one language to another. It is also influenced by Arabic, one of the most popular and powerful African languages in West Africa, the Language of Hausa, whose speakers come from Nigeria, Niger, Cameroon, Chad, Ghana, and other countries in the world. The Hausa tribes are tribes that were influenced by Islam in the past, and this made them settle a set of Arabic words in many areas of daily social and organizational life and their obsession with derivation in terms of organization and the lending of words to positions, such as: "wakili" for one who is human agent in something, and (waziri) for one who is minister of prince, indicating that the Hausa tribe is influenced in organizing the emirate in Arabs and in Arabic. The Hausa people borrowed a set of words to act on them to conform in their language or without conduct, and I may focus in this research on the aspects of the influence of the Arabic language in Hausa in administrative organization and the names used for administrative positions.

ملخص البحث: ويهدف هذا البحث إلى إبراز العلاقة بين اللغة العربية وبين لغة هوسا في الألفاظ والدلالات وأثر اللغة العربية فيها ، وسيكون المنهج المعتمد في هذا البحث المقارنة بين اللغة العربية وبين لغة هوسا في الأسماء المستعملة في المناصب وعلاقة تلك الأسماء باللغة العربية من حيث الأصل و الاشتقاق والدلالة. وتأثر لغة هوسا باللغة العربية تأثر واسع بسبب انتشار الإسلام وحركة التجارة في القارة. كما أن التأثير باللغة العربية ليس في مجال المفردات فقط بل تأدى إلى جوانب عديدة، لكننا سنقف

في مجال الألفاظ والمفردات المتعلقة بالمناصب والإدارة الأميرية .

وأفريقيا منطقة تعجّ بلغات أصلية كثيرة جدا تصل إلى 3000 آلاف لغة ، وتختلف تلك اللغات في انتشارها وقوة استعمالها بين لغة وأخرى، وكذلك في تأثيرها وعلاقتها باللغة العربية ، ومن أكثر اللغات الأفريقية انتشارا وقوة في غرب أفريقيا ، لغة هوسا التي تنحدر المتكلمون بها من نيجيريا والنيحروالكاميرون وتشاد وغانا، وغيرها من البلدان في العالم، وإن قبائل هوسا من القبائل التي تأثروا بالإسلام قديما، وهذا جعلهم قد استقربوا مجموعة من الألفاظ العربية في مجالات كثيرة من مجالات الحياة اليومية والاجتماعية والتنظيمية وهوسوها على اشتقاقهم، وبخاصة في الحياة الأميرية من حيث التنظيم واستقراض الألفاظ الدالة على المناصب، مثل: (وكيلي) لمن يكون وكيلًا للإنسان في أمر ما ، و(وزير) لمن يكون وزيرًا لأمير، مما يدل على تأثر قبيلة هوسا في تنظيم الإمارة بالعرب وباللغة العربية ، فاستقرضت مجموعة من الألفاظ بالتصرف فيها لتتوافق بلغتها أودون تصرف، ولعلي أركز في هذا البحث على جوانب تأثير اللغة العربية في هوسا في التنظيم الإداري والأسماء المستعملة للمناصب الإدارية.

المدخل: فإن اللغة كائن حي في المجتمعات، بها يتم التواصل بين البشر في العالم، ولذلك عبر ابن جني عن اللغة، بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهذا يؤكد لنا أهمية اللغة بشكل عام، وبأهمية اللغة العربية بشكل خاص، حيث إنها لا تقف عند التواصل بين البشر والبشر، وإنما تتعدى إلى التواصل بين البشر وبين رب البشر، حيث إن القرآن الكريم نزل باللغة العربية مما يؤكد الحاجة إلى تعلمها لتأكيد العلاقة بين البشر وبين رب البشر في العبادات التي يشترط في أدائها اللغة العربية كالصلوات الخمس ، قال الإمام الشافعي : ((فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكريما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح، والتشهد، وغير ذلك. وما ازداد من العلم باللسان، الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه: كان خيراً له. كما عليه يتعلم الصلاة والذكر فيها، ويأتي البيت، وما أمر بآتيانه، ويتوجه لما وجه له. ويكون تبعاً فيما افترض عليه، ونُدب إليه، لا متبوعاً))⁽¹⁾

وأفريقيا منطقة تعجّ بلغات أصلية كثيرة جدا تصل إلى 3000 آلاف لغة ، وتختلف تلك اللغات في انتشارها وقوة استعمالها بين لغة وأخرى، وكذلك في تأثيرها وعلاقتها باللغة العربية ، ومن أكثر اللغات الأفريقية انتشارا وقوة في غرب أفريقيا ، لغة هوسا التي تنحدر المتكلمون بها من نيجيريا والنيحروالكاميرون وتشاد وغانا، وغيرها من البلدان في العالم، وإن قبائل هوسا من القبائل التي تأثروا بالإسلام قديما، وهذا جعلهم قد استقربوا

(1) الشافعي ، محمد ، الرسالة ، 47 / 1

مجموعة من الألفاظ العربية في مجالات كثيرة من مجالات الحياة اليومية والاجتماعية والتنظيمية وهوسوها على اشتقاقهم⁽¹⁾، وبحاصة في الحياة الأميرية من حيث التنظيم واستقراض الألفاظ الدالة على المناصب، مثل: (وكيلي) لمن يكون وكيلًا للإنسان في أمر ما، و(وزير) لمن يكون وزيرًا للأمير، مما يدل على تأثر قبيلة هوسا في تنظيم الإمارة بالعرب وباللغة العربية، فاستقرضت مجموعة من الألفاظ بالتصرف فيها لتتوافق بلغتها أو دون تصرف، ولعلي أركز في هذا البحث على جوانب تأثير اللغة العربية في هوسا في التنظيم الإداري والأسماء المستعملة للمناصب الإدارية⁽²⁾، وعنوانت البحث بأثر اللغة العربية في أسماء المناصب في لغة هوسا دراسة تقابلية، تحت محور العلاقات التقابلية بين اللغة العربية واللغات الأفريقية، وقد وضعت للبحث خطة علمية مكونة من مقدمة وثلاثة مباحث، المقدمة ذكر فيها أهمية البحث وخطته والمنهج المتبع في البحث.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز العلاقة بين اللغة العربية وبين لغة هوسا في الألفاظ والدلالات وأثر اللغة العربية فيها، وسيكون المنهج المعتمد في هذا البحث المقارنة بين اللغة العربية وبين لغة هوسا في الأسماء المستعملة في المناصب وعلاقة تلك الأسماء باللغة العربية من حيث الأصل والاشتقاق والدلالة. وتأثر لغة هوسا باللغة العربية تأثروا سبب انتشار الإسلام وحركة التجارة في القارة. كما أن التأثر باللغة العربية ليس في مجال المفردات فقط بل تأدى إلى جوانب عديدة، لكننا سنقف في مجال الألفاظ والمفردات المتعلقة بالمناصب والإدارة الأميرية.⁽³⁾

المبحث الأول: قبيلة هوسا وتحتة خمسة مطالب:

المطلب الأول: تاريخ قبيلة هوسا

المطلب الثاني: لغة هوسا بين لغات أفريقيا

المطلب الثالث: دخول لغة هوسا في غانا

المبحث الثاني: هيكلية الإمارة عند قبائل هوسا وتحتة ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الألفاظ العربية في أسماء المناصب في لغة هوسا.

المطلب الثاني: دلالات الألفاظ في العربية ولغة هوسا

المطلب الثالث: الألفاظ الأخرى

الخاتمة: فيها أهم ما توصل إليه الباحث.

المبحث الأول: قبيلة هوسا وتحتة ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تاريخ قبيلة هوسا

لا تخلو منطقة من مناطق القارة الأفريقية، ممن ينتمي إلى قبائل هوسا، أو ممن يتحدثون بلغة هوسا في القارة الأفريقية، وتشير تقديرات المختصين إلى أن عدد قبائل هوسا في العالم يصل إلى 100 مليون نسمة، وهذا

(2) قدرماري، بابكر حسن محمد، الأثر العربي في اللغات والثقافات الأفريقية

(3) أبو مانغا، الأمين، أثر الإسلام و اللغة العربية وأدائها في نشأة وتطوير أدب الهوسا، مجلة دراسات أفريقية، العدد 11 يونيو 1994، ص: 140.

(3) <https://dibustom.wordpress.com/2011/05/06/> بين- اللغتين- مقالة- درس- علم- اللغ

يؤكد لنا بأن القبائل الهوساوية من القبائل الكثيرة والواسعة الانتشار في القارة الأفريقية . وتوجد مناطق في القارة الأفريقية تنسب إليها الموطن التقليدي والأصلي لقبائل هوسا في أفريقيا ، وهي منطقة جبل الهواء في النيجر مرورا ببحيرة تشاد ثم إلى داخل دولة مالي (التي كانت تعرف امبراطورية سنغاي القديمة) على طول نهر النيجر ، ثم تمتد لداخل دولتي نيجيريا والسودان .

وقد انتشرت هذه القبيلة في أرجاء العالم لعدة أسباب ترجع مجملها إلى الأسباب التجارية وأداء الحج ، وقد تركزت هذه القبيلة في كل من غانا والجابون للأسباب التجارية كما تركزت في بلاد الحرمين مكة والمدينة بسبب أداء الحج وزيارة مسجد النبي الكريم⁽¹⁾ .

وكلمة (هوسا) من حيث الحروف التي تكونت منها يمكن أن تكون كلمة عربية من مادة (ه و س) الدالة على التبحر والاضطراب ، وتدل ببعض دلالاتها على معان أخرى منها الدلالة على الشجاعة ، كما قد تدل الكلمة على شعوب بعينها وعلى مواقع بعينها في اللغات الأخرى . وتعد قبيلة هوسا من القبائل الأكثر انفتاحا وانسجاما بمن حولهم فقد تمكنوا من التأثير على من حولهم بتقبل لغتهم والتعامل بها ، بل التعليم بها في بعض الدول الأفريقية⁽²⁾ .

وأما دلالة الكلمة في لغة هوسا فإنها مكونة من مقطعين وهما (هَوُ) و (سَا) بالمد ، فهَوُ في لغة هوسا بمعنى (اُرْكَبُ) و (سَا) بمعنى الثور ، وجاءت هذه التسمية من روايتهم أن مجموعة من الأغراب جاءوا إلى بلاد الهوسا ، وكانوا يركبون الثور كوسيلة نقل وترحال ، ومن هنا سموا بركاب الثور ، (هَوُسا) .

وكلمة هوسا لها دلالة في اللغات الأفريقية الأخرى ، كلغة سنغاي بمعنى جهة الغرب ، وقد تكون لها دلالات أخرى في اللغات الأفريقية الأخرى ، بل في نفس لغة هوسا تكاد تكون الكلمة دالة على قبائل تسكن في جهة الشرق فيقولون : أهل هوسا بمعنى الذين يسكنون في شمال نيجيريا من قبائل الهوسا والفلاته وغيرهم⁽³⁾ .

المطلب الثاني : لغة هوسا بين لغات أفريقيا

وتصنف لغة هوسا من قبيل اللغات التي تنتمي إلى العائلة التشادية التي يتحدث بها سكان شمال نيجيريا وجنوب النيجر ، وتستخدم لغة هوسا بلهجات مختلفة ، ففي المنطقة الواحدة تستخدم بلهجات مختلفة لهجة التجار ولهجة التعليم التي تميل إلى اللهجة القديمة الأصلية ، وهكذا .

وتعد لغة هوسا من حيث الانتشار والتوسع تناقص اللغة السواحلية في شرق أفريقيا ، حيث إن اللغة موجودة في عشرة دول في أفريقيا مثل : الكاميرون ، والغابون ، وتوجو ، وبوركينا فاسو ، وساحل العاج ، والسنغال ، والسودان ، وغانا ، وأما مواطنها الأصلية فهي نيجيريا والنيجر ، وتقدر الناطقين بها بما يقارب 30 مليون نسمة في

(1) مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد السادس ، 2013 م

2010-3-26 م <http://sudanesehausa.yoo7.com/t85-topic> (2)

(1) مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد السادس ، 2013 م

العالم⁽¹⁾.

ولغة هوسا لها تأثير كبير في غانا حيث إنها تستعمل بين التجار كما أنها تستعمل في التدريس وفي الوعظ بشكل كبير سواء من أهلها أو ممن تأثروا باللغة، ولا تكاد تجد مسلماً من أية قبيلة من القبائل إلا وهو يتحدث لغة هوسا ولو بشكل مكسّر كما في شمال غانا.

المطلب الثالث: دخول لغة هوسا في غانا

لغة هوسا من اللغات الأفريقية التي انتشرت في غرب أفريقيا، وتوسعت فيها بحكم التجارة، فقد دخلت إلى غانا منذ ما يقارب 500 سنة الماضية، وأول ما دخلوا في غانا سكنوا في مناطق الشمال الشرقي من غانا، وتفاوتت هجراتهم بين قرن وآخر بسبب الحروب التي نشبت بين قبيلة هوسا وبين قبيلة الفلاتة. وتعدّ لغة هوسا من أكثر اللغات الأفريقية الوافدة في غانا والتي تستخدم بشكل واسع في غانا.⁽²⁾

المبحث الثاني: هيكلية الإمارة عند قبائل هوسا وتحت ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الألفاظ العربية في أسماء المناصب.

إن قبائل هوسا من القبائل الأفريقية التي تأصلت فيها الديانة الإسلامية منذ قديم الزمان، لذا تجد أثر الإسلام واضحاً فيهم، وكذلك اللغة العربية مؤثرة فيهم من جميع مناحي الحياة، وأما ما يتعلق بالدين فإن أكثر الكلمات فيها استقرضوها من العربية واستخدموها بأنماط مختلفة، تجد ما لم يتغير إلا بصوت بسيط كتضعيف صوت صامت وهكذا، مثل: الزكاة فإنهم يقولون: زَاكَا، وإبدال بعض الأصوات الصامتة ببعض كإبدال الثاء تاء وإسكان الحرف الأخير في العدد ثلاثين، فإنهم يقولون: تَلَاتِينْ وهكذا.

ومن أبرز النواحي التي تأثرت فيها لغة هوسا واستقرضوا فيها الألفاظ العربية بمفاهيمها التي استخدمت لها في العربية وفي الإسلام، مناصب الإمارة والإدارة، مما يؤكد لنا أن الإسلام تأثر فيهم في كثير من النواحي وبخاصة في مناصب الإمارة والإدارة، والألفاظ المستعملة في مناصب الإمارة والإدارة عند هوسا على النحو الآتي:

تسمية المناصب في إمارة هوسا في غانا

م	المنصب بالحروف اللاتينية	المنصب بالحروف العربية	المراد منه
1.	Waziri	وَزِيرِي	المعاون للأمير أو النائب عنه في إدارة الإمارة والموظفين من الوزارة، وهو من أجل أرباب الدولة وأرفعهم رتبة

(1) <http://www.azhar.edu.eg/languages/newspage/> 2018

(3) https://joshuaproject.net/people_groups/12070/GH 2017-2-11 م

المسؤول عن شؤون الأسرة الأميرية	غَالَادِيمَا	Galadimah	2.
رئيس الشؤون المالية	تُورَاكِي	Turaki	3.
الذي يتولى أمور الإمارة	مُتَوَالَا	Mutawalah	4.
الرجل الثري من رجالات الأمير الذي يلبي طلبات الأمير المالية .	طُولْبَا	Talbah	5.
الرئيس المسؤول عن الزراعة والموارد المائية من كلمة رفو بمعنى الاتفاق والسكون ومن ذلك أرفأت إليه لجأت إليه ومنه أرفأت السفينة إذا قربتها للشط وذلك المكان مرفأ .	مَرَا فَا	Marafah	6.
المسؤول عن ثياب الأمير	ثِيْرُومَا	Chiromah	7.
المسؤول عن بلاط الإمارة حال جلوس الأمير في المجلس	سَرْكِي فَاذَا	SarkiFadah	8.
المسؤول عن شؤون القتال	سَرْكِي يَاكِي	SarkiYaaki	9.
أمير الشباب	سَرْكِي سَمَارِي	SarkinSamari	10.
قائد حراس قصر الأمير	سَرْدُونَا	Sardawnah	11.
	جَرْمَا	Jarmah	12.
المسؤول عن الاستئذان في الدخول إلى الأمير وإبلاغ سلام الناس إلى الأمير	سَلَمَا	Sallamah	13.
المسؤول عن الأمير	مَغَا جِي	Magaji	14.
رئيس القواد من الشباب	بَرَادِي	Baradey	15.
الحارس الشخصي للأمير	غَرْكُوَا	Garkuwah	16.

الرئيس المسؤول عن الشؤون الإدارية الخاصة للأمير	مَقَامَا	Makamah	17.
الرئيس المسؤول عن الشؤون الخاصة للأمير من الطعام وغيره من الأمور الترفيهية للأمير	مَاجِيدَادِي	Majidadi	18.
المسؤول عن خيل الأمير	مداواكي	Madawaki	19.
الحاجب أو الذي يتوسط بين الأمير وبين الناس .	شَامَاكِي	Shamaki	20.
ابن الأمير	يَرِيمَا	Yarimah	21.
المسؤول عن خيل الأمير، وصاحب المظلة.	سَرْكِي دَوَاكِي	Sarkindawaki-Matutah	22.
القائد بين كبار الشخصيات	سَرْكِي بَاي	Sarkibaye	23.
المسؤول عن تنصيب أمير جديد	سَرْكِينَادِي	Sarkinadi	24.
المسؤول عن بيت الأمير	سَرْكِي جِيدَا	SarkiGidah	25.
الإتاوة التي تدفع للإمارة	خَرَاكِي	Kharaji	26.
المسؤول عن الشؤون الاجتماعية العامة و أعمال الخير	وَانْبَاي	Wabai	27.
المسؤول عن ماء الأمير	مَآغَاكِي رَافِي	Magajin Rafi	28.
الذي يتولى عن الأمير في أمور الدين	وَالِي	Wali	29.
المسؤول عن الشؤون الطبية	شَانْتَلِي	Shantali	30.
المسؤول عن خيل الأمير	مِيدَاوَاكِي	Mahdawaki	31.
والد الأمير	دُورْبِي بَابَانْسَرْكِي	Durbi- Babansarki	32.
السمو والرتبة	مَرْتَبَا	Martabah	33.

34.	IMAM	إِمَام	الذي يتولى الإمامة في الصلوات و الشؤون الدينية
35.	Sarki	سَرْكِي	السلطان
36.	Mulki	مولُكي	الملِك
37.	Hakimi	هَأكِي	الحاكم
38.	Hukunta	هوْكُونْتَا	الحُكْم

وأما الكلمات التي استقرضت من العربية في تلك المناصب التي لا تختلف عن الكلمة العربية إلا بشكل طفيف جداً ويحدث في الكلمة عند استعمالها في هوسا ظاهرة اللواصق من سوابق (Prefixes) أو دواخل (Infixes) أو لواحق (Suffixes). كحذف (أل) من الكلمة مع مد آخرها، أو بمد آخر الكلمة فقط.

م	اسم المنصب في العربية	اسم المنصب في هوسا	التغيير الحاصل في الكلمة
1	السلطان	سَرْوْتَا	حذف (أل) وإبدال اللام راءا والطاء واوا مع زيادة التاء ومدها وحذف النون .
2	الوزير	وَزِيرِي	حذف (أل) ومد الراء بالياء
3	المتولي	مُتَوَلَا	حذف (أل) مع مد اللام بالألف
4	سَلَم	سَلَمَا	مد الميم بالألف
5	المقام	مَقَامَا	حذف (أل) مع مد الميم بالألف
6	الخراج	خَرَاْجِي	حذف (ال) ومد الجيم بالياء
7	الوالي	وَالِي	حذف (أل)
8	مرتبة	مَرْتَبَا	حذف التاء ومد الباء بالألف
9	الإمام	لِيَمَامِي . لِيَمَان	حذف (الهمزة) وكسر اللام

مع مد الميم بالياء . أو حذف الهمزة مع إبدال الميم نونا .			
حذف (أل) مع مد الآخر بالياء	مُولِي	الملك	1 0
حذف (أل) وإبدال الحاء هاء مع مد الآخر بالياء	هَآكِي	الحاكم	1 1
حذف (أل) وإبدال الحاء هاء، مع مد الكاف بالواو وإبدال الميم نونا وزيادة التاء مع مدّها بالألف .	هُوْكُونَتَا	الحكم	1 2
قطع الهمزة مع مد الآخر بالألف .	أَلْخَلِيفَا	ال خليفة	1 3
حذف (أل) وإبدال الطاء تاء ومدّها بالواو ومد الباء بالألف .	تُولْبَا	الطَّلْبُ	1 4
قلب الهمزة ألفا ومد الفاء وزيادة ألف بعد الراء	مر افا	مرفأ	1 5

فهي على النحو الآتي :

يلاحظ فيما حصل للكلمات العربية التي استعملت في أسماء المناصب حسب القائمة السابقة ظاهرتي الإبدال والحذف مع زيادة بعض الحروف على بعض الكلمات، والحذف فيها حذف الأصوات الصامتة القصيرة وتضعيف الأصوات الطويلة .

المطلب الثاني: دلالات الألفاظ في العربية وموسا

أ- في العربية

م	اسم المنصب في العربية	دلالتة في العربية
1	السلطان	من القوة والقهر ومن ذلك السلاطة من التسلط وهو القهر، ولذلك سمي السلطان سلطاناً. وبعد كلمة السلطان لقباً على وزراء العباسيين ⁽¹⁾ .
9	الإمام	بمعنى كل من اقتدي به وقدم في الأمور، وقد يجاري معنى الرئيس إلا أن يستعمل في الأمور الدينية.
11	الحاكم	يدل على المنع وهو المنع من الظلم ومن ذلك سمي الحاكم الذي يمنع من الظلم.
12	الحكم	المنع من الظلم.
6	الخراج	كلمة عربية بمعنى الإتاوة، لأنه مال يخرج المعطي
13	ال خليفة	مجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، ومن ذلك سمي الذي يخلف النبي خليفة،
4	سلم	هذه الكلمة عربية من السلام والتحية
14	الطلب	ابتغاء الشيء، وهو هنا يقصد به الذي يلي طلبات الأمير المالية.
3	المتولي	من الوالي بمعنى القرب، وكل من ولي أمر آخر فهو وليه، يراد بالولاية الإمارة على البلاد فيولي السلطان أو الملك من يقوم مقامه في حكومة الولايات وهي الأعمال في اصطلاحهم،
8	مرتبة	من الرتبة وهي المنزلة عند الملوك
15	مرفأ	من رفا الدالة على الاتفاق و مكان الشط للسفينة
5	المقام	كلمة عربية تدل على الانتصاب والعزم
10	الملك	أصل يدل على قوة في الشيء وصحة ومن ذلك يقال للملك مَلِكًا.
7	الوالي	من الوالي بمعنى القرب، وكل من ولي أمر آخر فهو وليه، يراد بالولاية الإمارة على البلاد فيولي السلطان أو الملك من يقوم مقامه في حكومة الولايات وهي الأعمال في اصطلاحهم،
2	الوزير	تدل على الملجأ والثقل في الشيء، وسمي الوزير لأنه يحمل الثقل عن صاحبه. إن الوزارة كانت تدل على المعاونة، ثم تغير باختلاف الدول واختلاف حال الوزراء فيها..

(1) ينظر : زكريا أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م .

ب- في هوسا

الكلمات التي استعملت هنا للدلالة على المعاني بعضها في المعاني الحقيقية وهو الغالب وبعضها في المعاني المجازية.

ويحدث في الكلمة عند استعمالها في هوسا ظاهرة اللواحق من سوابق (Prefixes) أو دواخل (Infixes) أو لواحق (Suffixes) كما سبق .

م	اسم المنصب في هوسا	دلالتة في هوسا
1	سَرُوْتَا	السلطان أو الأمير
9	إِمَامِي	الإمام والقائد .
14	تُولِبَا	الذي يلي طلبات الأمير المالية .
6	خَرَا جِي	الخراج والإتاوة
13	الْخَلِيفَا	الخليفة
4	سَلْمَا	سَلَمَ
3	مُتَوَلَا	المتولي
15	مَرَا فَا	المسؤول عن شؤون الزرافة والموارد المائية .
8	مَرْتِيَا	المرتبة والمنزلة
5	مَقَامَا	المقام والمنزلة
10	مُلْكِي	ملك
11	هَآكِي	حاكم
12	هُكْمَنَا	حُكْمٌ
7	وَالِي	الوالي
2	وَزِيرِي	الوزير

المطلب الثالث: الألفاظ الأخرى.

لا شك أن الجوانب التي استقرضت هوسا فيها الألفاظ العربية كثيرة ومتنوعة.⁽¹⁾

حيث شملت جوانب الأعداد مثل: ستة يقال في هوسا : شيدا، عشرين يقال في هوسا : عشرين، ثلاثين يقال في هوسا ثلاثين، وفي جوانب ألفاظ العبادات مثل : الزكاة يقال في هوسا : زَاكَا ، والحج يقال في هوسا : حَجِّي، والحاج يقال في هوسا (ألأجي) والجنابة يقال في هوسا جَنَانْزَا ، و التيمم يقال في هوسا تَيَمَّمَا، وهكذا، فتأثر هوسا بالعربية شمل جوانب كثيرة ليس في مجال الألفاظ فقط وإنما في مجال التأثر بالإسلام الذي يقيد مفاهيم بعض الكلمات إلى مفاهيم مقيدة، والله الموفق.⁽²⁾

(1) أبو مانغا، الأمين، أثر الإسلام واللغة العربية وأدائها في نشأة وتطوير أدب الهوسا، مجلة دراسات أفريقية، العدد 11 يونيو 1994، ص: 140.

(2) حجازي مصطفى حجازي السيد، معجم الألفاظ العربية في لغة هوسا، 2005، الرياض، ص: 5-10

كما أن القبائل الأخرى مثل قبيلة هوسا استقرضت كلمات من العربية واستعملتها بشيء من التغيير البسيط أو بزيادة قليلة، فكَذلك العرب أنفسهم، حيث إنها قبائل مفتوحة غير منغلقة، فقد استقرضت هي الأخرى عن اللغات الأخرى بحكم الجوار والتجارة والحروب والإقامة بين الشعوب الأخرى، مثل الفرس، والروم والهند والصين وغيرها من الشعوب التي حصلت بينها وبين العرب بعض العلاقات.¹

الخاتمة: أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

إن تأثر لغة هوسا بالعربية في ألفاظها واستقرضها لكثير من الألفاظ العربية يدل على عمق تأثير هوسا بالإسلام، كما يدل على إقدام القبيلة على تعلم اللغة العربية مما انعكست على هوسا بشكل واضح ، فقد استفادت قبيلة هوسا من الإسلام الكثير في الجانب التفكيرى، والجانب الإدارى، والجانب الاقتصادى، وغيرها من الجوانب الأخرى، وعليه أقول :

1-إن اللغة العربية هي اللغة التي استعملها هوسا في التعليم قبل استعمال اللغات الأخرى .

2-إن الحروف العربية هي الحروف التي استخدمها هوسا في إدارتها في التوثيق والكتابة وغيرها .

3-تعلم اللغة العربية مفخرة عند قبائل هوسا ورمز على الكمال والنضوج .

4-إن لغة هوسا قديمة في غانا بما يقارب أكثر من 500 سنة .

5-المقارنة بين لغة هوسا وبين بقية اللغات الأفريقية تظهر مدة أصالة هذه اللغة في أفريقيا .

6-الحاجة قائمة لخدمة اللغات الأفريقية الأخرى، مثل ما خدمت لغة هوسا واستعملت في مجال التعليم والإعلام وغيرها .

7-تعلم لغة هوسا وغيرها من اللغات من الأدوات والوسائل المهمة في إيصال الإسلام الحق الصافي إلى غير المسلمين.

8-تأثر العربية في اللغات الأفريقية يدل على أصالة العلاقة بين العرب والقبائل في أفريقيا .

المراجع والمصادر .

- بوبو، مسعود ، ما أخذه العرب من اللغات الأخرى ،
حجازي مصطفى حجازي السيد، معجم الألفاظ العربية في لغة هوسا ، 2005 ، الرياض ،
زكريا أبو الحسين أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 2001م .
سويد، عبد الله ، أفريقيا اللغة والتاريخ، مجموعة أبحاث لسانية دار أوياء للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، 2006-2007.
الشافعي ، محمد ، الرسالة ، مصر، 1940م
قدرماري، بابكر حسن محمد، الأثر العربي في اللغات والقفايات الأفريقية
أبو مانغا، الأمين، أثر الإسلام واللغة العربية وأدائها في نشأة وتطور أدب الهوسا، مجلة دراسات
أفريقية، العدد 11 يونيو 1994، .
مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد السادس ، 2013 م
وثيقة مختومة من رئاسة زونغو في كوماسي .

(3) بوبو، مسعود ، ما أخذه العرب م اللغات الأخرى ، ص: 64

ألفه الإدلي وإسهاماتها في الروايات العربية الحديثة



الباحث: محمد عبد الرب

abdurabjnu91@gmail.com

Abstract: The famous writer Ulfa al-Idlibi is considered one of the most prominent Syrian Arab female novelists who tried to give women their rights and liberate from a life of backwardness, illiteracy, slavery and every restriction or obligation drawn by society. She also tried to sort out these difficulties through their own valuable writings specially Ulfat al-Idlibi. She left many contribution to the Arab world, that testify to her excellence and preserve her lofty status in the world of thought, literature and language. This paper deals with the disclosure this great personality through her contribution to modern Arabic novels and short stories.

ملخص البحث: تعتبر الأديبة الشهيرة ألفه الإدلي من أبرز الروائيات العربيات اللواتي سعين إلى إعطاء حقوق المرأة وتحريرها من حياة التخلف، والأمية، والعبودية ومن كل قيد أو التزام التي رسمها المجتمع كما سعين إلى إصلاح ذلك من خلال كتاباتها القيمة. هي مفكرة عربية تنتمي إلى الجيل الذي قاد النهضة الفكرية والثقافية واللغوية وأحدث اليقظة وقاد إلى التجديد، فهي قاصة ومسرحية وروائية ومتأمله في الحياة والنفوس الإنسانية، وكانتم إحدى رائدات الأدب العربي الحديث، وقد تركت خلفها أثرا كبيرا بالعربية وهي كتابات تشهد لها بالإمتياز وتحفظ لها المنزلة السامية في عالم الفكر والأدب واللغة. يتناول هذا البحث عن شخصيتها البارزة ويناقش إسهاماتها في مجال كتابات الروايات العربية الحديثة والقصص القصيرة.

كلمات مفتاحية: ألفه الإدلي، الروايات العربية، مكانات الأديبة، القصص القصيرة

سيرة الأديبة: لقد أنجبت سوريا كثيرا من الشخصيات العباقرة والنوابغ الذين أدوا دوراً بارزاً في تطوير اللغة العربية وآدابها في سوريا نثراً وشعراً وقصةً ومسرحيةً وروايةً. ومن هؤلاء الأدباء والشعراء والروائيين والروائيات والمحققين ومن الأعلام البارزين في تاريخ الأدب العربي الحديث الذين تفتخريهم سوريا الحديثة هي ألفه عمر باشا الإدلي. وهي من أوائل السيدات اللاتي شاركن في المظاهرات ضد الاحتلال الفرنسي وممن قمن بجمع التبرعات والإسهامات والمساعدات لإيصالها إلى رجال الثورة السورية العربية.

مولدها ونشأتها: هي أديبة كبيرة وكاتبة مرموقة وروائية معروفة اسمها الكامل ألفه عمر باشا الإدلي¹. "ولدت في

¹ صالح العود، باحث في شئون الدين والتربية والتعليم، نجوم المساء من تراجم النساء، معجم في تراجم النساء المعاصرات من كل اختصاص. ص: 14.

حي الصالحية بمدينة "دمشق" في نوفمبر/ تشرين الثاني عام 1912 م هجري موافق 1331 هـ¹ من أبوين دمشقيين وهما السيد أبو الخير عمر باشا المنحدر من جبل قاسيون، ونجذبة الداغستاني وفي أحضان البيئة الدمشقية الأصلية، وفي أسرة كريمة وكبيرة، وفي بيت يهتم بالأدب واللغة والثقافة، حيث نشأت وترعرعت وترتبت فيها فعشقت أرضها واحترمت تراثها وقدمت حضارتها. وكانت البنت الوحيدة بين خمسة أخوة. وقد طبقت شهرتها الآفاق في البلدان العربية عامة وفي سوريا خاصة، واشتهر اسمها أيضا بأدب ما يسمي "الأدب النسائي"².

تعليمها: بدأت حياتها الدراسية في مسقط رأسها فاستهلت تعليمها في البيت مع أمها في وقت مبكر من الطفولة. فقد كانت مغرمة بالأدب واللغة، وشغوفة بالقراءة والدراسة والمطالعة، ومولعة بالبحث والإطلاع، ومحبة للكتابة والتأليف. ظهرت ميولها واتجاهها إلى الأدب واللغة في سن مبكرة وتبلورت في شبابه. قال أحد من الأساتذة برؤية موهبتها إنها ستكون خبيرة نشطة كما ذكر عنها "حتى تنبأ لها أحد أساتذتها بأنها ستكون أديبة شهيرة وكاتبة مرموقة في يوم ما"³. فأصبحت أديبة شهيرة وكاتبة كبيرة يوما كما تنبأ بها أحد أساتذتها الأجلاء.

وكانت تدرس في مدرسة العفيف الابتدائية، ثم التحقت بدار المعلمات. كما ذكرت في روايتها المهمة "دمشق يا بسملة الحزن" "لأن مدرسة دار المعلمات هي المدرسة الثانوية الوحيدة للبنات في سوريا كلها"⁴.

ومما لا شك فيه أن الكاتبة قد ورثت عن خالها الدكتور كاظم الداغستاني العديد من المهارات والصفات. قد أحاطها أبوها السيد أبو الخير عمر باشا وخالها الأديب الدكتور كاظم الداغستاني بمكتبتيهما العامرتين بكتب الأفاض والمتميز من صناعات الأدب والمهرة في الفنون مثلا الدكتور طه حسين، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وعباس محمود العقاد، وغيرهم. ووصفت أيضا في روايتها المذكورة "إن الأديبة قد حصلت علومها في مدرسة تجهيز البنات"⁵، وأصبح الدرس والتدريس في مدرستها المذكورة باللغة العربية وآدابها عام 1920. وعندها مكتبة كبيرة كانت تتجول وتطوف فيها وتدرس هناك وتنتخب منها ما تريد من الكتب النادرة.

كما ذكر عنها "إنها نالت شهادة الابتدائية في سنة 1927 م. وانتقلت إلى دار المعلمات وقرأت على كثير من الأساتذة، ومن أشهر أساتذتها كان محي الدين السفرجلي، وأبوسعده مراد، وصادق النقشبند وغيرهم"⁶.

¹ رياض عصمت، حادثة وأصاله، من إصدار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2010. ص: 77

² رياض عصمت، حادثة وأصاله، ص: 77

³ صحيفة "من حقل تعرف المصري اليوم" وتصدر المؤسسة جريدة "المصري اليوم" هي مؤسسة اعلامية مصرية مستقلة. انطلقت عام 2003. مؤسسة. المصري للصحافة والطباعة والنشر والإعلان. أسسها المهندس صلاح دياب، ورئيسها الفخري الدكتور كامل توفيق. كتب ماهر حسن، تاريخ النشر 22/ 03 / 2014.

⁴ ألفه الأدلي، رواية دمشق يا بسملة الحزن، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1980. ص: 127

⁵ رياض عصمت، حادثة وأصاله، من إصدار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2010. ص: 77

⁶ رياض عصمت، حادثة وأصاله، من إصدار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2010. ص: 77

وفاتها: كم من نجوم ساطعة وكواكب لامعة تالأت في السموات الأدبية والثقافية ثم اختفت، وهذه سنة الله في الأرض، كل من علمها فإن ويبق وجه ربك ذو الجلال والإكرام. "توفيت الأدبية اللامعة ألفة عمر الباشا الإدلي بتاريخ 22/3/2007 في يوم الخميس عن عمر يناهز السادسة والتسعين عاما في العاصمة الفرنسية باريس حيث مكثت في بيت ابنها ياسر"¹. قد ارتفعت روحها إلى السماء مطمئنة. وتم تشييع الجنازة في حي المالكي من جامع البدر بحضور أهل الفقيده وكثير من الشخصيات الأدبية والثقافية في سوريا، إنها كانت تحب دمشق حبا شديدا، وتحرص على كل تقليد من تقاليدها في الأتراح والأفراح. رحلت الكاتبة إلى دار القرار امتثالاً لسنن الطبيعة، رحم الله تعالى هذه الياسمينية الدمشقية.

مكانتها بين الروائيين الأخريات:

تبرز مكانتها بين الروائيين والروائيات مما قاله الأدباء العظام والكتاب الكبار عن وفاتها، يقول الدكتور "علي القيم" معاون وزير الثقافة عن الكاتبة "برحيلها فقدنا عالماً وأدباً وسرداً روائياً وقصصياً وضعت أعمالها في مكتبة بكن الوطنية كما تحولت أعمالها الروائية لمسلسلات تلفزيونية ولفيلم روائي "دمشق يا بسمة الحزن"². ويقول صباح قباني عنها أيضا "مع غياب ألفة الإدلي تغيب نفحة شامية أصيلة كان أريجها ينعش من يقرأ أدبها أو يجالسها أو يحضر ندواتها، مع ذهاب ألفة غابت من حياتنا ياسمينية دمشقية بيضاء لا أحلى ولا أجمل"³ ومن المهم أن الأدبية ترأست اللجنة الثقافية في الجمعية والندوة المذكورة وشاركت فيها، وتضمنت أعمالها وأنشطتها ما يلي:

(1). "قامت بتأسيس مكتبة عظيمة فخمة للندوة والجمعية التي ضمت أمهات الكتب الثمينة، ليستفيد منها أعضاء الجمعية والندوة والمرأة العربية بشكل عام"⁴. وكانت الكتب كلها جديدة ومفيدة في عالم اللغة والأدب والثقافة والعلوم والمعرفة. وكانت هذه المكتبة العظيمة مفتوحة على مدار الساعة ليلا ونهارا لكل من كان يرغب بالمعرفة والثقافة.

(2). "قامت بإعداد البرنامج والجدول للدراسة الثقافية لعضوات الجمعية اللواتي يدرسن ويطلعن فيه"⁵ ويكون هذا جديد ومفيد كله في مجال الأدب واللغة والثقافة.

¹ صالح العود، باحث في شئون الدين والتربية والتعليم، نجوم المساء من تراجم النساء، معجم في تراجم النساء المعاصرات من كل اختصاص، ص: 14.

² جريدة الثورة، عددها 13270، الصادرة عن دمشق، تاريخ النشر، 2007/03/27

³ جريدة تشرين، عددها 9825، الصادرة عن دمشق، تاريخ النشر، 2007/03/28

⁴ مجلة "فكر الثقافية" العدد 18. نشر التاريخ. 2017/02/03. تأليف حمزة شباب، ناقد فلسطيني. تصدر هذه المجلة مجلة تفاعلية ثقافية أدبية متنوعة كل 3 شهور، من الرياض المملكة العربية السعودية. رئيس التحرير: ناصر بن محمد الزمل.

⁵ صحيفة "الثورة" يومية سياسية، كتب رانيا خطيب، تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سورية. تاريخ النشر الثلاثاء 05/2012/06

(3). "قامت بتنظيم محاضرة في كل شهر في يوم الثلاثاء الأخير"¹. وكان كثير من الأدباء والشعراء المعروفين والنقاد الكبار يحضرون فيه من البلدان العربية المختلفة. وكانت السيدة الإدلبي تحاول أن تحافظ على هذا التقليد الذي تتمسك به الندوة والجمعية إلى اليوم، وتمكنت من خلال اتصالاتها الثقافية العريضة أن تجعل من منبر الندوة والجمعية منارة ثقافية في زمن كان يُفتقد فيه للمراكز الثقافية والعلمية.

(4). "إن نشر الكتب وطباعة المجلة أو إعادة طباعة بعض الكتب النادرة قد بدأت على نفقة الجمعية والندوة"². وهذا كله يشجع مواهب الكتاب الشباب على تقديم إسهاماتهم الأدبية.

حينما تأسس اتحاد الكتاب العرب كانت الكاتبة من أشهر وأبرز أعضائه. قامت كاتبتنا أيضا بتمثيل سوريا في عدة ندوات ومؤتمرات في بلدان غير عربية مثل تشيكوسلوفاكيا، وإسبانيا، والصين وروسيا. "ورغم انشغالها المتنوعة قدمت خدماتها للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب لمدة عشر سنوات، كما كانت تعمل في "لجنة الرقابة الأخلاقية" في مؤسسة السينما العربية السورية لفترة وجيزة"³.

وبالجملة، لأمجال لإنكار عبقريتها ولها علم واسع في مجال كتابة الروايات والقصص القصيرة، لا مثيل لها ولا نظير في هذا اليوم كما يتضح من العديد من أعمالها الرائعة منها "دمشق يا بسمه الحزن" و"حكاية جدي" و"يضحك الشيطان" وغيرها.

من أشهر أعمالها و آثارها الأدبية والعلمية:

يستحق الذكر أن أعمال الكاتبة ألفة الإدلبي قد حققت شهرة عالمية فكثير من كتبها وقصصها ورواياتها ترجمت إلى أكثر من عشر لغات عالمية منها الإنكليزية، والروسية، والإيطالية، والصينية، والألمانية، والأسبانية، والأوزبكيةستانية وغيرها. كما يتم تدريس عدد من قصصها القصيرة والروايات الاجتماعية في جامعات عالمية مثل بعض جامعات الولايات المتحدة، وأوزبكستان، وروسيا، وإسبانيا، وبعض جامعات الصين.

وكذلك توجد ترجمات أخرى إلى اللغات الفرنسية، والعبرية، والسويدية، والهولندية، وبعض لغات الإتحاد السوفياتي السابق كاللغة الهنغارية، والشوفاشية، والأوزبكيةستانية، والبرتغالية، والفارسية.

كما هناك عدد هائل جدا من المجلات والصحف الأدبية والمراكز الثقافية التي نشرت مقالات ومحاضرات ونقاشات حول أعمالها. وهناك أيضا عدد كبير من المحققين والأدباء والنقاد في سوريا والوطن العربي الذين تناولوا

¹ صحيفة "من حقل تعرف المصري اليوم" وتصدر المؤسسة جريدة "المصري اليوم" هي مؤسسة اعلامية مصرية مستقلة، انطلقت عام 2003. مؤسسة المصري للصحافة والطباعة والنشر والإعلان. أسسها المهندس صلاح دياب، ورئيسها الفخري الدكتور كامل توفيق. كتب ماهر حسن، تاريخ النشر 03 / 2014.

² المجلة الفيصل العدد 176. تصدرها دار الفيصل الثقافية التابعة لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. هي مجلة ثقافية شهرية ص 117. ورناسة تحرير مجلة الفيصل الدكتور زيد بن عبد المحسن الحسين. وقد تأسست هذه المجلة عام 1977.

³ صحيفة "الثورة" يومية سياسية، كتب رانيا خطيب، تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سورية، تاريخ النشر الثلاثاء 05 / 06 / 2012.

أعمالها بالتحليل والدراسة، وبسبب ذلك ذاعت شهرتها في الآفاق في مجالات الفكر والعلم والأدب. تركت المؤلفة وراءها كملاً لا بأس به من القصص والروايات والبحوث والمقالات ومجموعة محاضرات وغيرها. إن هذا الإرث الثقافي من الدراسات الأدبية والثقافية والروايات الاجتماعية والقصص القصيرة المهمة يتميز بالواقعية ويركز على الحياة الشرقية. وبسبب ذلك تعد واحدة من أكبر الأديبات المعاصرات السوريات. كما عبر عنها في كتاب معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين "تنتهي الكاتبة إلى جيل أدب الخمسينات السوري العربي الذي شهد نهوضاً ملموساً في عدد من النساء السوريات كاتبات الدراسات الأدبية والثقافية والروايات الاجتماعية والقصص القصيرة المهمة بنوعية فنية راقية"¹.

وفيما يلي قائمة مؤلفاتها في شتى الفنون الأدبية:

- (1). "القرار الأخير" هي أول قصة لها كتبت في سنة 1947 م. وقد شاركت بها في مسابقة إذاعة لندن (BBC) وحصلت على الجائزة الثالثة"².
- (2). "قصص شامية" مجموعة قصصية ضمت سبع عشرة قصة قصيرة. صدرت في سنة 1954 م.
- (3). "وداعاً يا دمشق" مجموعة قصصية ضمت سبع عشرة قصة قصيرة ونشرت في سنة 1963 م.
- (4). "المنوليا في دمشق وأحاديث أخرى" ضمت فيها طائفة من المحاضرات والحوارات والأحاديث التي ألقتها في كل من دمشق وحلب. صدرت في سنة 1964 م.
- (5). "يضحك الشيطان" مجموعة قصص قصيرة صادرة عام 1970 م.
- (6). "نظرة في أدبنا الشعبي: ألف ليلة وليلة وسيرة الملك سيف بن ذي يزن" بحث منشور في سنة 1974 م.
- (7). "عصى الدمع" مجموعة قصصية صدرت عام 1976 م.
- (8). "دمشق يا بسملة الحزن" رواية اجتماعية ومن أكثر أعمالها شهرة وصدرت في عام 1980 م.
- (9). "أسرئيليات" مجموعة محاضرات نشرت في عام 1983 م.
- (10). "نفحات دمشقية" كتاب عن معالم دمشق التي جمعتها من الكتب التي حكيت عن دمشق ومن قصص الجدات والأجداد 1990 م.
- (11). "حكاية جدي" رواية شهيرة نشرت في سنة 1991 م.
- (12). "وداعاً الأحبة" (مقالات) نشرت عام 1992 م.
- (13). "عادات وتقاليد الحارات الدمشقية القديمة" هي مقالات ومحاضرات عام 1996 م.

¹. معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، مؤلف - عبد القادر عياش. الناشر - دار الفكر المعاصر. تاريخ النشر - 01/01/1985. ص 373.

². رياض عصمت، حداثاً وأصالة، من إصدار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2010. ص: 79

(14). "ما وراء الأشياء الجميلة وقصص أخرى" ونشرت في العام 1996م. وغيرها

أسلوب الكاتبة: تتسم كتاباتها بسمات خاصة تتميزها عن غيرها من الكتاب الآخرين. يمتاز أسلوبها وأفكارها في كتاباتها القصصية والروائية بصدق الإحساس والتطور من حيث فنية القصة واللغة والبناء الرمزي والنفسي. فهي تستخدم الرمز لتطلق من خلالها الخيال المتسع، ولكن يبقى مرتبطاً بالواقع والبيئة. ومن خصائصها الملامح لإحياء سوريا من جديد والحنين للوطن الحبيب. وقد تضيف هذا الواقع حديثة إلى جانب تناولها القضايا الاجتماعية المحلية والعربية وأزمات السياسة والنفسية والاقتصادية كما يمتاز أسلوبها بالنضج والكمال وباللغة الشعرية في الوصف والسرد والحوار. وهي تستخدم حسب عاداتها تيار الوعي الرمزي الذي يصور العوالم النفسية والحياة المليئة بالتطلعات الجديدة في تجددات وتغيرات نحو التطور. إن هذه الكاتبة تظل دائماً وجهاً مضيئاً على التقلبات السياسية والتغيرات الاجتماعية في وطنها سوريا من الناحية الخاصة ومجاورتها في البلدان العربية من الناحية العامة. ولها رؤية مستقبلية لواقع الحركة الأدبية والثقافية في مجال القصة والرواية الجديدة. وتتميز أيضاً بأسلوب قصصي شيق كما أن نصوصها تتميز بالأسلوب الرشيق والبليغ والأخاذ.

مختارات من كتاباتها: إن للكاتبة أهمية كبيرة في مجال العلم والأدب واللغة والثقافة لا يستطيع أحد أن ينكرها. أشارت الكاتبة والأديبة في كتابها اللامع "نفحات دمشقية" إلى العديد من المعالم البارزة لمدينة دمشق وآثارها وأحوالها الطبيعية والعمرانية والتاريخية والثقافية. تقول الكاتبة إن هذه النفحات الدمشقية التي ملمت وجمعت حوائجها من هنا وهناك، بعضها مأخوذة من الكتب وبعضها جاء إليها بالتواتر والمسلسل من أحاديث الجدات والأجداد، "لقد اختلف المؤرخون في سبب تسميتها ولكنهم لم يختلفوا في تلقيها بـ "الجنة الخضراء"¹.

لقد صورت الأديبة في كتابها الرائع "نظرة في أدبنا الشعبي" صورة المرأة في ألف ليلة وليلة وترى أن من سوء حظ المرأة أن هذا الكتاب شيق جداً، وملئ بالتحديات ويجذب العامة ببساطته وصراحته وسهولته وسذاجته وتمتعه بعدم التكلف والتصنع، لقد زرع الشك في قلوب الرجال حيال النساء، لذلك لم يعودوا يثقوا بالنساء، والأدهى من ذلك كله أنه زرع الشك في نفس المرأة عن نفسها أيضاً. فطالما نسمع عجائزنا يرددن الصدي هذا القول: الحية والمرية لا ترفع عنهما العصبة.

وتصور رواية "حكاية جدي" حياة داغستان وتقاليد وعادات أهلها، ولأن أصولها ترجع إلى داغستان فهاجرت أسرتها إلى دمشق واستوطنتها، وتطبعبت بتقاليد وعاداتها. أكدت الأديبة في إحدى الحوارات

¹ صحيفة "الثورة" يومية سياسية، كتب رانيا خطيب، تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سورية، تاريخ النشر الثلاثاء 05 / 06 / 2012.

والمحاضرات أنها سافرت إلى بلاد داغستان قبل كتابة روايتها المهمة هذه لذلك وصفت في مجال الوصف حيث قدرت أن تضيئ جوانبه بكل صراحة حول دمشق وأسواقها والغوطة والبيت والياسمين.

وأما القصة القصيرة "الحقد الكبير" من مجموعة "وداعا يا دمشق" التي صدرت في سنة 1963 م. فهي واحدة من النماذج القصصية الرائعة بعباراتها الرشيقة وقدرتها الكبيرة على تمثيل حس المقاومة، تنشئ أولا في نفوس الكبار ثم تنشئها في نفوس الصغار.

وأما رواية "دمشق يا بسملة الحزن" صورت الأدبية صورة للثورة السورية وللمقاومة العنيفة ضد الاحتلال الفرنسيين وما تعرض له الشعب آنذاك من خلال تصوير حي وواقعي للحياة أفراد أسرة دمشقية قدمت الشهداء والمقاومين على مذبح الحرية، ودعمت الثورة بالمال والسلاح وقد أدارت الأحداث على لسان بطلة الرواية تدعى "صبرية" إنها قد أصيبت بالحزن والمحاصرة في حالة غير طبيعية على الرغم من مساعدتها العديدة ومحاولتها الكثيرة لكسر هذا الطوق الذي كان يشنقها بقيد الحريات وينتهي بها المطاف والدوران إلى نهاية الحزن والمشاكل حيث أنها انتحرت مشنوقة بيد نفسها.

وكذلك عالجت الكاتبة خلال نصوصها الأدبية الرائعة كثيرا من المشاكل والهموم السائدة التي كانت موجودة في ذلك الزمن، حتى توجد بعض تلك المشاكل في المجتمع السوري في الزمن الحالي.

المصادر والمراجع:

- ألفة الإدلي، رواية دمشق يا بسملة الحزن، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1980 م.
- ألفة الإدلي، قصة الحقد الكبير، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1963 م.
- ألفة الإدلي، قصة خيط العنكبوت، جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة، دمشق، 1963 م.
- ألفة الإدلي، قصة ماتت قريرة العين، جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة، دمشق، الطبعة الثانية 1992 م.
- ألفة الإدلي، قصة وداعا يا دمشق، جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة، دمشق، 1963 م.
- رياض عصمت، حادثة وأصالة، من إصدار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2010 م.
- صالح العود، باحث في شئون الدين والتربية والتعليم، نجوم المساء من تراجم النساء، معجم في تراجم النساء المعاصرات من كل اختصاص.
- صحيفة "الثورة" يومية سياسية، كتب رانيا خطيب، تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سورية، تاريخ النشر الثلاثاء 05/06/2012.
- صحيفة من حقل تعرف "المصري اليوم" وتصدر المؤسسة جريدة "المصري اليوم" ه مؤسسة اعلامية مصرية مستقلة، انطلقت عام 2003.
- جريدة الثورة، عددها 13270، الصادرة عن دمشق، تاريخ النشر، 27/03/2007.
- مجلة "فكر الثقافية" العدد 18، نشر التاريخ. 03/02/2017 تأليف حمزة شباب.
- المجلة الفيصل العدد 176 تصدرها دار الفيصل الثقافية التابعة لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

المنفى في السيرة الذاتية الفلسطينية: مريد البرغوثي نموذجا



محمد غلمان

باحث بقسم اللغة العربية وآدابها،
الجامعة الملكية الإسلامية، نيودلهي بالهند

Abstract: Writers of Palestinian literature have always been interested in various arts like poetry, short story, novel and theatrical art but the art of autobiography still lacks such care in the writings of Palestinian writers.

The Palestinian Catastrophe 1948 and Oslo accord 1993 prompted the Palestinians to write their lives in an autobiographical form. They expressed their pain and sadness in their writings after they were forced to leave their homeland. They wrote their autobiographies in order to become a witness for the coming generation. "Mourid Barghouti" was one of those Palestinian writers and poets who wrote his autobiography under the name "I Saw Ramallah" in 2005 and expressed his experience of exile in other countries far from his homeland which he visited after a long period of thirty years.

الملخص: اهتم الدارسون للأدب الفلسطيني برصد فنون الشعر و القصة و الرواية و المسرحية ، إلا أن السيرة الذاتية مازالت تفتقر حتى اليوم افتقاراً شديداً إلى مثل هذه العناية، فنكبة 1967م هي سلسلة الحروب بين إسرائيل والدول العربية المجاورة لها. وما كانت هي إلا امتداداً لكارثة 1948 التي أجبرت عددا كبيرا من الفلسطينيين على الهجرة من بلدهم الأم. ولم تجلب لهم معاهدة أوسلو والخير والأمن عام 1993 التي هي في الظاهر "اتفاق سلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية" وقع عليه الفريقان في مدينة واشنطن الأمريكية في 13 سبتمبر 1993 بحضور الرئيس الأمريكي آنذاك بيل كلينتون. وسمي الاتفاق بمعاهدة أوسلو نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرية.

هاتان النكبتان حثتا الفلسطينيين على كتابة حياتهم في شكل السيرة الذاتية. عبّروا فيها عن مآسهم وفواجعهم وما اعتراهم من الحزن العميق والألم المخيف بعدما أجبروا على ترك وطنهم لتكون سيرهم الذاتية دليلاً للجيل القادم ووثيقة عظيمة من تاريخ فلسطين. وهناك عدد كبير من الأدباء الفلسطينيين الذين كتبوا في هذا الموضوع، وعبروا عن تعاستهم وأفراحهم نثراً وشعراً أمثال فدوى طوقان، حنا أبو حنا، إدوارد سعيد، يوسف هيكل، جبرا إبراهيم جبرا، يحيى يخلف، عائشة عودة، وإحسان عباس. ومنهم "مريد البرغوثي" الذي عبر عن تجربته في المنفى والغربة التي يمر بها في البلدان الأخرى بعيداً عن وطنه.

بداية السيرة الذاتية في فلسطين:

ابتدأت السيرة الذاتية في فلسطين بمدونات الشيخ يوسف ضياء الدين باشا الخالدي المقدسي (1829-1906) الذي يعتبر رائد الأدب الحديث في فلسطين. والسيرة الفلسطينية نالت عند صدورهما عناية وترحيبا من الأدباء والنقاد، غير أنها كانت تفتقد بعض العناصر الفنية في المرحلة الأولى. ثم تطورت في المرحلة الثانية فتناولت بعض الشؤون التي لم تكن بارزة من قبل كما قامت على العناصر الفنية فنالت الإعجاب لدى النقاد. أما ميلكتابة السيرة الذاتية فقد تم تعزيزه بعد عام 1948 لدى بعض الشخصيات بتدوين بعض تجارب حياة من تجاربهم وما مر بهم من وقائع وحوادث. والسبب الرئيسي وراء افتقاد النص والكمال في السيرة الذاتية من فترة الستينات إلى الثمانينات هو انشغال الأدباء والكتاب بالأشياء الأهم من ذلك؛ الاحتلال والاستبداد من جهة، ونهب أراضي فلسطين وتشريد الفلسطينيين من جهة أخرى. هذا الأمر جعل الاستقرار والأمن متغيبا عن فلسطين وأهلها، فلم يشغلوا بتسجيل التجارب بكمال العناصر الفنية.

ولو ألقينا النظر على تاريخ السيرة الذاتية الفلسطينية وجدنا أن الأدباء الفلسطينيين كتبوا سيرهم في موضوعات مختلفة. وأكثر موضوعاتهم عبارة عن الاحتلال والسياسة والمنفى وما تركته هذه الجرائم من ويلات على الشعب الفلسطيني من التهجير، والتشرد، والغربة، والسجون، والمعاناة، والمقاومة. ولذلك تغيرت السيرة الفلسطينية من نظيراتها المصرية ولم تتحدث عما تحدثت عنها سير المصريين كأنا للعقاد، ويوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، وطفل من القرية للسيد قطب.

المنفى والسيرة الذاتية للمنفين الفلسطينيين:

المنفى كلمة في المعاجم مشتقة من النفي، وهو الطرد، والإبعاد، وإخراج الإنسان من وطنه كرها وقسرا. والمنفى هو مكان النفي جمعه منافي¹. وهناك تعريفات عديدة للمنفي غير أن الأدباء اتفقوا على أن المنفى يحمل في طياته ملامح الشعور بالغربة والحنين، والاقتلاع الناجم عن الهجرة والنفي. فالمنفى ابتعاد وانفصال عن الوطن الأم، وانتقال قسري إلى أصقاع الأرض المختلفة غربا وشرقا.

أما المنفى فهو "شخص مكره على المغادرة أو البقاء خارج بلده الأصلي تحسبا وخوفاً من الاضطهاد لأسباب عرقية ودينية وقومية وسياسية. وهو الشخص الذي يعد منفاه مؤقتاً². ولا يستطيع المنفى أن يرجع إلى بلده حتى لو رغب في ذلك، وإن استطاع فإنه لا يعامل المعاملة التي يأملها في وطنه، فتعقل حريته وتقيّد تعاملاته، فيجد في

¹ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص 247-248؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي)، ص 399.

² هاتف جنابي، "مقدمة في المنفى والمهجر"، الحوار المتمدن، 1805، 2007م، متاح على

المنفى مخرجاً ومأناً له من بطش النظام القائم في بلده.

نظراً إلى هذا التعريف، إن الفلسطينيين يعتبرون من المنفيين بعد دفعهم على الهجرة إثر اغتصاب فلسطين واستعمارها، وشن حرب صهيونية، لا هَوادة فيها والرفق، لإفراغ الوطن الفلسطيني من سكانه الحقيقيين وهم العرب بأغلبية المسلمين وقلة المسيحيين.

يصف إدوارد سعيد وضع النفي والتشرد في كتابه "بعد السماء الأخيرة"، ويشرح لقارئه الأجنبي كيف أصبح هو وعائلته منفيين من الوطن، ويوضح هذا الوضع الطارئ عليه وعلى كل الفلسطينيين قائلاً: "إن أراضينا يجري احتلالها، ويتدخل الآخرون في حياة كل منا بصورة استبدادية وتمنع أصواتنا من الوصول إلى بعضنا بعضاً. إن هويتنا تقيد وتحبس وتحاصر في جزر صغيرة"¹.

جدير بالذكر أن تهجير عام 1948 أجبر الفلسطينيين على كتابة تفعيلاتهم وأحاسيسهم في مذكرات مستقلة، وعبروا عن تلك التجارب المأساوية بعد النزوح والتشريد من أوطانهم الأصلية. ونستطيع قراءة هذه السجلات والمذكرات في شكل سيرتهم الذاتية التي تتحدث عن علاقتهم بالماضي والأسرة والمجتمع.

وليس ثمة شك في القول أن السيرة الفلسطينية يوجد فيها افتقار إلى مكانهم الذاتي والهوية الوطنية والحياة المنزعجة سجلها الكتاب في سيرهم الذاتية. وهذا السرد الذاتي يتعلق بذاكرة التشرد الفلسطيني الجماعي. وينطوي التشرد على أن الفلسطينيين يخضعون للتمهيش الجغرافي والسياسي المتواصل كما يفتقرون إلى أراضيمهم، إذا كان ذلك خلفية الفلسطيني فحصيلته الكتابة عن حياته تعتمد على سيرة ذاتية يقدم فيها الكتاب أدلة فعلية عن الأراضي التي افتقدوها.

إن أسلوب الإنتاج في سير الفلسطينيين المتشردين يميل إلى سرد الأسفار والرحلة ولأنه يظهر من نقلهم الجسدي والثقافي والجغرافي القسري ونقل هويتهم من مكان إلى آخر.

السيرة الذاتية للمنفيين الفلسطينيين ليست حياة مطبوعة فقط في الكتاب، بل إنها رحلة مكتوبة تأخذ القارئ من مكان إلى آخر. ويعلم القارئ أنه ثابت بقدميه في مكان، لكن يقرأ نصاً ينقله من مكان إلى آخر من خلال تجربة الكاتب. ولذا تنشئ السير الذاتية للمنفيين الفلسطينيين تعاطفاً في قلوب القراء فيشعرون بمعاناة التشريد، والنزوح، والنفي، ويصورون الكاتب الذي يمر بهذه المعاناة².

وهناك كتاب فلسطينيون خبروا تجربة النفي، إذ تم إقصاؤهم عن أماكنهم، أو تركوا أوطانهم وديارهم لسبب أو

¹Edward Said, *After the Last sky: Palestinian Lives* (London: Faber and Faber, 1986) P 19-20.

²ينظر: Arab Studies Quarterly, Vol. 33, No. 2 (Spring "Asaad Al-Saleh, "Displaced Autobiography in Edward Said's "Out of Place : 2011), P 88.

لآخر، لكن كتاباتهم تعالج هذه التجربة بطرق فنية تتفاوت في معالجة النفي والمنفى بطرق مباشرة. إنهم اختاروا موضوع المنفى فيسيرهم الذاتية لأنها تعتبر من أهم المواضيع التي تلقي الضوء على تشريد الفلسطينيين وتصوير مختلف أنواع النزوح الفلسطيني.

ومن الكتاب الفلسطينيين من كتبوا سيرهم في الغرب بعد النزوح من فلسطين ومنعوا من الوصول إلى أراضيهم¹ مثل مفيد عبد الهادي الذي كتب سيرته الذاتية "الوجه الآخر للعملة" (باللغة السويدية) في السويد حيث عاش حياته، ومريد البرغوثي الذي كتب سيرته "رأيت رام الله" عندما كان في مصر، وسيريني شاهد حسيني الذي كتب سيرته "ذكريات القدس" باللغة الإنجليزية في لبنان، وكتب حسني صالح سيرته باسم "فلسطين: ذكريات مؤلمة" في لبنان، وهشام شرابي الذي غادر فلسطين عام 1947 ولم يسمح له بالدخول بعد عام 1948 فكتب "الجمر والرماد: ذكريات المثقف العربي"، وكذلك ألف جبرا إبراهيم جبرا "البئر الأولى"، و"مواليد في بيت لحم" و"شارع الأميرات: ذكريات بغداد" عن حياته التي بدأت في فلسطين وانتهت في العراق.

إن هذه المؤلفات تقدم لنا نماذج مختلفة من الحياة، لكن يشترك فيها عنصر واحد وهو وصف حياة المنفى. وهذه السير كلها تختلف عن السير الذاتية الأخرى بشكل أنها كتبت في البلدان الأجنبية مع أن السيرة الذاتية السابقة كتبت في أوطانها الأصلية. وتظهر هذه السير قيمة الحياة الفلسطينية الفردية المرتبطة بتاريخ فلسطين الجديد. كما هي تتسم بالمقاومة، ونضال محو الهوية والوطن، وارتباط الكاتب بأرضه ارتباطاً وثيقاً فيعبر عن حنينه إلى الماضي وتضامنه مع الشعب والمجتمع والأرض حيث تم تشكيل هويته².

إن صدمة المنفى والتشتت والتفتت الوطني الذي ذكره هؤلاء الكتاب والشعراء الفلسطينيون من داخل بلاد فلسطين وخارجها إنهم جميعاً عبّروا عن تجاربهم في أساليبهم المختلفة سواء في فلسطين أو في المنفى، وعلى وجه الخصوص محمود درويش، وغادة كرمي، غسان كنفاني، جبرا إبراهيم جبرا، سحر خليفة، فدوى طوقان، مريد البرغوثي وعائشة عودة.

مريد البرغوثي والمنفى في سيرته الذاتية "رأيت رام الله":

ولد مريد البرغوثي في قرية "دير غسانة" بفلسطين عام 1944، وانتقل إلى مصر عام 1963 للدراسة في جامعة القاهرة. واستقر بعدها في مصر بعد حرب 1967 والاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية حتى عام 1977. وفي ذلك العام تم ترحيله عشية زيارة الرئيس المصري أنور السادات إلى إسرائيل، فعاش منفياً في بودابست وبيروت حتى

¹ ينظر: Ibid., P 89.

² ينظر: Asaad Al-Saleh, *Displaced Autobiography*, P 90.

عام 1995 يكتب الشعر والمذكرات بما في ذلك "منتصف الليل" عام 2005، وقصيدة عن فلسطين وغيرها¹.
يُعد مريد البرغوثي من الكتاب الفلسطينيين الذين عاشوا خارج فلسطين محرومين من العودة إلى بلادهم
لمدة طويلة كما عاد مريد البرغوثي إلى بلاده بعد ثلاثين سنة. وسيرته "رأيت رام الله" تعتبر من أفضل السير الذاتية في
تاريخ فلسطين الأدبي حسب ما قاله إدوارد سعيد².

طبعت سيرة "رأيت رام الله" لمريد البرغوثي عام 1997. وروى فيها تجربته المروعة بكونه فلسطينياً ترك وطنه
عام 1966 واتجه إلى مصر لمواصلة دراسته الجامعية وعاد إلى وطنه للزيارة فقط عام 1996، فرأى ما رأى كيف
يعيش أصدقاؤه الفلسطينيون متألّمين بآسسين تحت الاحتلال الإسرائيلي مكابدين استبداد الصهاينة ومثبتين
أنفسهم في سبيل الحفاظ على هويتهم وكرامتهم. كتبت هذه المذكرة باستخدام التقنيات السردية مدفوعاً بحبه
العميق تجاه وطنه وشعبه. وترجمت إلى اللغة الإنجليزية على يد "أهداف سويف" فنشرت عام 2000 مع مقدمة
إدوارد سعيد. ونالت هذه السيرة الذاتية جائزة نجيب محفوظ للأدب قدمتها الجامعة الأمريكية في القاهرة³.

يقول إدوارد سعيد الذي عاش نفسه في المنفى: "إن 'رأيت رام الله' يوظف الجمالية المادية التي تؤكد على كل
من التغير الظرفي في حياة الفلسطينيين، وإحساس البرغوثي بمسؤوليته الخاصة كشاعر لمقاومة الإغراء لتجسيد
المادية الديناميكية لذلك التنوع. رغم أن البرغوثي ينتبه إلى استمرار حقيقة التهجير الفلسطيني، إنه يحاول أن
يروي تجارب الفلسطينيين الذين يعيشون في رام الله المحتلة جنباً إلى جنب الفلسطينيين في الشتات
البورجوازي⁴. ويضيف هو قائلاً: "إنه واحد من أفضل أشكال كتابة التجربة الوجودية للشتات الفلسطيني التي
نمتلكها الآن"⁵.

وقد أظهر مريد البرغوثي هوية الغربة في سيرته الذاتية قائلاً: "الغريب هو الشخص الذي يجدد تصريح
إقامته. هو الذي يملأ النماذج ويشترى الدمغات والطوابع. هو الذي عليه أن يقدم البراهين والإثباتات. هو الذي
يسأله دائماً: "من وين الأخ؟" أو يسأله "وهل الصيف عندكم حار؟ لا تعنيه التفاصيل الصغيرة في شؤون
القوم أو سياساتهم" الداخلية "لكنه أول من تقع عليه عواقبها. قد لا يفرحه ما يفرحهم لكنه دائماً يخاف عندما
يخافون. هو دائماً "العنصر المندس" في المظاهرة إذا تظاهروا، حتى لو لم يغادر بيته في ذلك اليوم. هو الذي تنعطب

¹ Tahia Abdel Nasser, Between Exile and Elegy, Palestine and Egypt: Mourid Barghouti's Poetry and Memoirs, *Journal of Arabic Literature*, 45 (2014) P 244-264.

² الدكتور سيدة اكرم رخشنده نيا، جدلية الأنا والآخر في رواية "رأيت رام الله" لمريد البرغوثي، مجلة الآداب، العدد 621 (أيلول)، 2018، ص: 436.

³ Philip Mattar, *Encyclopedia of Palestinians*, Revised ed. Edition, New York: Facts on File, Inc, 2005, P 313.

⁴ Glenn Bowman, Tales of the Lost Land: Palestinian Identity and the Formation of Nationalist Consciousness, *New Formations Journal*, No. 5 (1988) 31-52.

⁵ مريد البرغوثي، رأيت رام الله (المغرب: المركز الثقافي العربي، 2011)، ص ألف.

علاقته بالأمكنة. يتعلق بها وينفر منها في الوقت نفسه. هو الذي لا يستطيع أن يروي روايته بشكل متصل ويعيش في اللحظة الواحدة أضغاثاً من اللحظات. لكل لحظة عنده خلودها المؤقت، خلودها العابر¹.

جدير بالذكر أن هذه السيرة كشفت للعالم الوجه الآخر لفلسطين غير الوجه الذي نقلته وسائل الإعلام. يكتشف القارئ أن كل شهيد أو مغترب هو قريبه، وأهله هم أهله. وبهذا السيرة تتغير نظرة القارئ إلى فلسطين، فيراها منكوبة مظلومة متألمة خاوية على عروشها، ويتجول في المدن الفلسطينية المختلفة مثل القدس، والضفة الغربية، ورام الله، وقرية دير غسانة وما إلى ذلك.

الملاحم الأدبية في سيرة "رأيت رام الله":

إن هذه السيرة، في الحقيقة، تحتاج إلى أن تقرأها أكثر من مرة، فأسلوبها الأدبي يغريك بالعودة إليها للاستمتاع بلغة تفيض بالموسيقى، وتعبير يمس أوتار القلوب. أما عرض الكاتب لأحداث ووصفها لشخصيات فذلك دقيق جداً. والتفاصيل المنحوتة بدقة شاعرتجربك على أن تشعر أنك في داخل الحدث، وفي الزمن نفسه تشاركه مسيرة الوجع. وستجذبك السيرة إليها كلما أردت أن تتنفس حزناً.

أما لغة السيرة فهي شاعرية جداً، كلمات فيها رنين عذب ونغمة موسيقية. والكاتب لا يحرضنا على فعل شيء، وإنما هو يعرض تجربته فقط على مدى ثلاثين عاماً، وهذا سبب لعدم لجوئه إلى كلمات حادة أو قاسية؛ كلمات تعري الجرح لتصب عليه أكياساً من الملح الحارق. ولم يحاول كذلك طرح حلول سياسية، أو حلول فلسفية لحل قضيته، وإنما اكتفى ببساطة بعرض مشاعره بصدق وذكاء. ويتعمد إدخال اللهجة الفلسطينية في مواضع عدة ليشعرنا بالألفة مع شخصيات كتابه².

ويسترجع الكاتب بذاكرته أعزته وبعض أصدقائه الذين ماتوا أو استشهدوا داخل الوطن أو خارجه في المنفى؛ جدته الشاعرة، وأبوه، وأخوه منيف، وغسان كنفاني، وناجي العلي، ووديع حداد الذين طافت وجوههم حوله في لحظات، فلم يقدر لهم أن يعودوا ويروا وجه أرض الوطن كما يعود هو اليوم. وهي إشارة إلى آلاف المنفيين واللاجئين والشهداء من أبناء شعبه الذين لم يسمح لهم بالعودة ولو مرة قبل الممات.

أما بالنسبة للزمان والمكان فيقول عن علاقته بكل من الزمان والمكان: "أنا لا أعيش في مكان، أنا أعيش في الوقت، في مكوناتي النفسية. أعيش في حساسيتي الخاصة بي. عشت في مدن كثيرة جداً، عشت في ثلاثين بيتاً؛ لكني لا أشعر أنني أعيش في "مكان" أساساً. أشعر أنني أعيش في الوقت وفي الزمن. وعلاقتي بالمكان علاقة اعتباطية، لأن معظم الأماكن عشت فيها مضطراً. يعني: المكان الذي لا تختاره، فكأنك لا تعيشه بشكل كامل مطلق. ومنذ ضياع فلسطين،

¹ مريد البرغوثي، المصدر السابق، ص 7-8.

² محمود قحطان، رأيت رام الله: ملحمة الغربة والاعتراب، متاح على

<https://mahmoudqahtan.com/> رأيت رام الله-ملحمة الغربة والاعتراب/

أصبحت كل الأماكن أماكن اضطراب، واختيار صار قليلاً¹.

الخاتمة: انطلاقاً مما سبق نستطيع القول أن مفهوم أدب المنفى قد خضع خلال الربع الأخير من القرن العشرين لتحولات وتعديلات عديدة، فقد غادر معناه اللغوي الذي يجعل منه دالاً على أدب الغربة والهجرة والاقتلاع والنفي والتشرد. ويمكن مريد البرغوثي من بناء نصه السردى على قالب السيرة الروائية المتداخلة مع أنواع سردية أخرى، وهي الرواية، والسيرة الذاتية، والسيرة الغريبة، وأدب الرحلات، والحكاية، واليوميات، والمذكرات، والشعر، والتأملات الذاتية المجردة. واستعان على ذلك بتوظيف جملة من التقنيات الأسلوبية من أهمها المتفاعلات النصية، والاسترجاع، والحذف، والاستباق، والمشهد. وأرى أن "رأيت رام الله" سيرة مهمة لمن يريد أن يتجرّع ولو رشفة من بحر القضية الفلسطينية ليفهم معنى الشتات والغربة والظلم ليهفهم، أن القضية ليست قضية مسلم فحسب، بل قضية كل إنسان حر في العالم.

المراجع والمصادر:

1. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق، ج14، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1997.
2. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط2، ج4، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952.
3. هاتف جنابي، "مقدمة في المنفى والمهجر"، الحوار المتمدن، 1805، 2007م، متاح على: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=86804>
4. الدكتورة سيدة اكرم رخشنده نيا، "جدلية الأنا والآخر في رواية "رأيت رام الله" لمريد البرغوثي"، مجلة الآداب، العدد 621 (أيلول)، 2018م، ص 436.
5. مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ط4، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2011.
6. محمود أحمد عبد الغفار، "قراءة في شعر الشاعر الفلسطيني "مريد البرغوثي"، Journal of International Institute، العدد 1، 2008م، ص 23.
7. Edward Said, *After the Last sky: Palestinian Lives*, London: Faber and Faber, 1986.
8. Asaad Al-Saleh, Displaced Autobiography in Edward Said's "Out of Place", *Arab Studies Quarterly*, Vol. 33, No. 2 (Spring 2011), P 88.
9. Tahia Abdel Nasser, *Between Exile and Elegy, Palestine and Egypt: Mourid Barghouti's Poetry and Memoirs*, *Journal of Arabic Literature*, 45 (2014) P 244-264.
10. Philip Mattar, *Encyclopedia of Palestinians*, Revised ed. Edition, New York: Facts on File, Inc, 2005, P313.
11. Glenn Bowman, *Tales of the Lost Land: Palestinian Identity and the Formation of Nationalist Consciousness*, *New Formations Journal*, No. 5 (1988) 31-52.

¹ محمود أحمد عبد الغفار، قراءة في شعر الشاعر الفلسطيني "مريد البرغوثي"، "Journal of International Institute"، العدد 1 (2008)، ص 23.

تطور القصة القصيرة القطرية بإشارة خاصة إلى إسهامات جمال فايز



السيد شرف الدين
باحث بالقسم العربي بكلية فاروق
تحت إشراف د-محمد عابد يوبي

Abstract: This study is deals with the topic “Development of Arabic short story in the state of Qatar: An Analytical study with special reference to the contribution of Jamal Fayeze” analyzes the socio-cultural aspects as well as the features and development of the short stories that paved the way for the Qatar to establish as a cultural capital centre. Furthermore, the study is expected to highlight the contributions of Jamal Fayeze to a great extent.

The state of Qatar is one of the most developing countries in the world. Today the Qatar is becoming the hub of Arabic language and literature. The Qatari writer and journalist Jamal Fayeze is a member of Qatar writers council. He is one of the most influential Qatari pens. He is an honorary member of Nadi al Jasra . He has published several volumes of fictions and non-fictions. The contribution of Jamal Fayeze in the field of Arabic literature in the Qatar is highly a remarkable one. As a result, the socio- cultural aspects reflected in the short stories of the Qatar needs to be highlighted.

الملخص: تعد هذه الدراسة محاولة لبحث عن نشأة القصة القصيرة وتطورها في دولة قطر بإشارة خاصة إلى إسهامات الروائي والقاص الشهير المعاصر جمال فايز السعيد ومنهجه ومميزاته في القصة القصيرة العربية. وقد لعب هذا الكاتب الكبير دورا بارزا لا يستهان به في رفع الأدب العربي القطري إلى مصفات المستوى العالمي. وذلك كان من خلال إسهاماته في فن الأدب القصصي منذ بداية الثمانيات من قرن العشرين حتى الآن. وتسلط هذه الدراسة الأضواء على إسهاماته في القصة القصيرة وكما تقدم هذه الدراسة بيانا موجزا عن مجموعاته القصصية.

القصة القصيرة في دولة قطر

القصة القصيرة في قطر هي حديثة المولد ولا تتعدى بداية السبعينات حيث بدأت طريقها مع مولد الصحافة في قطر. هذا بالنسبة للقصة القصيرة أما بالنسبة للرواية أو القصة الطويلة فهي حتى الآن لا تكاد ترى النور على الرغم من أن الرواية هي أسبق من القصة في الظهور في مختلف الآداب بوجه عام، إلا أنها قد تأخر ظهورها في قطر. بالإضافة إلى أن هذه القصة القصيرة أصبحت في الوقت الحاضر هي الفن المسيطر على الحياة لإنسان، فاتجه إليها الكاتب بعد ظهور بوادر النهضة الأدبية في قطر، فقد تفتحت المواهب الأدبية في البلاد وهي ترى أمامها أن القصة القصيرة أصبحت سيدة الموقف فاتجهوا إليها والقصة القصيرة في قطر لا زالت في تطور النشأة

وبداية الطريق وهي ماضية في استكمال تطورها ونموها ونضجها الفنية بصورة مشجعة و مسخرة.يقول الناقد الدكتور عبد الرحيم كافود في كتابه الأدب القطري الحديث "ونظرا لقصر الفترة التي ظهرت فيها القصة القصيرة في قطر فإنه من الصعب تقسيمها إلى مراحل متباينة لأن ذلك لم يتضح بصورة واضحة ومحددة كما أن التقسيم على أساس المذاهب الفنية أمر صعب بالنسبة للقصة في قطر بسبب قلة هذه النماذج وعدم تبلورها بصورة واضحة حيث ان معظم هذه القصص يتداخل بين الواقعية والرومانسية"¹. فقصص أواخر الستينات وبداية السبعينات تختلف عن القصص التي ظهرت في أواخر السبعينات سواء من حيث الكم أو الكيف على الرغم من قصر هذه الفترة، ففي هذه الفترة الأخيرة أصبحت القصة القصيرة القطرية في الأدب أكثر نضجا وأقوى انتشارا. "ولعل أولى المحاولات لكتابة القصة في قطر كانت تلك المحاولات التي بدأها الأستاذ يوسف نعمة رئيس تحرير مجلة العروبة وذلك في أواخر النبات حيث ظهرت قصة « بنت الخليج، ولكن يمكننا القول بأن هذه القصة لا تخرج من حيث عدم النضج والاكتال عن القصص التي كتبها فيما بعد في مجموعتين (لقاء في بيروت) عام 1970م، والمجموعة الثانية الولد الهات « عام ١٩٧١ م وهاتان المجموعتان عبارة عن مقالات خبرية أو حكايات عادية يتسامر بها الناس، أو مجموعة من الشباب يحكي كل منهم عن مغامراته في رحلة من رحلاته التي يقضيها خارج البلاد.

لعل أول قصة ظهرت وكانت بقلم كاتب قطري وتقترب إلى حد ما من القصة القصيرة بمعناها الفن الحديث هي قصة (الحنين) التي كتبها الأستاذ إبراهيم صقر المريخي ونشرتها مجلة (العروبة) في العدد الخامس والخمسين ، وهي تصور بعض التناقضات التي تدور في المجتمع في فترة الانتقال فهي صور الصراع بين جيل محافظ يريد التمسك بكل ماضيه ، وجيل الشباب المثقف الواعي الذي يسعى للتغيير والانطلاق ، حيث تصور القصة المذكورة لحظة صراع بين شيخ طاعن في السن وبين أبنائه الذين أنهموا تعليمهم وحصلوا على مناصب عالية في الدولة فقرروا تغيير مسكنهم القديم والانتقال إلى فيلا حديثة ولكن الوالد يرفض هذا التغيير ويصر على البقاء في مسكنه القديم والأبناء يتمسكون برأيهم ويضطر الوالد إلى الرضوخ لرأي أبنائه بعد أن عجز عن المقاومة وينتقل معهم إلى الفيلا المسكن الجديدة .

وأغلب القصص التي ظهرت في أوائل السبعينات تكاد معظم موضوعاتها تنحصر في علاقة الإنسان بالبحر في الماضي ، أو تصوير لفترة الانتقال بين عهدين وما يدور فيها من صراع بين القديم والجديد ، والأبناء والأجداد ، التقاليد والعادات كما أن هذه القصص في معظمها أقرب إلى المقالة أو الحكاية منها للقصة بمفهومها الفني الحديث، فعلى الرغم من عمق الموضوعات التي تعالجها وقربها من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع في

¹ الدكتور عبد الرحيم كافود، الأدب القطري الحديث، ط:2، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، قطر، 1982م، ص126.

عهد انتقاله بين مرحلتين، بعد اكتشاف بترول إلا أن طريقة المعالجة لهذه الموضوعات تقترب من أسلوب الحكاية العادية والأخبار التي يتسامر بها الناس¹.

وطابع الرومانسية هو السمة الغالبة على إنتاج الشباب في هذه الفترة وربما يكون عند البعض نتيجة لمعاناة حقيقية نظرا لما يعيشه المجتمع القطري في هذه المرحلة من تغيرات وتفاعلات بين القديم والجديد، والأجداد والأبناء. فهناك العادات والتقاليد العربية والإسلامية الضاربة بجذورها في المجتمع، وهناك الأفكار الجديدة والعادات الدخيلة التي تحملها الحضارة الغربية بإيجابياتها وسلبياتها وكلها أمور يلتقي بها الشباب فتترك في نفوسهم أثرا وربما يعيش في صراع داخلي وتمتلكه الحيرة والتردد في اتخاذ المواقف المعينة إزاء هذه الأمور، ولذلك فلا غرابة في أن نشاهد أن إنتاج هذه المرحلة يغلب عليه الطابع الرومانسي من ألم الحب وتردد وأهات عند بعض الشباب ولكن تعارض العادات والتقاليد. أما بالنسبة للكاتبه كلثم جبر فقد نشرت مجموعة من القصص في الصحف المحلية. كمجلة الدوحة، ومجلة العهد ومجلة العروبة على فترات مختلفة وأخيراً جمعت هذه القصص في مجموعة واحدة باسم « أنت وغابة الصمت والتردد » وتحتوي هذه المجموعة على ست عشرة قصة تصور بعض جوانب الحياة في المجتمع القطري من خلال علاقة الرجل بالمرأة ومن خلال هذه العلاقة تتضح لنا بعض المفارقات التي يعاني منها المجتمع أوبالأخص ما تعاني منها الفتاة القطرية التي تعيش في مرحلة انتقالية بين عهدين عهد قديم يربطها بعباداته وتقاليده وموروثاته، وعهد جديد رجا في الغالب ما يوحى لها بتنافيه مع تلك الأعراف والتقاليد التي تعيشها ولذلك فقد جاءت هذه القصص تعبيراً حياً للتجارب الذاتية التي لا نغالي إذا قلنا إنها تصور بحق موقف الفتاة القطرية في هذه الفترة وما تنشده من تغيير في بعض المفاهيم التي تكبلها. والقضية الثانية التي نراها تتكرر في قصص المجموعة قضية فارق السن بين الزوج والزوجة ومدى تأثيرها على سعادة الأسرة فهذه المشكلة تتكرر².

يكاد يتفق نقاد القصة القطرية على أن تاريخها عرف جماعات متتالية من الكتاب، منهم من واصل الكتابة، ومنهم من انقطع إثر نصوص متفرقة لم تجمع في كتابه ومنهم من بذل جهداً طيباً، فأخلص لهذا الفن الوليد، فجاءت نصوص متوفرة على شروط الكتابة القصصية، ومنهم من تنكب لكثير من تلك الشروط فجاءت نصوصه لوحات إنشائية تفتقر إلى المزايا التي تدرجها في تاريخ القصة القطرية، ولعل أبرز ما تردد المصادر ذكرهم: يوسف النعمة، إبراهيم المريخي، كلثم جبر، أحمد عبد الملك، إبراهيم السادة، عبد العزيز السادة، أم اكثم، نورة آل سعد، حصة الجابر، حسن رشيد مایسة الخلفي، زهرة المالكي، ناصر صالح الفضالة، أمينة إسماعيل

¹ محمد عبد الحكم عبد الباقي، القصة القصيرة في قطر نشأتها وأعلامها وملاحمها الفنية، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، القاهرة، 1992م، ص 185.

² الدكتور عبد الرحيم كافود، الأدب القطري الحديث، ط: 2، دار قطري الفجاءة للنشر والتوزيع، قطر، 1982م، ص 126.

الأنصاري ، و داد الكواري ، بشري ناصر ، دلال خليفة ، شعاع اليوسف ، هدي النعيمي ، محسن الهاجري ، راشد الشيب ، ناصر الهلابي ، أحمد عبد السلام ، جمال فايز ، نوره محمد فرج ، خليفة هزاع ، أمينة العمادي ، شمة الكواري ، وسواهم ، وهم يتوزعون زمنيا منذ ستينيات القرن العشرين إلى مطلع القرن الحادي والعشرين.

جمال فايز: مولده ونشأته:

هو العلامة الأديب جمال فايز السعيد هو الكاتب الأديب عربي معاصر مشهور في مجالي القصة القصيرة والرواية في الأدب العربي المعاصر. هو قطري. ولد بالدوحة في 18 أكتوبر سنة 1964م. نشأ وترعرع في أحضان والديه، رحاب عاصمة الدولة قطر. "بدأت عليه بوادر الفطنة والذكاء وأحب سماع القصص الخيالية والشعبية وخاصة تلك التي تتعلق بعالم الغيبات والجن والأرواح والصراع بين الإنسان والطبيعة، فوسعت هذه القصص مداركه العقلية والفكرية، وكانت والدته الملجأ لهذه الأساطير حيث كانت تسرد عليه مجموعة من الحكايات والخرافات والأساطير فتأثر بها وإشتاق إلى قراءتها ولكن الظروف الاقتصادية لم تسمح له باقتناء هذه الكتب ونمت علاقة بينه ودار الكتب القطرية للقراءة والإطلاع منذ نعومة أظفاره... تزوج الفنان القاص الممثل جمال فايز من إحدى كريمات إحدى الأسر القطرية وله من الأبناء ريم، خلود، خالد، جاسم.

بدأ دراسته في مدرسة الخليج العربي الابتدائية وساهم عدد من الأنشطة التربوية وخاصة النشاط الصباحي في الإذاعة والصحافة المدرسية بجانب المسرح المدرسي، كل هذه المساهمات أثرت فيه فتوسعت مداركه الفكرية والعقلية¹ (1) وحصل على بكالوريوس جغرافيا تخطيط من جامعة قطر عام 1988. وكان صحفيا في جريدة الراية وترأس قسم الأنشطة الثقافية بإدارة الأنشطة والفعاليات الشبابية بوزارة الثقافة والفنون والتراث. وقد انحصر إنتاجه المطبوع في القصة القصيرة التي مارس كتابتها منذ عام 1986م. حاصل على قلادة العنقاء الذهبية الدولية من مهرجان العنقاء الذهبية الدولي الرجال في دورته الثانية 2008-2011. مُنح العضوية الشرفية من نادي الجسرة الثقافية الاجتماعي 1996م، وعضو في اللجنة التأسيسية بالجمعية القطرية للكتاب والأدباء. تولى منصب أمين السر بمركز الإبداع الثقافي من 2008 إلى 2010. تدرس أعماله القصصية ضمن المنهج المدرسي للغة العربية في الكثير من المدارس القطرية في المرحلتين الإعدادية والثانوية. ترجمت أعماله القصصية إلى لغات عديدة كالانجليزية والسويدية والروسية والفرنسية. أعدت أربعة من أعماله القصصية للمسلسل الإذاعي (قصص خليجية). اختارت الباحثة الأوكرانية لود ميللا سافارا جالي أعماله القصصية لنيل رسالة الماجستير وقد حصلت على دبلوم الدراسات العليا ودرجة التخصّص في اللغة العربية وأدائها من جامعة تفريدا الوطنية قسم اللغات الشرقية عنوان البحث (تأثير الثقافة على الحياة الاجتماعية في أعمال جمال فايز). اختارت الباحثة

¹ حسن حسين رحلة مبدع قطري ، جمال فايز ، بدأ ممثلا واستقر في عالم القصة القصيرة. جريدة الشرق القطرية ، صفحة آداب وفنون، 25-07-2004م

التركية بتول شاهين أعماله القصصية لنيل رسالة الماجستير من جامعة استنبول، اعتمدت الرسالة في أكتوبر 2006، عنوان البحث (حياة جمال فايز، مؤلفاته وشخصيته الأدبية وتحليل مجموعته عنانق البشر). اختار الباحث الهندي شرف الدين أريبان أعماله القصصية بعنوان (القيم الإنسانية في قصص جمال فايز وتطور القصة القصيرة في الدولة قطر). اختير جمال فايز ضمن (60) أدبياً عربياً معاصراً في مجالي القصة القصيرة والرواية العربية ضمن مختارات من الأدب العربي الحديث التي صدرت في كتاب بعنوان "القراءة الأدبية للمتقدمين في العربية" عن دار النشر البريطانية، من تحرير د. محمد علي عزيز، ود. جوناك البستي الأستاذين في جامعة بيل الأمريكية عام 2016، وذلك لتعريف الدارسين الأمريكيين والأوروبيين بنماذج مختارة من الأدب العربي الحديث، وإثراء معارفهم عن الأدب العربي. وكتب عديد من الأدباء والكتاب حول أعماله القصصية. وقدمت عن أعماله العديد من الدراسات النقدية لعدد من النقاد العرب المعروفين ومنهم الدكتور مراد مبروك وحسين النجم وأنور جعفر وسيد الوكيل وشعبان يوسف وغيرهم. كما فازت بعض قصصه في بعض المسابقات وحصلت على درجات متقدمة أهلتها لنيل بعض الجوائز¹

منهجه ومميزاته في القصص:

إن شوق الأديب وحنينه لأيام مضت من حياته وحيات مجتمعه قد ينعكس في أدبه، فتثيره الحالة الوجدانية التي تحتويه وتقوده إلى الكتابة عنها، فيفيض مداد محبرته حباً ينقش ذلك الماضي في أدبه، فينقل لنا الصور الاجتماعية لمحيطة الذي عاشه ويعيشه، فيكون أدبه بمثابة وثيقة اجتماعية. ويقول الكاتب عبد الرحيم كمال "يحيرني أمر الصديق الزميل المبدع جمال فايز فهو قاص جميل، يمتلئ روح فنان حقيقي، يختزل الكون داخله، لا يبوح بسرّه حتى يخرجّه كأننا أمثر جمالا وبريقا على الورق.. وكثيرا ما أسأل نفسي: كيف يحتفظ لجمال فايز داخل عقله ومشاعره بكل تلك الأحاسيس ويصنع لها شرنقة خاصة يحملها فيها أياما، وربما شهورا حبيسة داخله"³

والقصة القطرية وإن جاءت متأخرة عن فترة اجتماعية ما، إلا أن الأديب يمكنه أن يستدرك ذلك ويسترجع ما تختزنه ذاكرته، وقد يساورنا القلق من نسيان ماضينا، فنحاول الإمساك به بأي شيء يحييه أمامنا أن يذكرنا به، ونجد في الأدب أملا، فيحفر الأديب في ماضيه وماضي مجتمعه، يرسم بكل سطر لوحة ويعلقها في صفحات كتبه، فيعترينا أطمئنان لتوثيق الماضي. أسلوب جمال فايز في قصصه - سلسا بسيطا وفصيحا في الوقت نفسه وكعادة جمال فايز أيضاً، جاءت الصور البلاغية في القصة قريبة التناول مألوفة الاستعمال إلا أنها مختارة بعناية

¹ - خليل إبراهيم الفزيع، جمال فايز بين الرحيل والميلاد. من كتاب: في دائرة الإبداع، أدبيات وأدباء من قطر. دراسة نقدية، الطبعة الأولى 2008م، مطابع الشركة الشرقية للطباعة والصحافة والإعلام، السعودية، ص 125.

بحيث تخدم الجو العام للقصة ودالاتها وأدب الكاتب جمال فايز صندوق مملوء وثائق اجتماعية، فعندما تقرأ له يعود بك إلى الماضي، ومن كنوز صندوقه الأدبي المجموعة القصصية الرحيل والميلاد التي صدرت عام 2003م. مجموعة جمال فايز الأخيرة "عندما يبتسم الحزن" أدركت أن ثمة تطوراً فنياً واضحاً قد طرأ على تجربته السردية، رغم أنه لا يزال أسير ذلك الموروث الشعبي الذي لا تزال ملامحه تعيش في وجدان أبناء هذا الجيل، ولم تنجح مظاهر الحياة العصرية الحادة في إزاحة تلك الصور المتجذرة في وجدان كل من استقى إرثه النفسي من جيل ما قبل النفط، وهو إرث أسس لذائقة فنية متميزة، طبعت الأدب في دول الخليج العربي، بما لا يتوفر في الإنتاج الأدبي في البلدان العربية الأخرى، وخاصة في الفنون البصرية والصوتية، وحكايات وأهازيج الغوص، والعادات والتقاليد ذات النزعة الإنسانية الطاغية على سلوك مجتمعات دول الخليج العربية في بيئتها البدوية والحضرية ومهناها التي يسيطر "الغوص" على أهم مفاصلها، وكاتبنا جمال فايز ليس استثناءً في هذا الأمر.

يقول الأستاذ شعبان يوسف عن أسلوب الفنان جمال فايز أنه "في بعض القصص يعالج الكاتب هموما اجتماعيا عديدة ليست بعيدة عن حالات الإحباط التي تدهم الأزواج وربما الأبناء وهي أيضا ليست غريبة عن الأجواء العامة الوجودية التي تنتشر في ثنايا القصص"⁴ نجد أن جمال فايز يبدو قلقا على الماضي من الحاضر، وأخذ الحنين إلى توثيق كل ما هو أصيل في الماضي انطلاقا من مشاعره، وخشيته من طمس ماضينا بما يأتي به هذا الحاضر، فلا يريد الرحيل للماضي العتيق بميلاد حاضر غريب. يطرح القاص جمال فايز وبأسلوب سلس وغير مباشر، بعض هموم وقضايا الحياة، بما في هذه الحياة من هزائم وانتصارات، ربما لا تسترعي انتباه الكثيرين، لكنها حتماً تعني الكثير للفنان، بما يشعر به حيالها من معاناة هي تجسيد لموقفه الفني حيالها، بل وموقفه الفكري أيضاً.

المجامع القصصية (بياناً موجزاً)

سارة والجراد: المجموعة الأولى لجمال فايز السعيد، ظهرت السنة 1991م، عن وزارة الثقافة بدولة قطر في 111 صفحة. تضم المجموعة 12 قصة أشهرها: سارة والجراد، وبقي العلم مرفوعاً، آم وأمال، الحائرون.

الرقص على حافة الجرح: صدرت المجموعة القصصية «الرقص على حافة الجرح» لكاتب القصة جمال فايز وتقع المجموعة في (155) صفحة من القطع المتوسط وتضم (13) قصة قصيرة هي الترتيب: «الكهل الصغير، حطام المسافات البعيدة، فحيح العاصفة، تابوت من لحم، الرقص على حافة الجرح، الشرنقة، الركض في الوحل، المكافأة، يوم الحصاد، إظلام، في عرض الشارع، توحد، فئران وحجارة.

¹ عبد الرحيم كمال الرحيل والميلاد. جريدة الراية، العدد 7901، 2003/12/25، م 28، صفحة
⁴ المرجع السابق

الرحيل والميلاد: صدرت المجموعة القصصية 2003 م. تضم فيها 15 قصة قصيرة هي الترتيب : تبقى من شظايا المحار، دوبيات الباب الخشبي، يوم العيد، بشر من الأكفان، قرايين مياه البحر، الصقر، وباء الفؤاد الجمائم البيض، زهرة، ضجيج الصمت، أرواح البيوت، قطعة الصقر، تحت ظل النخيل، الرحيل والميلاد، جذور الكرسي المتحرك، آخر البشر من لحم ودم.

عندما يبتسم الحزن: مجموعة جمال فايز الأخيرة "عندما يبتسم الحزن" أدركت أن ثمة تطورا فنيا واضحا قد طرأ على تجربته السردية، قصص المجموعة هي: ليلة الكرنكعوه ، عندما يبتسم الحزن ، حصاد السنوات العجاف ، أنين دموع نضرة ، السير على حافة المنحدر ، العائد ، أكثر من الظل ، أنفلونزا الطيور ، تمثالنا البشري ، أطول من قامة السممر ، الأقحوانة البيضاء ، انبلاج الليل.

عناقيد البشر : صدرت حديثا لكاتب القصة جمال فايز، المجموعة القصصية: «عناقيد البشر»، تضم المجموعة اثنتي عشرة قصة قصيرة، هي على التوالي: إنها حياتنا، عناقيد البشر، العابرون إلى الداخل، البحر لا يبرح مكانه، رجل بلا ظل، الغمة، لوطي أغني، ترابي على صدري، البوعزيزي، الأحمر على الأبيض يتمدد، الباحث عن شيء آخر، كائنات بشرية. مجموعة «عناقيد البشر» تمثل المجموعة القصصية الخامسة للكاتب.

الخاتمة: هذه المقالة محاولة متواضعة للدراسة التحليلية عن تطور القصة القصيرة في الدولة قطرو الكاتب القطري الشهير جمال فايز السعيد ومميزاته ومنهجه في فن الأدبي مركزة على مجموعة قصصه الشهيرة سارة والجراد، الرحيل والميلاد، عندما يبتسم الحزن، عناقيد البشر، الرقص على حافة الجرح. وجدير بالذكر هنا أن هذا الأديب الكبير كان يتناول في قصصه عن شوقه وحنينه الأيام مضت من حياته وحيات مجتمعه وعلى كل حال أن قصص الكاتب كلها نداء متكامل إلى الدفاع عن قيم المجتمع وتقاليد السامية .

المصادر والمراجع

- د. صبري حافظ، القصة القصيرة في قطر بيلبوجرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي، ج1، وزارة الثقافة والرياضة قطر 2016م.
- محمد عبد الحكم عبد الباقي، القصة القصيرة في قطر نشأتها وأعلامها وملامحها الفنية، القاهرة طبعة خاصة، 1992م.
- فايز صياغ، سبعة أصوات في القصة القطرية الحديثة، إدارة الثقافة والفنون قطر 1983م.

المقالة عند الدكتور مفتدى حسن الأزهرى



رفيق أختر

باحث في الدكتوراه، بقسم اللغة العربية والفارسية،
جامعة كلكتا، بنغال الغربية، الهند

Abstract: Dr. Muqtada Hasan Azhari was a renowned writer, scholar, journalist, translator, editor, educator and social reformer in India. He had a multi dimensional character. He was Born on August 1939 in muslim family at Maunath Bhanjan in Uttar Pradesh, India. He wrote profusely on various aspects. During his entire life he was regarded as a respected teacher, acclaimed author and well sought-after speaker .He died on 30 October 2009 A.D. at the age of seventy.

He devoted his life in serve of Arabic literature, religious work, teaching, writing and speaking. He grew up in a religious, educational and literary environment, and gained a beautiful taste and skill from his literary studies in expression and speech. He lived in the vastness of cognition and knowledge and the groves of books and literature throughout his life. We say that he was a book worm and he had a lot of cruising and roaming in his horizons.

He wrote for more than forty years, in all fields: political, social, Islamic economy, religious, creed, biography, Islamic culture, religions, the religion movements, the Islamic world and other fields.

ملخص البحث: كان الدكتور مفتدى حسن الأزهرى أديب عربي وجد في الصحافة الوعاء الذي يحتضن كل أفكاره وآرائه، لذا صب الدكتور عصارة فكره في تلك المقالات التي أرسلها إلى المجلات والصحف العربية وخاصة كتبها لصوت الأمة من حيث كونه رئيس تحريرها، وادرك في مشكلات الأمة الإسلامية والعربية مادة لمقالاته الصحفية، وكتب لمدة تزيد عن أربعين سنة، في جميع المجالات: السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والدينية والعقيدة والسيرة، والدعوة والإرشاد، والثقافة الإسلامية، والأديان وحركة الديانة، والعالم الإسلامي وغيرها من المجالات.

لم تكن الكتابة عن الدكتور مفتدى حسن الأزهرى في مستوى الاهتمام به، فما كتب عنه يعد قليلا بجانب صيته الذائع ومكانته من حيث كونه أكبر أدباء الهند، فقد كتب عدد من الباحثين عن الدكتور بشكل مقتضب، وفي صفحات معدودة، ولكنها ذات قيمة كبيرة على الرغم من أنها لم توفه حقه.

أعتقد أن كل تلك المقالات والكتب التي صدرت لم تتعمق في دراسة فن المقالة عن الدكتور مفتدى حسن الأزهرى، وغالبا ما تتناول شيئا عن حياته، أو وصفا أو تعليقا على أسلوب الدكتور الأزهرى وآرائه بشكل مختصر، ويصف الكاتب طريقة الدكتور الأزهرى في تناول موضوعاته ومدى بساطتها أو شموليتها كما يلقي الضوء على تعريف

المقالة ونوعيتها.

الكلمات المفتاحية: الدكتور الأزهرى، إسهامات علمية و مقالة، الصحافة العربية.

توطئة: فإن الهند من البلاد الخصبة التي أنجبت في القرن العشرين الميلادي عددا لا يستهان به من الأعلام والجهابذة والعباقرة المعروفين على الصعيد الوطني والعالمي في مختلف العلوم والفنون. وقد تجاوزت شهرتهم آفاق الهند لا في مجال العلم والأدب والثقافة فحسب وإنما في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي أيضا. ومن هؤلاء العلماء والعباقرة الذين خدموا الثقافة الإسلامية نشرًا وإشاعةً وروجوا اللغة العربية كتابةً وتدريسا الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى - رحمه الله -. فقد اهتم بهذه اللغة وأداها اهتماما بالغًا واعتنى بتدريس العلوم الشرعية اعتناءً كافيا. ويحتل مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والأدبية؛ بتأليفاته القيمة في اللغتين العربية والأردية، وإسهاماته البارزة في مجال التدريس والصحافة، والترجمة والتحقيق. وقد نال الدكتور الأزهرى إعجابًا وقبولًا بكفاءته العلمية والأدبية، ولغته الناضجة في الهند وخارجها، وحاز على جائزة رئيس جمهورية الهند لخدمة اللغة العربية، لعام 1993م.

مفهوم المقالة:

هي فن نثري يعرض فيه الكاتب فكرة أو قضية معينة بطريقة منظمة وشيقة، وتكون عادة منثورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد، ويكون حجم المقالة محدوداً ولا يتجاوز بضع صفحات، لذلك يقتصر الكاتب على عرض فكرة الموضوع فقط دون تفصيلات، ويعالج موضوعا من الموضوعات على وجه الخصوص. تعددت الأقوال وكثرت في تعريف المقالة، فعرفها كثير من النقاد والدارسين ووضعوا لها ضوابط تميزها عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى، كما تحدث هؤلاء النقاد واختلفوا في نشأة المقالة، فمنهم من جعلها عربية الجذور، وإذا ما تتبعنا تعاريف المقالة في الكتب والدراسات المختلفة فإننا نجد لها كثرة، وقبل أن نعرض تعاريف المقالة في الكتب المختلفة لا بد لنا من تتبع جذور المقالة في المعجم العربي.

المقالة لغة:

في اللغة المقال مصدر قال يقول قولاً وقيلاً ومقالة ومقالاً، وقد ورد كلمة مقال في آثار اللغة العربية منذ عهد بعيد حتى العصر الحاضر، ودارت على ألسنة الكتاب والمفكرين وترددت في أحاديثهم ومحاوراتهم على امتداد العصور. ففي المعجم الوسيط - قال قولاً ومقالاً ومقالة : تكلم فهو قائل والقول: الكلام، والمقالة هي القول¹، من هنا يظهر أن لفظ المقالة مشتق من مادة (القول= ق ول) وهي تعنى القول كما جاء في المعجم الوسيط، وقد قال النابغة الجعدي: مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل.

المقالة اصطلاحاً:

¹ إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، ص: 767

وجاء في المعجم الوسيط تعريفا اصطلاحيا للمقال: المقال هو اسم يطلق على الكتابات التي لا يدعى صاحبها التعمق في بحثها أو الإحاطة التامة في معالجتها¹. وعرفه صاحب قاموس أكسفورد فقال: المقال هو إنشاء كتابي معتدل الطول في موضوع ما. ومن الباحثين من حدد المقالة الأدبية بأنها التي تدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاهها أو أثرا في الأدب العربي القديم أو الحديث أو في الأدب الأوربي الغابر أو المعاصر².

أما المفهوم الفني للمقالة فيمكن نلمسه في التعريفات التي قدمها مجموعة من النقاد العرب والغربيين لهذا الفن، فيعرفها محمد يوسف نجم بأنها "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع - تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً عن شخصية الكاتب"³، والمقالة عند أحمد الشائب: "تطلق في العصر الحديث على الموضوع المكتوب الذي يوضح رأياً خاصاً، وفكرة عامة أو مسألة علمية أو اقتصادية أو اجتماعية يشرحها الكاتب ويؤيدها بالبراهين"⁴. أما عبد العزيز عتيق فيرى أن المقالة: "قطعة من النثر الغني يتحدث فيها الكاتب بنفسه ويحكي تجربة مارسها أو حادثاً وقع له أو خاطراً خطرله في موضوع من الموضوعات"⁵.

وقد عرف المقالة عدد من النقاد الغربيين، منهم الدكتور (جونسون) إذ عرفها بأنها: "نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، هي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها"⁶. وعرفها (موري) في قاموسه بأنها: "قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو جزء منه"⁷.

يقول الأستاذ سيد قطب عن المقالة في كتابه "النقد الأدبي أصوله مناهجه": المقالة تعبير موح عن تجربة شعورية، فتعتمد على الكلمة الراقصة والعبارة المنغمومة، ولكنها - قبل كل شيء - فكرة وموضوع، فكرة واعية، موضوع يعالج قضية، تجمع تنسق عناصرها بصورة منطقية استنتاجية، تؤدي إلى غاية مرسومة من أول الأمر فهي لا تهدف الانفعال الوجداني، وإنما تحاول الاقتناع الفكري، لأنها تشرح فكرة، وتحشد لها الأدلة والأسانيد، حتى يخرج القارئ منها ممتلئاً بفكرة، لا متأثراً بعاطفة⁸.

والمقال يتناول العديد من الموضوعات في كل المجالات وليس له مجال محدد وإنما يتسع موضوعه لكل ما في العصر من مفاصد اجتماعية وأمراض خلقية ومن ثم يتنوع المقال إلى أدبي وعلمي وسياسي واجتماعي ونقدي وتفسيري وغير ذلك.

ومن خلال التعريفات السابقة، فإنه يمكن القول: إن المقالة قطعة نثرية محدودة الطول تعالج موضوعاً

¹ نفس المصدر: ص: 767

² د/أحمد هيك، تطور الأدب الحديث في مصر ص 416.

³ محمد يوسف نجم، فن المقالة، ص: 95.

⁴ أحمد الشائب، الأسلوب، ص: 96

⁵ عبد العزيز عتيق، فن النقد الأدبي، ص: 229

⁶ محمد يوسف نجم، فن المقالة، ص: 93، لم يوثق محمد نجم تعريف (جونسون) للمقالة.

⁷ المرجع نفسه، ص: 94، ولم يوثق محمد نجم تعريف (موري) للمقالة.

⁸ قطب سيد، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي، ص: 95

معينا وتعكس وجهة نظر كاتبها. ومن ثم فالمقالة قد تحدت عند النقاد العرب والغربيين في أنها تكتب نثرا وليس شعرا، وهي معتدلة الطول، وتعبّر عن رأي صاحبها. والمقالة تتناول العديد من الموضوعات في كل المجالات وليس له مجال محدد وإنما يتسع موضوعة لكل ما في العصر من مفاسد اجتماعية وأمراض خلقية من ثم يتنوع المقال إلى أدبي وعلمي وسياسي واجتماعي ونقدي وتفسيري وغير ذلك.

عناصر المقالة:

للمقال ثلاثة عناصر: الخطة والمادة والأسلوب.

الخطة: وهي مقدمة، وعرض، وخاتمة.

المادة: وهي مجموعة الأفكار، والآراء، والحقائق، والمعارف والنظريات، والتأملات، والتصورات، والمشاهد، والتجارب والأحاسيس، والمشاعر، والخبرات التي تنطوي عليها المقالة.

ويجب أن تكون المادة واضحة، لا لبس فيها ولا غموض، وأن تكون صحيحة بعيدة عن التناقض بين المقدمات والنتائج، فيها من العمق ما يجتذب القارئ، وفيها من التركيز ما لا يجعل من قراءتها هدراً للوقت، وفيها وفاء بالغرض، بحيث لا يُصاب قارئها بخيبة أمل، وأن يكون فيها من الطرافة والجدة بحيث تبتعد عن الهزل من الرأي، والشائع من المعرفة، والسوقي من الفكر، وفيها من الإمتاع، بحيث تكون مطالعتها ترويحاً للنفس، وليس عبئاً عليها.

الأسلوب: هو الصياغة اللغوية والأدبية لمادة المقالة أو هو القالب الأدبي الذي تُصَبُّ فيه أفكاره ومع أن الكتاب تختلف أساليبهم، بحسب تنوع ثقافتهم، وتباين أمزجتهم، وتعدد طرائق تفكيرهم، وتفاوتهم في قدراتهم التعبيرية، وأساليبهم التصويرية، ومع ذلك فلا بد من حدٍّ أدنى من الخصائص الأسلوبية، حتى يصح انتماء المقالة إلى فنون الأدب فلا بد في أسلوب المقالة من الوضوح لقصد الإفهام، والقوة لقصد التأثير، والجمال لقصد الإمتاع. فالوضوح في التفكير يفضي إلى الوضوح في التعبير، ومعرفة الفروق الدقيقة، بين المترادفات، ثم استعمال الكلمة ذات المعنى الدقيق في مكانها المناسب¹.

بداية المقالة:

تنتمي المقالة إلى جنس النثر الأدبي الحديث، حيث إنه لم يعرف هذا الجنس الأدبي من قبل، وإن كان بعض الباحثين يردونه إلى عصور سابقة، فقد ذكر بعض الباحثين الأوروبيين أن بداية المقالة كانت عند اليونان والرومان، وعند بعض الباحثين العرب أنها موجودة في الأدب العربي القديم، في الرسائل والمقامات والفصول، ولكن الحقيقة هي أن هذا النوع من النثر الأدبي جديد كل الجدة ولد بعد ظهور الجرائد المجلات، وارتباط المقالة بهما، ولم يسبق للجنس البشري أن مثل هذا النوع.

¹ (<https://ar.wikipedia.org/wiki/أدب>) (مقالة) تاريخ الدخول 2018/07/09 (الساعة: 21.39)

وأول من ابتدع هذا النوع من النثر رجل فرنسي يدعى ميشيل دومونتين، الذي ولد في فرنسا سنة 1533م، ودرس القانون، وأصبح بعد ذلك مستشارا في مدينة مونتين، وتقلب في المناصب ليصبح محافظا لمدينة مونتين في وقت لاحق، وبعد تقاعده من المناصب الرسمية سنة 1571م، سكن في مزرعة العائلة، وتفرغ لكتابة خواطره وآرائه، وكان ذلك في عام 1572م، تلك الخواطر كانت في مجموعة نثرية أسماها محاولات.

تلك المحاولات كانت البذرة الأولى للمقالة الذاتية، والتي أصبحت مثالا يحتذى لمن جاء من بعده، وتلك المحاولات وجدت لها صدى في أوروبا، وانتقلت إلى إنجلترا بالذات، ووجدت من يقلدها ويكتب خواطره، ولكن يظهر رجل آخر يرى رأيا مخالفا لمونتين، ويكتب مقالات أخرى تكون نوعا آخر ألا وهو المقالة الموضوعية.

رائد المقالة الموضوعية فرنسيس بيكون، الذي ولد في لندن سنة 1561 ودرس في كامبرج، ولكنه لم يستطع الحصول على وظيفة رسمية، بسبب معارضته في البرلمان لبرنامج الملكة إليزابيث لأولى للضرائب، لذا عمل في الحمامة، ولم يستطع الحصول على منصب رسمي إلا بعد وفاة الملكة، وتنقل في الوظائف إلى أن أصبح النائب العام عام 1613م.

كان لظهور الصحف والمجلات الأثر الكبير في تطور المقالة، وخاصة المجلات الأدبية، ففي سنة 1709م أصدر ريتشارد ستيل (1672-1729) صحيفة أسماها "الثرثار" خصص نصفها للأخبار، والنصف الآخر للمقالات التي كان يكتبها، ثم ساعده صديقه جوزيف أديسون (1672-1717) حتى توقفها، ثم أصدرها مجلة أخرى بعنوان "المراقب" وبهايتين المجلتين تطورت المقالة تطورا كبيرا، من حيث المحتوى، واتجهت ناحية التحليل لمظاهر الحياة، ونقد المجتمع، وكذلك تطور أسلوب الكتابة، وظهر أسلوب إنشائي جديد¹.

أصبحت المقالة تتمتع بروح أدبية عالية، وكان اختيار الموضوع من مهام الكاتب، فهو الذي يختار ويكتب كيفما يشاء، وكان لاتساع موضوعات المقالة التي شملت جميع مناحي الحياة الأثر الكبير في تطور المقالة، وكانت تعتمد على ثقافة الكاتب، ومدى معرفته بتناول تلك الموضوعات التي شملت الحياة بأسرها، والصحفيون الأدباء لهم أكبر الأثر في تطور أسلوب المقالة، لأنهم يجمعون بين الصحافة والأدب، ومنهم الشعراء الكتاب.

المقالة والصحافة في الأدب العربي:

ما كان للمقالة أن تتطور في العالم لولا وجود الصحافة، والصحف بمعناها الحديث أخذها العرب من أوروبا، وكان للأوربيين الدور الكبير في نقل هذه المهنة إلى الوطن العربي، وكلما تطورت الصحف في أوروبا انعكس ذلك على وطننا العربي، فمتى بدأت الصحافة في أوروبا؟ وكيف تطورت هناك؟

يرجع بزوغ فجر الصحافة في الوطن العربي إلى دخول الحملة الفرنسية مصر سنة 1797م، إذ جلب نابليون

¹ د/إبراهيم إمام، دراسات في الفن الصحفي، الأجلو المصرية 1982.

بونابرت مطبعة تطبع الأوامر إحداها فرنسية، وأخرها عربية باسم "التنبيه" ولكن تلك الصحف توقفت بعد رحيل الفرنسيين، ولم تعد الصحافة في مصر إلا في عهد محمد علي سنة 1728م حين أصدر صحيفة "الوقائع المصرية" بعد إنشاء مطبعة بولاق سنة 1721م¹.

تعلم العرب فن الطباعة، وأصدر أحدهم أول صحيفة عربية، وهو رزق الله الحلبي وهي جريدة "مرآة الأحوال" سنة 1855م، ثم تلاه خليل الخوري اللبناني الذي أصدر "حديقة الأخبار" سنة 1858م في بيروت، ولكن الجرائد العربية كانت في مستوى متدن حتى صدرت جريدة "الجوائب" سنة 1861م، لصاحبها أحمد فارس الشدياق، فقد بلغت مبلغا كبيرا من الرقي والانتشار، كانت أعظم الصحف العربية ثم توالى بعد ذلك إنشاء الجرائد والمجلات العربية، وخاصة مجلة "روضة المدارس" التي أنشأها على مبارك سنة 1870م.

قيض الله للصحافة العربية الأدباء والكتاب العرب لكتابة مقالات صحفية في الجرائد العربية، وكانت السبب في تطورها وازدهارها، ومن هؤلاء أحمد فارس الشدياق، ورفاعة الطهطاوي، واسماعيل الخشاب، والشيخ حسن العطار، وبطرس البستاني، وعلى مبارك، وعبد الله النديم، وإبراهيم البازجي وغيرهم من الأدباء والكتاب الذين أثروا الصحف بالمقالات الصحفية في شتى العلوم والفنون والآداب².

الدكتور الأزهرى في غمار الصحافة:

إن الدكتور مقتدى حسن الأزهرى له باع طويل في مجال الصحافة وخبرة طويلة فيها، وحينما التحق بالجامعة السلفية، و تولى رئاسة التحرير لمجلة "صوت الأمة" وبذل جهودا جبارة في إصدار هذه المجلة واستمر بكتابة الإفتتاحيات لها بشكل مستمر، وكتب لغيرها من المقالات في الجرائد والمجلات في العربية والأردية التي تتجاوز خمسمائة مقال في اللغتين العربية والأردية. وكانت مقالاته مختلفة الجوانب من الدينية والثقافية والأدبية والسياسية التي تدل على اطلاع واسع على أحوال العالم الإسلامى ومسجداته الحديثة وتضلعه في العلوم المختلفة، وكثير من المقالات تحتوى على تنوير الرأى العام بمبادئ رسالة الإسلام وتعاليمها الصحيحة، ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية، والثقافة الدينية والتيارات المنحرفة وضلال الذيع والإلحاد، وسائر المنكرات بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع تجنب لغو القول، وسفاسف الأمور³.

ارتباط الدكتور مقتدى حسن الأزهرى بالصحافة العربية:

قد أغرم الدكتور الأزهرى - رحمه الله - منذ بداية دراسته في المدارس بقراءة الصحف والمجلات العربية هندية مختلفة. وقد زادت شهرته ذيوعا، ومن الطبيعى أن يؤثر فيه البيئة العلمية والأدبية التي وجدها في جامعة

¹ محمد يوسف نجم، فن المقالة ص65، بيروت، دار الثقافة ط5، 1988.

² أحمد حسن الزياد، تاريخ الأدب العربي، ص: 307-310

³ السراج، إبريل، يوليو 2010م، ص: 35

الأزهر وكذا عمله ك مترجم ومعلن في " إذاعة القاهرة" لسنتين أثناء قيامه في مصر و حينما التحق بالجامعة السلفية و تقلد منصب رئاسة تحرير مجلة "صوت الأمة" وليس شك أن هذه الفرصة قد اتت الدكتور الأزهرى - رحمه الله - لنشر آرائه تجاه موضوعات متعددة هامة، حتى لانرى قضية أو واقعة أو مأساة كبيرة حدثت في الهند إلا ويتناولها ويصورها أحسن تصوير في المجلة، وهكذا أصبحت مقالاته أنضج شعورا وفكرا ولغة، وأرفع وأوسع أفقا، مما أدت إلى إذاعة صيته ورفعة منزلته العلمية في الهند والبلدان العربية.

الدكتور الأزهرى والصحافة العربية: أما المقالات التي كتبها فهي تربو على خمس مائة مقالة في اللغتين العربية والأردية، منها أكثر من ثلاث مائة وخمسين مقالة باللغة العربية، وزهاء ثلاث مائة مقالة باللغة الاردية. وقد نشرت معظم المقالات العربية في مجلة "صوت الأمة" ومجلة "المنار" الصادرتين عن الجامعة السلفية بمدينة بنارس. في حين نشرت البعض الأخرى في مجلات ودوريات عربية في الهند وخارجها مثل مجلة "المجمع العلمي الهندي" عليه، ومجلة " ثقافة الهند" نيودلهي، ومجلة " البعث الإسلامي" لكاناؤ، ومجلة " التوعية الإسلامية" مكة المكرمة، ومجلة "الدعوة" الرياض وغيرها.

ومما يجدر بالذكر هنا أن هذه المقالات كلها ذات أهمية بالغة، تركز على موضوعات متعددة، وتعكس صورة المجتمع الهندي، وتسلط الأضواء على أحوال المسلمين ومراكزهم الدينية وثقافتهم الإسلامية في الهند. ونحن نعلم أن الأوضاع ما كانت مواتيئة وقت إنشاء هذه المجلة عام 1969م؛ لقلة الكتاب والقراء باللغة العربية، ولكن الدكتور الأزهرى بذل قصارى جهوده في إصدارها بانتظام، ونفخ روح الحياة والنشاط في أهل العلم والأدب، وقام بإرساء دعائم صحافة عربية بناءة في بلد غير ناطق بالعربية، وأوصلها إلى قمة عالية من الصحافة بجهوده الجبارة في مدة أربعين سنة من إشرافه عليها ويؤسهم فيها كبار العلماء والكتاب من الهند والبلاد العربية، وكانت مقالات الكتاب المتنوعة ذات مكانة علمية وأدبية؛ إذ كانت تُنتجها أقلام الشخصيات البارزة في العالم العربي والإسلامي. فقد لعب الدكتور الأزهرى دوراً مهماً في انتخاب هذه الموضوعات المتنوعة بناء على خبراته الواسعة وتجاربه الطويلة. وكانت افتتاحياته تقرأ بكل شوق وانهمالك. وبعد وفاة الشيخ الأزهرى في 30 أكتوبر 2009م آلت مسؤولية تحرير المجلة إلى الأستاذ الشيخ أسعد الأعظمي.

قدرته على الصحافة العربية: كان الدكتور الأزهرى يهتم بالصحافة كثيرا، وكان يعتبرها سلاحا من الأسلحة قويا في الغزو الفكري مع الغرب، فالصحافة تقوم بدور كبير في تكوين وتعميم اتجاه أدبي وخلقى، وتحتل مكانة جوهرية في إنشاء و نشر نزعة دينية أو سياسية وثقافية، ولها اتصال مباشر مع الشعب، اذ هي وسيلة هامة من وسائل الإعلام، والصحافة عنده لابد أن تكون نزيهة لا تلعب ولا تلهو بالأدب، وأمينة صادقة لا تكون مجرد دعاية للأفكار الفاسدة، ولا بد ان تكون حرة لا تجانب قائدا ولا حزبا واذا أتت إلى المشاكل الإنسانية فلا بد أن تحلها حلا طبيعيا. إن مقالاته القيمة لا تحتوي على موضوع واحد، أولون معين، بل تنوعت جوانبها وتعددت مجالاتها، إنه

تناول الموضوعات المتنوعة من الدين، والثقافة، والأدب، والتاريخ، والسياسة، وأسهم بذلك إسهاما بالغاً في ترويح الدراسات العربية والإسلامية، وإيقاظ الشعور الديني، وإحياء التراث الإسلامي، وإيجاد الغيرة في الشباب المسلم على اللغة العربية الفصحى، وإن فترته الزمنية في مجال الكتابة والصحافة تمتد إلى أربعين سنة، وفي هذه المدة المديدة والفترة الطويلة لعب دوراً فعالاً في رفع مستوى الصحافة العربية في الهند من خلال كتاباته البناءة ومقالاته الشيقة وأفكاره السديدة، وخدم اللغة العربية والأدب العربي والمعارف الإسلامية خدمة لا يستهان بقيمتها على مر العصور والأجيال ولا ينساها تاريخ الصحافة العربية العالمية فضلاً عن الصحافة العربية في شبه القارة الهندية.

أسلوبه في الصحافة:

وكان بحراً زخاراً للألفاظ العربية، يستحضرها استحضاراً كاملاً، فإذا أخذ القلم بيده كانت الألفاظ تتبادر إلى ذهنه حسب سياق الكلام، ويستخدمها بحذروحيطة، ويستخدم الصلوات حسب الأفعال والأسماء، فلا تزون أثر العجمة في كلامه وعباراته، وكان يجتنب استعمال الألفاظ الصعبة والكلمات الضخمة، التي توجد لدى بعض الكتاب الهنود.

ولانجد في عبارته كلفاً بالزخرف، ولا تكلفاً في الأداء، وكان يتحاشى كثرة الألفاظ المترادفة والكلمات المتجانسة، ولكن كانت جملته متناسقة شديدة الارتباط في التراكيب، متحلية بالسلاسة، والجاذبية، والخلاصة، والتلازم الشديد بين الفقرات والجمل التي تشنف الأذان، وتسُرُّ القراء والسامعين¹. ولا يقل أسلوبه روعةً وبهاءً في الموضوعات الدينية التي تعدُّ جافةً من حيث الجمال والروعة.

إن الدكتور الأزهرى كان صحافياً عربياً وإسلامياً، ويتملك فنُّ الكتابة والصحافة، ولم يكن متكلفاً في أسلوبه واختيار الكلمات والجمل، وكانت مقالاته تحمل في طياتها وزناً علمياً وأدبياً من حيث المعنى والمبنى. وأسلوب الكتابة له كان جيداً جداً مع تعبير سهل وتحقيق دقيق، وتنعكس فيه آراءه وعواطفه، وهو في غاية الروعة والجمال، وله قدرة بالغة في البيان، وعمق الفهم للإسلام، وظل طول حياته يكتب وينشر حتى غدت له ملكة مطبوعة على الترسل والإنشاء.

كان أسلوب الدكتور الأزهرى يتسم بروعة البيان وسلاسة اللغة وحلاوة ووضوح في التعبير وصلابة وسلامة في الفكر، يعد الدكتور الأزهرى أديباً من الأدباء ذوي الأسلوب الأدبي المستقل في الهند، وكانت تتجلى في كتاباته عناصر الإيجاز والابتكار والصرامة والاستنتاج، ويمارحها نوع من التندر الهادف والنقد البناء، إلى جانب المحافظة على أسلوب حديث ومبادئ صحفية جديدة، وكان صاحب بصيرة نافذة ونظرة واسعة على الظروف والأوضاع والملابسات، وكان ملتزماً دائماً بجانب الإصلاح والإرشاد في كل مايكتب، ولم تمسكه عن قول الحق هيبة الشخصيات أو مراعاة المصالح ولا الصلات الودية أو التجانس الفكري، ولذلك كانت كلماته لها وقع وتأثير في الأوساط المثقفة، وكان له قدرة

¹. ينظر: كتاب "الدكتور مقتدى حسن الأزهرى: حياته ومساهمته في نشر اللغة العربية والدراسات الإسلامية"، ص 58.

فائقة على استخدام الكلمات العربية وجملها، فإذا أخذ القلم بيده كانت الألفاظ تتبادر إلى ذهنه حسب سياق الكلام ويستخدمها بحذرو وحیطة، ويستخدم الصلات حسب الأفعال والأسماء فلا ترون أثر العجمة في كلامه وعباراته، و كان يجتنب عن استعمال الألفاظ الصعبة والكلمات الضخمة كما توجد لدى بعض الكتاب الهنود، ولا نجد في عبارته كلفا بالزخرف ولا تكلفا في الأداء، وكان يتحاشى عن كثرة الألفاظ المترادفة والكلمات المتجانسة، ولكن كانت جملة متناسقة شديدة الارتباط في التراكيب، وخالية الحشو والزوائد والتكرار وكثرة الألفاظ، متحلية بالسلاسة، والجاذبية، والخلاصة، والتلازم الشديد بين الفقرات والجمل التي تشنف الأذان وتسرع القراء والسماعين وأحيانا يستمد بالرمز الإشارة والإختصار الذي يسبب للقارئ مشكلة.

إن الدكتور الأزهرى عالج كثيرا من موضوعات الحياة من سياسة وأخلاق وتعليم وصحافة وأدب، فقد كان ذا ثقافة واسعة وعلم غزير، إن أسلوبه أسلوب قوي متين، جزل الألفاظ، سلس العبارات، عميق الأفكار، رائع المعاني، بارع الحكم، فهو يتمتع النفس بقدر ما يتمتع العقل، إذ تتوافر فيه العناية بإجادة اللفظ وإجادة المعنى وتحسين العبارة وتحسين الفكرة، لا يجهدك فهمه، كما لا يملك سماعه.

أنواع المقالة عند الدكتور مقتدى حسن الأزهرى:

1. مقالات العلوم الإسلامية والأديان:

انطلق الدكتور الأزهرى في قضايا الأمة الإسلامية، وأشبعها بحثا ودراسة تمثل ذلك في مجموع المقالات التي كتبها وهي تحمل عناوين تلك القضايا من القرآن والحديث والعقيدة والسيرة والأحكام الشريعة والبحوث الإسلامية والدعوة والإرشاد، فيصحح الفهم للدين الإسلامي معتمدا على التفسير والصحيح من الأحاديث النبوية. هذا النوع من المقالة تتضمن النتائج الكلي من العلوم، والآداب، والمعارف، والسلوكيات، والفنون، والدين، والتاريخ، والحضارة، والقيم والأهداف التي نتجت عن الأمة الإسلامية، والتي ميزتها عن باقي الأمم من خلال التفاعلات التي حدثت لهذه الأمة بين الماضي والحاضر. والدكتور مقتدى حسن الأزهرى خاض هذا النوع من المقالة وكتب كثيرا من المقالات في هذا النوع.

العقيدة والسيرة:

كان الدكتور الأزهرى يركز على صحة العقيدة الصحيحة والعبادة بغيرها باطلة، ولها قيمة كبيرة في الحياة التعبدية وتعكس العقيدة حياة الإنسان العملية وأن العلماء يغفلون هذه الناحية المهمة ويختارون الكلام حول الموضوعات الأخرى وإنه يؤكد على مقتضى عقيدة التوحيد، وأنه أساس الدين ويدل على مضار الشرك والبدع وأنه يقضى على روح العبادة ويحبط الأعمال الصالحة. وهو أشار إلى مكانة العقيدة ومعانيها وأثاره على حياة الإنسان السلوكية في مقالاته وهنا عدة مقالات:

1. كيف يكره مسلم الكلام عن العقيدة.

2. وكلمة عن السيرة النبوية العطرة.
3. وحاجة الأمة إلى معرفة التوحيد مستمرة.
4. وبالتبشير أم بالتنفير..
5. وشيخ الإسلام ابن تيمية يشرح حكم شاتم الرسول ﷺ.
6. والسيرة النبوية : وأهميتها في فهم الإسلام.
7. التربية الدينية السليمة ودورها في مواجهة التحديات المعاصرة.
8. شغلت البدع المسلمين.
9. مواجهات التحديات المعاصرة لا تتسير إلا بتربية الأمة الإسلامية.
10. هل تدل هذه الكلمات على شيء وغير ذلك.

القرآن والحديث :

كانت للدكتور الأزهرى علاقة وثيقة بالقرآن والحديث قلبا وعقيدة وكان قادرا على فهمهما وهذا يظهر خلال مقالاته المنتشرة في الجرائد والمجلات بالعربية والأردية وكانت مقالاته على أساس قرآني وحديثي وعلمي وفكري. وبعض المقالات فيما يلي:

1. ندوة علمية حول موضوع علوم الحديث.
2. والعناية بكتاب الله، والسنة في مرآة القرآن.
3. والسنة: المصدر الثاني للتشريع.
4. وندوة علمية حول موضوع علوم الحديث.
5. ومؤتمر عن الحفاظ على السنة، وغير ذلك.

الأحكام الشرعية:

كان الدكتور الأزهرى عرض دراسة شاملة للإسلام واجتهد أن يبحث عن مسائل أركان الإسلام من التوحيد والرسالة والصوم والحج مع بيان فلسفتها، وركز على الناحية التعبدية وفوائد تربوية واجتماعية حينما يكتب عن أركان الإسلام بدون تفتيش تفاصيل جزئياتها. ونرى أحيانا أسلوبه المقارن في بيان طرق العبادة ويحدث خاصة عن فوائد العبادة الروحية الإسلامية مع معنويتها ومنطقيتها مع مقارنة التعليمات المسيحية واليهودية.

بعض اسماء المقالات:

1. كتب عليكم الصيام.
2. نحن وشهر الصيام.
3. ليشهدوا منافع لهم.

4. وأذن في الناس بالحج.

5. شهر محرم والمسلمون.

6. صوم شهر رمضان وأثره في حياة المسلمين.

7. رمضان المبارك: شهر البر والتقوى وما إلى ذلك.

الدعوة والإرشاد:

ركز بضرورة أكيدة إلى الدعوة والإرشاد وإلى تعريف الناس بما يتضمنه الدين الإسلامي من الخير والصلاح للبشرية، ومن السمو والكمال في الأحكام والمبادئ أمر لا خفاء فيه، والناس ينظرون اليوم إلى المجتمع الانساني ومتطلباته المتنوعة، بنظرة واقعية جادة يدركون تماماً أن الحل الوحيد لمشكلات البشرية هو العودة إلى الدين . إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلمين في كل زمان ومكان والأمة قد امتازت بتحمل هذه المسؤولية العظيمة، وأنها لن نذل إذا استمرت في أداء هذا الواجب باخلاص وأمانة.

بعض أسماء المقالات:

1. صور من الماضي.
2. متطلبات الدعوة الإسلامية في الهند.
3. الجامعة السلفية تعقد مؤتمر الدعوة والتعليم.
4. نجاح الدعوة باللين والتفاهم.
5. حتى تؤثر الدعوة أكثر.
6. اجابات على اسئلة حول الدعوة.
7. عن الدعوة في منطقة بنارس.
8. 1. لن يستقر الإسلام إلا بالإسلام.
9. 2. لماذا لا نحكم الكتاب.
10. 3. بداية.
11. 4. وبعد ما أزيح الستار.
12. 5. النقص مذموم حيثما كان.
13. 6. المسلمون في قفص الاتهام.
14. 7. وأن المساجد لله.
15. 8. اعتداء سافر على الإسلام.
16. 9. كيف تهدأ النفوس وتستقيم الأحوال.

17. 10. يتهمون بالابتعاد عن الإسلام.

18. 11. الإسلام الذي ندعو إليه.

19. 12. الإسلام هو الذي قضى على التعصب.

20. مجالات الوقف المؤثرة في الدعوة إلى الله وغير ذلك.

الحقوق الإنسانية :

كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم وجعل له مهمة إعمار الأرض وخلافته فيها، وللإنسان في الإسلام الحقوق التي تضمن تكريم الإنسان وعدم إهانته، وتجعل من بقائه وحياته ضرورة وواجب على بقية البشر الحفاظ عليها، وحق الحياة في الإسلام هو أول الحقوق التي يتمتع بها الإنسان وأهمها، ولا يقتصر هذا الحق على الإنسان المسلم، بل يشمل كل البشر، ومن واجبات الدولة في الإسلام أن توفر الحماية اللازمة و ضمانات استمرار حياة كل مواطنها من مأوى و أمن وعلاج للمرضى. والدكتور الأزهرى خاض غمار هذا النوع من المقالة، بل كتب العديد من المقالات في هذا المجال، فمثلا:

1. إذا اختل الميزان.

2. لا يعلمون.

3. البغى آخرمدة القوم.

4. تطبيق مبدأ المساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات.

5. لم يمت الضمير بعد.

6. من التحديات التي يتعرض لها.

7. ادعاء مراعاة القيم والحقوق وغير ذلك.

الأديان وحركة الديانة:

بعض أسماء المقالات:

1. لا بد من الدين.

2. عن الحركة الوهابية.

3. مؤسسو حركة ختم النبوة وقادتها.

4. جهود مخلص في مقاومة القاديانية.

5. الوهابية ليس مذهبا وغير ذلك

التحليل:

هذه المقالات نافعة جدا تدل على غزارة علم الكاتب على قدرته التامة على اللغة العربية وامتلاكه

ناصيتها، والحقيقة أن جميع المقالات جديرة بالتعريف والثناء ، ولكننا في هذا المؤجل نستطيع أن نوفيه حقه، ولذا نكتفي بهذه السطور.

ومن السمة العامة في مقالات الدكتور الأزهرى عنايته بالمعاني والأفكار، لذلك يسخر لها أدواته ووسائله التعبيرية ومن مظاهر أسلوبه في ذلك التدقيق في جزئيات المعنى والفكرة. ليس في كلامه التصنع والتكلف، كان ذوقه سليما وقريحته وقادة لا يجف معناها، ودقة في التراكيب ورونق في البيان والصراحة، وسعة في الكلام وفيه الصداقة والواقعية.

تكلم الدكتور الأزهرى عن النواحي المختلفة للعقائد والأحكام الإسلامية والحقوق الإنسانية وغيرها بأسلوب علمي وبحث عن محاسن الإسلام وأصول الحقوق الإنسانية والمواخاة والتعاون والمساواة وعرض موضوعات المساواة الإنسانية ونظرية الحرواالحقوق الإنسانية ولم تكن الأديان الأخرى بها والإسلام عرض مثالا رائعا لهذه الأصول والنظريات من بداية التاريخ.م

وهو كتب عن أهمية رمضان المبارك ولم يركز بمسائل وأحكامه، بل عرض مساهمة هذه العبادة في الناحية التربوية وأثاره الإجتماعية وبناء الشخصية الإنسانية وبناء المجتمع الصالح وكذلك بين أحكام الحج مع بيان فوائده التربوية في حياة انسانية وهذه هي خاصية الدكتور الأزهرى في كتابة المقالة.

2.مقالات العلوم الاجتماعية

هذا نوع من المقالة معروف ومشهور، ومعظم الكتاب يكتبون فيه، لأن هذا النوع فيه السياسة والاقتصاد، والاجتماع، ويعتمد الكاتب في إثراء هذا الموضوع على الحقائق من إحصاءات، ومقارنات، وتحليل المعلومات، والخروج بالنتائج، فالأسلوب واضح رصين لا لبس فيه وليس فيه حشواً أو ألفاظ غريبة، وعلى الرغم من استعمال الكاتب للمصطلحات العلمية، فالمقالة في هذا النوع تظهر مقدرة الكاتب بإقناع القارئ في الحجج التي يوردها في مقالته.

والدكتور الأزهرى خاض هذا النوع من المقالة، بل ربما أغلب مقالاته تندرج تحت هذا النوع، فكتب في

السياسة، والاقتصاد، والاجتماع حتى عد أحد فرسان هذا النوع.

المقالات الاجتماعية:

- 1.جهاز العروس أم شقاؤها.
2. كيف يتم الإتحاد والتعاون .
3. هل تعود المياه إلى مجاريها.
4. التناقض والتضارب في مجتمعات المسلمين .
- 5.من شروور العصبية.
- 6.الافتتاحية.

7. في سبيل تحقيق الوحدة.
 8. الم يأن لهذه الاتهامات أن تنق.
 9. مقياس جائر للموالة والمعاداة.
 10. التقدم الذي نحلم به.
 11. توحيد صفوف المسلمين في الهند.
 12. من هموم المسلمين في الهند.
 13. خدمة المجتمع البشري ونوعيتها.
 14. وضع الأقلية المسلمة في الهند.
 15. هزة أخرى تصيب المسلمين.
 16. مؤتمر عن الحفاظ على السنة وأسئلة عن توحيد صفوف المسلمين.
 17. شغلت البدع المسلمين.
 18. نظرة إلى بداية التصوف.
 19. مساهمة المدارس الإسلامية في المجتمع المعاصرة.
 20. المرأة والعمل وغير ذلك.
- المقالات السياسية:
1. سياسة ناجحة.
 2. الإنتخابات والمسلمون.
 3. موقف مريح.
 4. استغلال التاريخ للأغراض السياسية.
 5. مسؤوليتنا نحن المسلمون بعد انهيار الشيوعية.
 6. مواقف استفزازية منافية لدستور الهند.
 7. في ساحة السياسة الهندية.
 8. ماذا تغني الديمقراطية ومتى يغاث الضعفاء وغير ذلك.
- المقالات الإقتصادية:

إن المال يلعب دورا أساسيا في النهضة والتقدم في هذا العصر، والأمة التي لا تملك الموارد المالية الثابتة لا تستطيع انجاز مشاريعها العمرانية والعلمية والإقتصادية وهذا يؤدي إلى التخلف المستمر الإنهيار التام. ان الإحصائيات عن أحوال المسلمين وأوضاعهم تكشف عن سوء حالتهم، وكيف أنهم يفشلون في برامجهم التقدمية بسبب قلة المال وعدم العون المادي، ونظرا إلى أهمية المال كتب الدكتور الأزهرى مقالات بهذا الصدد.

1. المسلمون وتنظيم شؤون البذل والإنفاق.

2. الإقتصاد في الإسلام.

3. مبدأ الإيثار والتعاون في الإسلام.

4. المسارعة إلى الخيرات مع الإهتمام بالمظهر.

5. توجهات الإسلام السديدة في مجال الكسب والإنفاق وغير ذلك.

التحليل:

فعلّم من خلال المقالات المذكورة أن الإسلام ليس عبارة عن عادات وتقاليد بل هو كامل في حياة الإنسان وفيه موجود لحل كل المسائل، وقارن الإسلام مع النظريات الإقتصادية الجديدة مبينا سعادة الإجتماعي البشري ومضار الثروات غير المنفقة و وسائل اغلاق الفقر في تنظيم الإسلام الاقتصادي. ويقول: إن الإسلام يمتاز في نظامه الإقتصادي بأنه يربط الإقتصاد بالآخرة، فالإقتصاد في الإسلام يجب أن يكون مساعدا للإنسان في العمل للآخرة وهذا ليس موجود في النظريات الإقتصادية الجديدة.

3. مقالات التعليم والتربية

لابد لكل مُربٍّ ومعلم أن يتعرف على جميع النقاط اللطيفة التي يحتاج إلى تطبيقها في إجادة أى نوع من التربية والتعليم، علمية أو فكرية، بدنية أو عسكرية، سياسية أو ثقافية، كما يجب أن يتحلى كل معلم خبير ومربٍّ بارع بمنهج جديد يميزه من الآخرين ويجعله فريدا في مجاله. لنبحث في المنهج الذي اتخذه الدكتور الأزهرى للتربية والتعليم وبالتالي نقدم نظريته حول التعليم والتربية من خلال مقالاته.

بعض أسماء المقالات:

1. في التربية الخلقية.

2. إلى الأخلاق يا شباب.

3. كيف نعلم ولماذا؟

4. مشاكل اليوم.

5. مؤتمر التعليم الإسلامي بمكة المكرمة.

6. الدين والأخلاق.

7. ضمير الإنسان.

8. نقاط حول التعليم.

9. العناية بالشباب الإسلامي.

10. شباب الأمة.

11. حاجة الأمة إلى معرفة التوحيد مستمرة.

12.مواجهات التحديات المعاصرة لا تيسر التربية الأمة المسلمة على العقيدة الصحيحة.

13.التربية الدينية السليمة ودورها في تطبيق الشريعة الإسلامية.

14.كيف يكره المسلم الكلام عن العقيدة.

التحليل:

ذكر الكاتب أهمية الأخلاق في حياة الفرد والمجتمع في الإسلام الذي هو دين الأخلاق والآداب المثالية، ونظرا إلى أن صلاح المجتمعات وفسادها منوطان بأخلاق أفرادها، قد دعا الإسلام إلى التربية الخلقية هو ايجاد حياة طاهرة مقدسة، ملؤها الإخلاص والطهارة وركز بمهمة في مجال التربية هي تربية الفرد، ولقد أعار القرآن هذه الناحية عظيمة والحكمة السامية في هذه العناية واضحة إذا كان أفراد المجتمع أو غاليتهم متصفين بالصفات والأخلاق مجانبين الرذائل والفواحش والمنكرات، غير متجاوزين الحدود التي رسمها الله لهم. ساد النوام والسلام والحق والعدل وكان المجتمع صالحا قويا سعيدا متمكنا.

التعليم والتربية عنده فريضة مقدسة وهدفها بناء السيرة الصالحة ومعرفة الثقافة ومعرفة رب العالمين ومعرفة الذات، ويتحقق هذا من العلوم الشرفية وخابت الغرب بهذا الصدد ، ويؤكد الدكتور الأزهرى على طلب العلوم العصرية نظرا لمتطلبات العصر الراهن ، ويرى الغلو في التعليم وهو تقسيم العلوم إلى الدينية والدنيوية وهذا ليس بصحيح وكل العلوم لها أهمية في مواضعها.

ماكان هو منكر للعلوم العصرية وتعليم المواد العصرية والتكنولوجية ولكن يحس شديدا لمعوقات إجراء هذه العلوم المذكورة في المدارس الدينية، ويريد إجراء بعض التعديل والإصلاح في المناهج الدراسية التي تنقيد بها حسب الاستطاع.

وأما أسلوب الدكتور الأزهرى فهو أسلوب عربي حديث، لا يقل من أساليب الأدباء العرب درجة وفخامة وسلاسة، وهو أسلوب يتميز بالبساطة والجذابة والاستطراد والفصاحة، وكتب كل ذلك بأسلوب يمتاز بالمتانة والبساطة والفصاحة، فهو أسلوب عصري ممتاز.

4.مقالة الثقافة الإسلامية والعالم العربي

المقالات في اللغة العربية:

كان الدكتور الأزهرى هنديا وكان شغفه الشديد بالثقافة الإسلامية في الهند، ونجد في انتاجاته موادا كثيرة عن شأن الثقافة الإسلامية بالهند، كتب في النواحي المختلفة حسب الضرورة وتوسل إلى الترجمة الثقافية الإسلامية الهندية ليتعرف العرب بها.

بعض أسماء المقالات فيما يلي:

1.د. طه حسين.

2.حديث عيسى بن هشام.

3. حالة اللغة العربية في الأقلية المسلمة في الهند.

4. منصور الفقيه: حياته وشعره.

5. الشعر العربي في العهد الأموي وغير ذلك.

مقالات السيرة:

علاقة الدكتور الأزهرى برجال الدين والعلم والدعوة علاقة وطيدة خاصة مع بعض الرجال الأفاضل في تاريخ النهضة الحديثة وفي تاريخ الهند منهم محمد ناصر الدين الألباني كتب عنه في مقالة بعنوان "محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني" كما كتب الأستاذ عبد النور الندوي في مقالة بعنوان "الأستاذ عبد النور الندوي إلى رحمة الله".

بعض أسماء المقالات:

1. رحم الله أمير الكويت الراحل.

2. الرئيس محمد ضياء الحق.....

3. الشيخ محمود أحمد ميرفوري.

4. انا لله الخ، لله ما أعطى ولله ما أخذ.

5. وفاء بحق العلامة الميمني.

6. محدث العصر الشيخ عبيد الله الرحمانى.

7. رائد العلم وقائد الدولة إلى رحمة الله وما إلى ذلك.

مقالات التعريف بالكتب:

عرّف الدكتور الأزهرى بكتب مهمة وأبدى ميزاتهما أمام الناس لكي يستفيدوا منها فمثلا:

1. تعريف بكتاب الجيب المحمدية (ثلاثة أقساط)

2. كتاب "أثر الدعوة الوهابية"

3. طبعة جديدة لكتاب إتحاف التنبيه.

4. كتاب فهارس الأسفار.

5. كتاب مقدس رسول.

6. مساهمة السيد النواب صديق حسن خان الحسيني البخاري في أدب الدعوة والإصلاح في ضوء كتابيه: "فتح

البيان" و"الدين الخالص"

7. تعريف ديوان شعر بالأردنية.

8. تعريف برسالة جامعية قيمة.

9. تعريف بكتاب فضول.....

10. طبعة جديدة لكتاب فتح المغيث.

11. تعريف بكتاب نصوص من الحديث.....

12. كتاب قيم في السيرة وترجمته.....

13. تعريف بكتاب " تاريخ الحضارة الإسلامية" وغير ذلك.

مقالات العالم الإسلامي:

بعض أسماء المقالات:

1. على مستوى الحكومات والدول.

2. واجب الدول الإسلامية نحو الأمة.

3. المسلمون ودورهم المنتظر.

4. هكذا نخمد الفتنة.

5. جهاد الشعب الفلسطيني.

6. وحشية في القرن العشرين وغير ذلك.

مقالات عن المملكة العربية السعودية:

1. مشروع خادم الحرمين

2. حكومة خادم الحرمين.

3. في اعلان الملك عبد العزيز. درس بليغ لمسلمي الهند -

4. الندوة العالمية عن جهود خادم الحرمين الشريفين وغير ذلك.

التحليل:

وعرف الدكتور الأزهرى الثقافة الإسلامية المتعلقة بالهند من حالة اللغة العربية وصور من نشاط المدارس الإسلامية والتعليم الديني كعلم الحديث والفقه والسيرة والسيرة النبوية والدعوة إلى الإسلام في هذا العصر والتعريف بالشخصيات والكتب المهمة وما إلى ذلك ويدل على غزارة علم الكاتب وسعة اطلاعه على تراجم العلماء ورجال التاريخ والإسلامي وأئمة المسلمين.

يتسم أسلوب الدكتور الأزهرى على المستوى اللفظي بالوضوح، فالفاظه فصيحة واضحة المعاني، وقد استمد مادة معجمه اللفظي، وفي مقدمتها الكتاب والسنة، ثم كتب التراث العربي الاسلامي، التاريخية، والأدبية، والفكرية، وثقافة عصره.

ومن السمة العامة في مقالات الدكتور الأزهرى عنايته بالمعاني والأفكار، وذلك يسخر لها أدواته ووسائله التعبيرية ومن مظاهر أسلوبه في ذلك التدقيق في جزئيات المعنى والفكرة. خصائص مقالاته وسماتها الفنية:

أشكال التعبير المقالي: شغل الدكتور الأزهرى نفسه الحوادث اليومية التي تطرأ على الأمة الإسلامية خاصة، والعالم عامة،

فكانت ردود أفعال لما يحدث في الساحة السياسية، والاجتماعية، والثقافة الإسلامية، والدين، لذا كانت مقالاته تتفاوت من حيث الطول والقصر، فبعضها قصير أقل من صفحتين إلى أربع صفحات، وذلك قليل، فان مقالات الدكتور تتميز بالطول وبعضها نشر في حلقتين أو أكثر، وكثيرا منها يأخذ شكل بحث قصير.

إن الكتابات العربية للدكتور مقتدى حسن الأزهرى التي تعالج مواضيع متنوعة في الدين والأدب والتعليم والثقافة والسياسة والتي تبحث خاصة قضايا مسلمي الهند وما يواجهونه من تحديات في مجال الثقافة والتعليم، تكتسب أهمية بالغة في كتابات القرن العشرين كما تعطي القارئ نظرة موسعة في جل من المواضيع من تاريخ الأدب العربي، والحركات الإسلامية، وتاريخ أهل الحديث وجهود المملكة العربية السعودية في نشر الكتاب والسنة في أنحاء العالم.

عناصر المقالة: المقالة فن من الفنون الإنشائية، فهي لابد لها من عناصر الموضوع: من مقدمة، وعرض للموضوع، ثم خاتمة، والدكتور الأزهرى لا تخرج مقالته عن عناصر المقالة المعروفة من الخطة والمادة والأسلوب.

الإيجاز لم تكن عبارات الدكتور الأزهرى طويلة، بل كانت قصيرة محكمة تخدم غرضه، فيستطيع أن يصل إلى هدفه دون زيادة في الجمل والعبارات، لا يكرر بعض العبارات ليفهم القارئ ما يريد، وعبارة الدكتور الأزهرى دقيقة، وقصيرة، ومعبرة عن المعاني التي أرادها، فهو لا يلجأ إلى التكرار، أو التوكيد اللفظي، ما دامت الجمل القصيرة تخدم غرضه، نعم هكذا هي لغة الدكتور الأزهرى المقالة.

جزالة الألفاظ: ألفاظ الدكتور الأزهرى جزالة، فيها القوة والرصانة، ولغته معبرة عما يريد، ولا ينزل إلى مستوى اللهجة المحلية بل عراقة اللغة الفصحى تسعفه في جميع المجالات، فأسلوبه في استعمال الألفاظ من حيث مناسبتها للمعاني والأفكار في نطاق موضوع المقالة، ويتسم أسلوبه على المستوى اللفظي بالوضوح، فألفاظه فصيحة واضحة المعاني كما يستم أسلوبه على المستوى التركيبي بالسهولة والوضوح في أساليب التركيب اللغوية والبلاغية.

الاستشهاد: الدكتور الأزهرى يأتي بالاستشهاد في مقالاته وهو استشهد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، استخدم هذه الاستشهادات لتقوية حججه، ولتثبيت رأيه.

من حيث المفهوم: إن مقالات الدكتور الأزهرى تكشف بوضوح عن اتجاهه الفكري، ومنهجه الدعوى، ونظريته إلى واقع الأمة الإسلامية في هذا العصر، ورؤيته في معالجة قضاياها ومشكلاتها القائمة في وقتها على أساس الشريعة الإسلامية ولأن نقدم تعريفا موجزا عن بعض المقالات التي حررها ونشرت في مجلة "صوت الأمة" في الفصل القابل.

وإذا كان الصحفي متابعا ذكيا للأحداث اليومية في العالم فإن الدكتور الأزهرى يعشق المتابعة اليومية للأحداث، من خلال الإذاعة، أو الجرائد والمجلات لذا مقالاته الصحفية انعكاسا لتلك المتابعات اليومية، فإذا استعرضنا موضوعات المقالات عنده فإننا لا نستطيع تصنيفها بحسب التصنيفات المعروفة للمقالة الصحفية، راينا أن الدكتور الأزهرى قد كتب في معظم فروع المقالة، فلم تمر مناسبات، أو أحداث، إلا وكان له رأى فيها، سواء أدخل ذلك في دائرة اختصاصه، أم لم يدخل، ولا أريد أن أقول إنه يقحم نفسه في الموضوع، ولكنه يكتب على قدر فهمه وإدراكه للموضوع، فهو لا يكتب عن شئ إلا كان عارفا به، معرفة غزيرة أو بسيطة، لذا جاءت موضوعات مقالاته شاملة لمناحي الحياة. كتب في كل الموضوعات

تقريباً مع عمق الفكرة التي يكتب عنها، واختيار للألفاظ، دون تكلف، فجاء أسلوبه جزلاً أحياناً وسهلاً أحياناً أخرى، متسقاً مع نوع الفكرة التي يكتب عنها، ولا تخلو تلك الأفكار من هدف تعليمي، أو توجيه الأنظار إلى هدف معين.

وضح في مقالاته الإسلام الصحيح، معتمداً على الآيات المحكمة، والأحاديث الصحيحة، تتميز مقالاته بالهدوء، فلم يعرف عنه أنه كان عنيفاً في مقالاته، وكان يتحرى جانب الحق والصدق، لم يمدح تملقاً، ولم يذم حبا في غرض معين، بل كان سعيه الدائم الوصول إلى الحقيقة. مقالات الدكتور الأزهرى من النوع الإصلاحي والتربوي، وكان قصده توجيه مسارات البياء التنموي، لذا نراه يشجع العمل الجاد، ويتصدى للعمل الردي، ونراه أيضاً بسيطاً في طرحه للفكرة، هادئاً في توجيهه المسؤولين، حتى لا يثير غضبهم، أو ردة فعلهم السريعة.

فمغزى القول: هذه دراسة جديدة لمقالات الأستاذ الأزهرى، لم يسبق أن درس أحد فن المقالة عن الدكتور الأزهرى، وكل الدراسات السابقة عن الأزهرى كانت مقتضية، لا تتناول فن المقالة عنده إلا بشكل يسير، أما هذه الدراسة فإنها تغوص في فنه، وتستخرج منه مدى تعلقه بكتابة المقالة، لذا كانت هذه الدراسة شاقة اعتمدت على محصوله من المقالات.

كشفت هذه الدراسة منهج الدكتور الأزهرى في كتابة المقالات من حيث شمولية الثقافة التي لديه، لذا كتب في كل الموضوعات تقريباً، لو قمنا بإحصاء تلك الموضوعات لما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وضح الدكتور الأزهرى في مقالاته الإسلام الصحيح، معتمداً على الآيات المحكمة، والأحاديث الصحيحة، ووجه إلى فهم الإسلام يعتمد على اللغة العربية، ودراسة الفقه والأصول والبلاغة، ولا يمكن أن يفسر الدين فرد لا يملك هذه المؤهلات.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004م.
2. د/ أحمد هيكال، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، مصر، 1968م.
3. محمد يوسف نجم، فن المقالة، الطبعة الرابعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1966م.
4. أحمد شائب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 2020م.
5. الدكتور عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1972م.
6. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الشرعية الثامنة، 2003م.
7. مقال تاريخ الدخول 2018/07/09 (الساعة: 21.39) (أدب) <https://ar.wikipedia.org/wiki/أدب>.
8. مخلص الرحمن بن محمد سليمان، الدكتور مقتدى حسن الأزهرى: حياته ومساهمته في نشر اللغة العربية والدراسات الإسلامية، مارك بكس، دهلي الجديدة، 2013م.
9. د/ إبراهيم إمام، دراسات في الفن الصحفي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1972م.
10. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، اتحاد بكذبو، ديوبند، ولم تذكر سنة النشر.
11. مجلة " السراج " الأردنية ، الصادرة من جامعة سراج العلوم السلفية ، جندانغر، نيبال، عدد ممتاز عن الدكتور مقتدى حسن الأزهرى، أبريل – يوليو 2010م.

تشكيل الشخصية في رواية "مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة" لرابي المدهون



رشيد وى وى

باحث الدكتوراه تحت اشراف الدكتور عباس كى بى ،
قسم اللغة العربية، كلية فاروق، جامعة كالكويت، كيرلا، الهند

Abstract: Our tagged research focuses on the Character formation in the novel entitled fractured destinies by Rabai al madhoun, that tackles the Palestinian case which is the one of the most important subject of the time. The issue revolves around identity retrieval and most importantly, the return of the home. This made the Palestinian people live in psychological distress because of the suffering they are facing As a result they are living evidence of this situation the author created characters as : Ivana ardician , Mahmoud dahman , Walid dahman

ملخص: يركز هذه البحث بتشكيل الشخصية في رواية مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة لروائي الفلسطيني ربي المدهون، يعالج ربي المدهون في هذه الرواية قضية شعب الفلسطينيين الذين ينتظرون العودة إلى الوطن واسترجاع الهوية، بناء الشخصية في هذه الرواية يتميز بتنوع وتعدد، النكبة التي قد سببت للهجرة مضطرة ، تفرق الفلسطينيين في أنحاء العالم وجمهورهم لم يستطيعوا للعودة إلى وطنهم وهم في المنفى ومنهم الكاتب ربي المدهون وهو يعبر الحنين إلى وطنه بهذه الرواية ، في هذه الرواية شخصيات عديدة من أهمها : إيفانا أريديكان، محمود دهمان ، وليد دهمان ، أجولي... إلخ.

مقدمة: يتناول هذا البحث عن تشكيل الشخصية في رواية مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة لرابي المدهون هادفة إلى الكشف عن ماهية الشخصية في روايته، إن الشخصية في الرواية أساسية لا يمكن الاستغناء عنه، فلا يمكن أن تقوم رواية دون وجود شخصية ، فالشخصية وما يصدر عنها من حركة وأحداث هي التي تكون الرواية وتوجدتها ، تحتل الشخصية مكانة مهمة في بنية الشكل الروائي ، فهي من الجانب الموضوعي أداة ووسيلة الروائي للتعبير عن رؤيته ، وهي من الوجهة الفنية بمثابة الطاقة الدافعة التي تتحرك حولها كل عناصر السرد، على اعتبار أنها تشكل المختبر للقيم الإنسانية التي يتم نقلها من الحياة ، أن بعض المهتمين بالشأن الروائي يميلون إلى القول بأن الرواية شخصية، بمعنى اعتبارها القيمة المهيمنة في الرواية، التي تتكفل بتدوير الأحداث، وتنظيم الأفعال، وإعطاء القصة بعدها الحكائي، بل هي المسؤولة عن نمو الخطاب داخل الرواية باختراعاته وتقاطعاته الزمانية والمكانية، يناقش في هذا البحث عن أعمال الروائي وحياته الأدبية ثم يذهب البحث إلى مفهوم الشخصية وتشكيل الشخصية في رواية مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة لرابي المدهون.

ربيع المدهون: ولد الكاتب والروائي الفلسطيني ربيع المدهون، الذي يحمل الجنسية البريطانية، في مدينة المجدل عسقلان في جنوب فلسطين، سنة 1945م، تلقى المدهون تعليمه حتى المرحلة الثانوية في مدارس مدينة خان يونس، في جنوب قطاع غزة، والجامعي في كل من القاهرة والإسكندرية التي ابعدها عام 1970م، بسبب نشاطه السياسي 1970م، عاش المدهون بعد ذلك، وتنقل في كل من عمان ودمشق وبغداد وموسكو وبيروت ونيقوسيا الى أن استقر في لندن، حيث عاش وعائلته خمسة وعشرين عاما، وانتقل أخيرا للعيش في إسبانيا، عمل في عدد كبير من الصحف والمجلات الأسبوعية العربية، أهمها جريدتا "الحياة" و"الشرق الأوسط" الدوليتين في لندن، لكنه قدّم استقالته من الأخيرة بصورة معلنة في أكتوبر 2018م، احتجاجا على جريمة قتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي، بعد 18 عاما من العمل في "الشرق الأوسط"، أمضى السنوات السبع الأخيرة منها محررا للشؤون الفلسطينية، وكان المدهون قد عمل في مركز الأبحاث الفلسطيني في قبرص بين سنوات 1986م و1993م، أعماله: أبلة خان يونس: (مجموعة قصصية) 1977م، الانتفاضة الفلسطينية الهيكل التنظيمي وأساليب العمل، (دراسة أكاديمية) (طبعان) 1988م و1989م، طعم الفراق... ثلاثة أجيال فلسطينية في ذاكرة (سيرة روائية) (طبعان) 2001م، و2010م، السيدة من تل أبيب (رواية) (8 طبعات)، وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية 2010م، مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة (رواية) (8 طبعات) سوبر نيمية (سرديات) 2018م، وكان فاز بالجائزة العالمية للرواية العربية المعروفة بالبوكر العربية عام 2016م، عن روايته مصائر.

الشخصية في رواية مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة:

تشكلت شخصية الفلسطيني ضمن ظروف مختلفة أثرت عليه سلبيا أو إيجابيا، ووقعت تحت تأثير عدة دوائر، دائرة الاحتلال المباشر، ودائرة الدولة العربية التي اضطرت الفلسطيني للاحتكاك بها بشكل أو بآخر، ودوائر الفعل الفلسطيني الذي باشرته التنظيمات الفلسطينية انطلاقا من رؤيتها الأيديولوجية والسياسية للقضية الفلسطينية.

لقد وظف ربيع المدهون في رواياته " مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة " شخصيات عديدة، متباينة الأدوار، محورها الأساسي القضية الفلسطينية، قضية الروائي خاصة كونه فلسطيني، وقضية العرب جميعا، وركز على معنى العودة إلى الوطن الأصلي أي الفلسطين، حيث أنه من أحداث روايته، وتحركات الشخصيات داخلها في مقاربة شكل كونشرتو في الموسيقى الكلاسيكية الغربية، حيث يروي لنا الراوي معاناة الشخصية الفلسطينية المغتربة، والشخصيات الفلسطينية الأخرى، وما خلفه الاستعمار البريطاني، واليهودي الإسرائيلي من جروح وآلام فاترة بمشاعر متناقضة من الحب والكراهية، التفائل والتشائم.

مفهوم الشخصية في اللغة :

جاء في لسان العرب أنها من مادة شَخَصَ , والشَّخَصَ , جماعة شخص الإنسان, والجمع أشخاص وشخص , وشخاص, والشخص : سواد الإنسان وغيره وتراه من بعيد , وتقول ثلاثة أشخاص , وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه, وفي الحديث : " لا شخص أغير من الله " ; الشخص كل جسم له ارتفاع أو ظهور, والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص , والشخيص العظيم والشخص , والأنثى شخصية والاسم الشخصية¹ .

وفي قاموس المحيط وردت فيه مادة شخص بمعنى " ارتفع بصره وفتح عينيه, وجعل لا يظرف , ومن بلد إلى بلد ذهب وسار في ارتفاع , وورم السم ارتفع عن الهدف والنجم طلع , والكلمة من الفم ارتفعت نحو الحنك الأعلى , وربما كان ذلك خلقه أن يشخص بصوته فلا يقدر على خفضه, وشخص به كمنعى أتاه أمر أقلقته وأزعجه وأشخصه : أزعجه, والمتشخص : المختلف والمتفاوت² . ونفهم هنا أن الفيروز أبادي قد أضاف معاني أخرى أكثر وأوسع مما جاء في لسان العرب لأن هذه الكلمة تحمل أكثر من معنى بحسب استخدامها , وفي المعجم الوسيط : " شخص الشيء عينه وميزه مما سواه" .

الشخصية : الصفات التي يتميز بها الشخص من غيره , ويقال : فلان لا شخصية له , أي ليس له ما يميزه من صفات خاصة³, وفي الإصطلاح " هي أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية"⁴, وتعد الشخصية من أهم العوامل المساهمة في تشكيل الرواية حيث تعد " ركيزة الروائي الأساسي في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها , فالشخصية من المقومات الرئيسية لرواية الرواية بقولهم الرواية شخصية"⁵.

أنواع الشخصيات:

نجد أن ملامح البطل تشبه في تفاصيلها الشخصية المؤلف، فالبطل صحفي فلسطيني يقيم في بريطانيا، يدخل فلسطين بجواز سفر بريطاني، كما تعود ربيعي أن يفعل , أن يختلط الأمر على بعض القراء فهذا عادي ولا يلفت الانتباه، أما أن يحاكم عدد ليس قليلاً من كتاب ونقاد المؤلف على ما تفوهت به أو فعلته إحدى شخصياته فهذا ملفت للانتباه، حصل شيء أكثر غرابة مع روايته الأخرى "السيدة من تل أبيب"،

الشخصيات الروائية الرئيسية:

لقد بيّن ربيعي المدهون في روايته " مصائر كونشرتو الهولوكست والنكبة " شخصيات عديدة , متباينة الأدوار

¹ ابن منظور : لسان العرب , ط6 , دار صادر , بيروت , 1997 , 7/45 مادة شخص.

² الفيروز أبادي , القاموس المحيط , 2/317 مادة شخص .

³ 1972 : 475 , مادة شخص. إبراهيم مصطفى ورفقاه : المعجم الوسيط , مطبعة مصر , القاهرة ,

⁴ فريال سماح : رسم الشخصية في روايات حنا مينة , ط1 , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت 1999 , 18/17

⁵ محمد التوتجي : المعجم المفصل في الأدب , دار الكتب العلمية , ط1 , بيروت , 1993 , 2/457/456 .

محورها الأساسي القضية الفلسطينية، قضية الروائي خاصة كونه فلسطيني - حيث أنه من أحداث روايته ، وتحركات الشخصيات داخلها في مقارنة شكل كونشتو في الموسيقى الكلاسيكية الغربية ، حيث يروي لنا الروائي معاناة الشخصية الفلسطينية المغتربة ، والشخصيات الفلسطينية الأخرى ، وما خلفه الاستعمار البريطاني ، واليهودي الإسرائيلي من جروح وآلام فاترة بمشاعر متناقضة من الحب والكراهية ، التفاؤل والتشاؤم. " في كل عمل روائي شخصيات تقوم بعمل رئيسي إلى جانب شخصيات تقوم بأدوار الثانوية ، فالشخصية الرئيسية هي التي تقوم الفعل وتدفعه إلى الأمام ، وليس من الضروري أن تكون الشخصية بطل العمل دائما ، ولكنها هي الشخصية المحورية ، وقد يكون لديهم خصم"¹.

جولي : ابنة إيفانا أديكيان واسمها الكامل جولي ليتل هاوس هي شخصية رئيسية في الرواية فقد لعبت دورا أساسيا بارزا في الحركة الأولى وكانت دعاماتها الحلبة إذ هي كما وصفتها أمها " قالت أن أباهما منح ابنته ثلي اسمه وأورثها عينيه الخضراوتين، وتفاصيل أخرى يمكن لمن عرفه في حياته أن يلمها من ملامحها حتى بعد أن تجاوزت الستين والتفت إلى جولي"²، وقد حملت إيفانا وأنجبت في موعدها طفلة جميلة تشبه والدها سميها جولي في مارس 1948 وكانت هي الابنة الوحيدة لهما ، وبعد ولادتها أعلن والدي إيفانا مانويل وأليس تبراها منها ، بعد يوم واحد من هروبها من الحارة. وقد تزوجت جولي من وليد دهمان بعد وفاة والدها ، الذي لم يحالفه الحظ بالفرح بها ، عرفت جولي من خلال شخصيتها بالرزانة والحنية والتعاطف مع والدتها ومساندتها لها " ووقفت خلف إيفانا مباشرة احتضنت رأسها بين كفيها ثم انحنت إليه برفق وقبلته وقالت مازحة وهي ترفع رأسها بعيدا وتعود إلى مكانها " يكفيك أنك كنت أبي عاشقين كبيرين"³.

وليد دهمان : من الشخصيات البطلة في الرواية ، يشغل دورا مهما في بناء الرواية ، وليد زوج جولي ، تميز بشخصية فكاهية مرحلة عكست علاقته بحماته بنوع من الاستطاف والألفة ، سكب وليد النبيذ في الكؤوس وقبل أن ترفع إيفانا كأسها عاليا معلنة انتهاء وصيتها الخاصة بالجنائز ، وبدأ الاحتفال الذي وعدت به ، مازحها وليد ، بينما كؤوس الجميع معلقة في الهواء " أتعرفين أن اليهود يعتقدون بأن من تدفن جثته في تلك البلاد ، يكون أول من يبعث حيا، ويكون في مقدمة طابور المنتظرين على باب الجنة يوم القيامة"⁴.

الشخصيات الثانوية:

هي الشخصيات التي يكون دورها مقتصر على مساعدة الشخصيات الرئيسية أو ربط الأحداث بها ، لا يود أي

¹صبيحة عودة زعرب ،جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص 131-132.

²ربيعي المدهون ،مصادر كونشترتو الهولوكست والنكبة، ص 28-29.

³ربيعي المدهون ، المصدر نفسه ، ص 31.

⁴ربيعي المدهون ، ص 35.

عمل أدبي فني على الإطلاق لا يحتوي على شخصيات ثانوية بعضها قد تصل أهمية الشخصيات الرئيسية وتسعى للتكامل ولا تتوقف عن النمو حتى آخر لحظة في الرواية , ولذلك تبدو هذه الشخصية محط اهتمام الراوي والقاري , وبعضها الآخر يكاد يختفي حضورها في الرواية¹ , وفي هذه الرواية نجد أن ربيعي المدهون كما وظف في الرواية شخصيات رئيسية جعل لها شخصيات أخرى تتفاعل معها وتواكب الأحداث فيما بينها, لذلك نختار مجموعة من الشخصيات التي أثرت بشكل كبير في هذه الرواية .

وليام باير: هورجل قصير القامة ذا النظارتين الطبيبتين الكلاسيكيتين² , يعد باير صديق مقرب للعائلة جون ومسؤولا عن تسيير شؤونها القانونية والمالية باعتباره محل ثقة للعائلة ودامت صداقته للعائلة حتى بعد ممات جون , وصارت العلاقة وطيدة بينه وبين العائلة أكثر مما كانت عليه في السابق , استخدم ربيعي المدهون عدة شخصيات في روايته تتخطى خطها وتستهدف آفاق بعيدة تدفع القارئ للبقاء في ثنايا الرواية وصولا إلى التحليل والتبين والتوقع وهذا ما يعكس لنا وجود صيغة تجريبية عكستها لنا شخصيات الرواية .

فاطمة:يسمونها أحيانا " ست معارف" , والبعض يشير إليها في غيابها ب" ست معلومات " . أنها تحافظ على ملامح عكا وتفصيلها أكثر التاريخية على السياح الأجانب مجاناً ويتحفظون بقولها الشهير مثلها على أطراف ألسنتهم " بتعظيم معلومات صحيحة ببلاش أحسن ما يشتروا الكذب من اليهود بمصاري " ويستخدم العكاويون قولها عند الحاجة , ثم يعيدونه إلى أطراف ألسن.

فريال الهزيل : " بداوية من النقب في الثامنة عشر من عمرها , لم تعرف الخيمة ولم تجمع حطباً لنارقهوة رجال القبيلة لم ترع غنما لم تعلق جرساً في أذنهما مثل بدويات الزمان , فريال ابنة هذه الأيام زينت أذنيها معظم الوقت سماعتين صغيرتين منفصلتين ب " أي بود " لم تجد من يدلّعها فدلّعت نفسها ونادتها " فوفو " رفضت فوفو بسخونة مشاعرها على وقع أغنيات أحبّتها , تمايل جسدها مثل سنبلة حركتها ريح رغباتها لم يحمل أنفها قرطاً , بل كبرياء صبية تعشق أنوثتها , فوفو خرجت على تقاليد القبيلة فوفو تمردت على بداوتها , فوفو ودعت مدينتها رهط ورحلت¹ , نفهم من خلال هذا القول شخص فريال هزيل من بدوية أحد شخصيات الرواية بكتابتها وهي تصورفانا وصفتها مرة برواية الأمر الواقع , ومرة برواية المبررات , فالكاتب يعطي لإسرائيل أحيانا مبرراً في الوجود بدءاً من رواية النازية المشروخة وحتى فئة يهودية احتلت المجدل وتقيم عليه الآن وتعمل كمرشدة سياحية للفلسطيني إذا ما أحبوا أن يزوروا ديارهم كسياح كما هو بطل الرواية, كما أنه يحشر الإنسانية اليهودية كثيراً بين السطور وأحيانا بعض شعائر الديانة اليهودية , بدون مبرر كما في ظهور شخصية الشاعرة اليهودية ليا

¹ محمد عباس , الشخصية ومحطها في الرواية , مقال أدبي , العدد الجديد من مجلة ثقافات أبريل 2016-2018, السعودية , ص 03.
² ربيعي المدهون , ص 23.

بورتمان صديقة الام العكاوية، وشخصية المرشدة السياحية التي تعيش في المجدل حياة تصورناها بأنها لم تختلف عن حياتنا قبل النكبة ولا تخلو من ظلم بعض الطبقات اليهودية التي ربما شعرت بالندم لأنها تسكن هنا، وقد ضحكت لجملة : لم تكن قد عرفنا اسمها، ولا سبب ابتسامتها التي تشبه ذنبا تعلق بضمير صاحبه.

خاتمة: قد استخدم ربي المدهون لبناء شخصيات في رواية مصائر وكونشرتو الهولوكوست والنكبة أسلوبا مميزا ، ونرى ارتباط شخصيات الرواية ببعضها إلى تكوين علاقات وطيدة ، وأن تجعل هذه الرواية رواية فلسطينية شاملة ، جعل ربي المدهون لشخصيات الرئيسية والثانوية دورا مهما ، ان المدهون صور العربي الفلسطيني كشخص لا فرق عنده، اذا اغترب او اتى لبلاده زائرا، او هاجر إلى بلاد بعيدة، فهو قد وصل إلى مرحلة من العناء ربما والوجع، تجعله غير مكترث لأي شيء، وعلى قدر من الجبن ، فهو يهيمهم إذا ما خاطبه أحد اليهود في الطائرة، ويهيمهم في القطار اذا ما رأى إسرائيلي من أصل عربي في القطار يحمل سلاحا، وكأن الفلسطيني جبان يخاف ولا يجرؤ على الحديث والاستفسار، بعكس زوجته البريطانية التي تعترض وتتدخل وتساءل.

المصادر:

- ربي المدهون : مصائر وكونشرتو الهولوكوست والنكبة ، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 2015.

والمراجع:

- ابن منظور- لسان العرب
- الفيروزآبادي- القاموس المحيط
- إبراهيم مصطفى وآخرون- المعجم الوسيط
- محمد عباس ، الشخصية ومحلها في الرواية ، مقال أدبي ، العدد الجديد من مجلة ثقافات أبريل 2016-2018، السعودية ، ص 03.
- صبيحة عودة زعرب ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص 131-132.
- فريال سماح : رسم الشخصية في روايات حنا مينة ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 1999 ، 18/17.
- محمد التوتجي : المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1993 ، 2/457/456.

¹ ربي المدهون ، ص 84.

تاريخ موجز للحركة النسوية العربية وأهم مطالباتها في مصر



سيده مهبارة بيضاء

باحثة بجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا

اسم المشرفة: الدكتورة عرفاني رحيم

اونتي فورة بلوامة كشمير بالهند

syedahmahparaa@gmail.com

ABSTRACT: This research paper discusses about the historical overview of the Arab feminist movements and their most important demands in Egypt. Feminist movement is also known as women's movement, or feminism refers to a series of social movement and political campaigns for reforms related to women's issues that resulted from inequality between men and women, these issues are women's liberation, reproductive rights, domestic violence, sexual harassment and sexual violence etc. The division of this Egyptian feminist movement is divided into four waves, the first wave begins from the nineteenth century to the July revolution, The second wave started from the fifties to the eighties of the twentieth century And the third and fourth wave started from the eighties of the twentieth century until today.

The most important demands of all these waves of the feminist movement are, the right to choose marriage, the right to vote on an equal basis with men, the right to higher education for girls, the right to political participation, the right to public and private freedom etc. for this purpose several feminist activists founded the many feminist movements such as Huda El Sharawy founded the "Women's Union Association" in 1923 and Fatimah Neamat Rashid a founded the "Hisbul Nisaye" in 1942 and also several pioneering women activist in the feminist movements played a prominent and effective role in the the Egyptian women's movements such as Zinab Gazali, Duraya Safeeq, Sabza nabrawi etc.

KEY WORDS: Women issues, feminist movements, four waves, Demands, feminist activists, Egypt.

الملخص: ظهرت الحركة النسوية العربية في الغربي ثم العالم العربي إلى ظهور الوعي بوضعية المرأة وعلاقتها ببيتها ومجتمعها ومدى تأثيرها فيهما. اقدم في هذا المقال تاريخ موجز للحركة النسوية العربية في مصر ونشأتها وتطورها وأهم ملامحها من حيث مطالبها وإنجازاتها والتحديات التي واجهتها في سياقاتها الاجتماعية والسياسية والنسائية المحلية والعالمية، الحركة النسوية هي حركة اجتماعية تتبنى قضية المرأة في المجتمع من منطلق القناعة بوجود خلل في ميزان القوي الاجتماعية والسياسية بين الجنسين وتقوم على الوعي والفعل. تتشكل الحركة النسوية من الأفراد والمجموعات والمنظمات التي تشترك في الموقف والهدف وتعبّر عن ذلك. تقسيم هذه الحركة النسوية المصرية إلى أربع موجات تاريخية، ولقد لعبت المرأة المصرية عبر البدايات المبكرة للحركة النسوية وخلال الموجات التالية لها دورا أساسيا في كافة التحولات السياسية والاجتماعية والنسائية أيضا. وأما عن مطالب الحركة النسوية في الموجة الأولى فقد تم صياغتها لأول مرة من خلال المطالب العشرة التي صاغتها ملك حفي ناصيف وألفتها في نادي

حزب الأمة بحضور المئات السيدات ، ثم تواصلت جهود النساء اللاتي شاركن بثورة ١٩١٩ حتي صدر دستور ١٩٢٣ مستجيبا لمطالب المرأة في الحق في التمثيل السياسي ، وأهم إنجازات الموجة الأولى من الحركة النسوية حق النساء في التعليم مع استمرار حرمانهن من حقوقهن سياسية ، ولهذا الغرض تأسست هدى الشعراوي جمعية الاتحاد النسائي التي طالبت حقوق المرأة ومساواتها مع الرجل في تعليم الجامعي والعالمي وحق الانتخاب وإصلاح قوانين الزواج بحيث يتم وضع شروط لتعدد الزوجات وأن يتم الطلاق أمام قاضي ، وأيضا ظهرت عدة رائدات الناشطات في الحركة النسوية أمثال درية شفيق ، أنجي أفلاطون فاطمة نعمت راشدة وزينب الغزالي وسواهن . شهدت الموجة الثانية حصول النساء على العديد من الحقوق الدستورية والقانونية في سياق نسوية الدولة ، والموجة الثالثة فقد تميزت بتطور العمل النسوي في إطار التنظيم المدني والعمل الأهلي ، وأطلقت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ، الموجة الرابعة بالتأكيد على مجمل ما قد حققته الحركة النسوية من مكتسبات عبر تاريخها واقتحام مساحات جديدة تخص قضايا التنظيم النسوي وعلاقة المرأة بالمجال العام .

الكلمات المفتاحية : الحركة النسوية ، أربع موجات ، مطالبات ، أهم شخصيات ، قضايا المرأة .

المدخل :

تعريف الحركة النسوية لغة : حركة اسم وحرك (فعل الماضي) يحرك (فعل المضارع) حركة وحركة (المصدر) و حركة تحرير المرأة ، حركة موجهة نحو إزالة المواقف والممارسات المبنية على أن الرجال أعلى رتبة وأهم من النساء . والنسوية : اسم مؤنث منسوب إلى نسوة ونسوي منسوب إلى نسوة على غير قياس ، قال الزمخشري : النسوة على فعول ، والنسئ ، على فعل والنسوء تسمية بالمصدر ، في الحديث : أنه دخل على أم عامر بن ربيعة ، وهي نسوة ، فقال لها ابشري بعد الله خلفا من عبد الله ، فولدت غلاما فسمته عبد الله . كما قيل أن للعرب في المرأة ثلاث لغات : يقال هي امرأة وهي مرأته هي مرتة ، وحتى ابن الأعرابي إ انه يقال للمرأة إنها لا مرؤ صدق كالرجل قال ، وهذا نادر¹ .

تعريف الحركة النسوية اصطلاحا :

وقد عرف معجم أكسفورد Oxford مصطلح النسوية بأنه الاعتراف بأن للمرأة حقوقا وفرصا مساوية للرجل ، وذلك في مختلف مستويات الحياة العلمية والعملية . وعرف معجم ويبستر في تعريفه للحركة النسوية على أنها النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتسعى كحركة سياسية إلى دعم المرأة واهتماماتها ، وإلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه¹ . النسوية (Feminism) هي مجموعة مختلفة من التصورات الفكرية والفلسفيات الأخلاقية والحركات السياسية والنظريات الاجتماعية لأنها حركة فكرية نشأت دفاعا عن حقوق المرأة المهضومة في العالم يعني تطالب كل المرأة حق وحرية ومساواة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية من

¹ صور المرأة في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة ، ربيعة جلطي نموذجاً ، بشيرة كانش (ص) ٢٢

القمع الأبوي والتمييز والعنف وحرية الاختيار والاستقلال فيما يتعلق بقضايا السلامة الجسدية . وهي وعى مؤسس على كل حقائق مادية وهوية وترى التميز الواقع على المرأة في كل مجالات الحياة من حيث الجاة والثروة والمناصب والتعليم حتى احتياجات الحياة الأساسية من حيث مكان ومأكل وتعليم وغيره².

الحركات النسوية في مختلف أنحاء العالم سواء الغربي أو العربي هي حركات الاجتماعية والسياسية تتشكل من أفراد أو مجموعات أو منظمات تقوم على الوعي والفعل لتبني قضية المرأة في مجتمعاتهم ، هي الحركة التي تنادي بدعم المرأة على كل المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية وتحريرها من التمييز الذي تعاني منه في شتى المجتمعات ، وأهم أهدافها أمثال المساواة بين المرأة والرجل و المساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكامل حقوق الإنسان ونبد العنف وغير ذلك . لقد استخدم مصطلح النسوية لأول مرة سنة ١٨٦٠ ، ثم طرح في القرن العشرين بقوة في أمريكا ، بينما طرح في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وازدهر في الستينيات والسبعينيات في فرنسا³. ومنذ ذلك الحين ، استطاعت الحركة التي تدعو للمساواة بين الذكر والأنثى ، أن تشق طريقها إلى عدة بلدان من حول العالم ، لاسيما في منطقة الشرق الأوسط التي شهدت أسماء كثيرة تعتبر من بين الشخصيات الأساسية التي قادت مسيرة المساواة ولمع اسمها وتأثيرها في الحركة النسوية .

تاريخ مختصر للحركة النسوية العربية وأهم مطالباتها في مصر:
بدأت في مصر الحركة النسوية من نهايات القرن التاسع عشر إلى عقب ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ ، نشأة الحركة النسوية في أربع موجات :

الموجة الأولى : القرن التاسع عشر إلى ثورة يوليو .

الموجة الثانية : من خمسينيات إلى ثمانينيات القرن العشرين .

الموجة الثالثة : من ثمانينيات القرن العشرين إلى يناير ٢٠١١ .

الموجة الرابعة : من ٢٥ يناير ٢٠١١ إلى اليوم⁴ .

أحداث الموجة الأولى :

لاشك بدأت الحركة النسوية في العالم العربي إبان مرحلة عصر النهضة العربية من حملة نانليون على مصر في ١٧٩٨ ، تأثيرا في تشكيل التربة الاجتماعية والثقافية الخصبة التي ساعدت على أول ظهور لبوارد حركة نسوية مصرية في ١٩١٩ ، فقد شهد هذا العصر نهضة ثقافية وانفتاحا فكريا نتج عن إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا عموما

¹ الحركة النسوية العربية عبر شبكات التواصل الاجتماعي ، حداد ناريمان (ص) ١٧

² نظرة للدراسات النسوية ، مند محمود ، شيما طنطاوى (ص) ٩، ١٣

³ النسوية مفاهيم وقضايا ، مية الرجي (ص) ١٤

⁴ نظرة للدراسات النسوية ، لهند محمود شيما طنطاوى (ص) 31

وفرنسا خصوصا فتأثر مفكر وعصر النهضة العربية بفكر فلاسفة عصر الأنوار الغربيين وظهرت أسماء مصلحين ومفكرين الذين عملوا من أجل المرأة ودافعوا عن حقوقها ونادوا إلى تعليم المرأة وثقيفها كما ظهر بطرس البستاني ، رفاعة رافع الطهطاوي قاسم أمين ، وغيرهم . يعد قاسم أمين أول رائد لحركة النسوية في مصر الذي دعا بجرأة إلى تعليم المرأة وثقيفها وحريتها ومساواتها وتخفيف حجابها وتنظيم زواجها وطلاقها لأن المرأة إنسان مثل الرجل لا يختلف عنه في الإحساس ولا في الفكر ، ولذلك اشتهر هذا المصلح العظيم بين معاصريه من المفكرين بـ " نصير المرأة الأكبر " و " محرر المرأة المسلمة " . كان لقاسم أمين دورا بارزا في تأييد المرأة المصرية والدفاع عن حقوقها والذي دعا فيه علانية المرأة المصرية إلى تقليد المرأة الغربية حتى تلحق بركب الحضارة والمدنية ، فألفه لهذا الغرض كتابين أولها بعنوان " تحرير المرأة " و ثاني سماها " المرأة الجديدة " . ملك حفني ناصف هي الرائدة الأولى في تعليم الفتيات وتحسين وضع الأسرة وإصلاح المجتمع ، وقد وقفت حياتها دفاعا عن هذه القضية ولذا قامت بتأسيس بعض الجمعيات النسائية التي كانت تعمل في سبيل الدعاة لحقوق المرأة وتحريرها ومنها :

- "إتحاد النساء التهديوي" وكان يضم كثيرا من السيدات من مصر والبلاد العربية الأخرى وبعض الأجنبيات وكان هذا الاتحاد مصدر توجيه للسيدات والبنات ومركز إشعاع لهن .
- جمعية للتمريض على غرار الصليب الأحمر (وتأسس الهلال لأحمر بعد ذلك بقليل) لإرسال الأدوية والأغذية والملابس والأغذية إلى الجهات المنكوبة بمصر ، وإلى البلاد الشقيقة كلما مست الحاجة . ويذكر أن هذه الجمعية ازدادت نشاطا عندما قام الجيش الإيطالي بدهم المحاربين الغرب في طرابلس الغرب بقوات غير متكافئة في العدد والعدد . واشتدت بهم الحاجة وكما فإنها أعدت بيديها مائة بذلة للجرحي ، فلما سئلت لماذا لا تؤجر من يخطبها ؟ قالت " يحسن أن نحس ببعض التعب ليزداد شعورنا بالواجب ¹ " .
- ألفت ملك حفني ناصف خطبة في نادي حزب الأمة في حضور المئات من السيدات بتحديد عشر مطالب نسائية وجهتها إلى البرلمان وهي :

- تعليم البنات الدين الصحيح .
- جعل التعليم الأولى إجباريا للجميع وإتاحة فرض التعليم الابتدائية والثانوية للبنات .
- تعليم البنات التدبير المنزلي ومبادئ الصحة والتربية .
- تخصيص عدد من الفتيات لدراسة الطب ودراسة أسس التربية والتعليم .
- إطلاق حرية الفتيات في تعليم كافة العلوم لمن تريد .
- تربية الفتيات على الصبر والجد في العمل وغيرها من الفضائل .

¹ دور المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور ، فرحانة صديقي (ص) ١٩٠

- اتباع الطريقة الشريعة في الخطبة ، فلا يتزوج اثنان قبل التقائهما في وجود محرم .
- اتباع عادة نساء الأتراك في الحجاب والخروج.
- المحافظة على مصلحة والاستغناء عن الغرب من الأشياء والناس بقدر الإمكان .
- على الرجال تنفيذ المشروع¹ .

ولكن رفض مطالبها تلك ، هي مطالبات الأساسية التي تتقدم بها نساء مصر إلى الحكومة وبعد ذلك اتسعت دائرة مطالبتهن كما تطالب المرأة المصرية اصلاح قوانين الزواج ورفع سن الزواج وتعدد الزواج وحق الطلاق و تعديل قوانين الأسرة وحق التعلم العالمي والجامعي للفتيات . ثم ظهرت هدى الشعراوي "اعتبرت هدى الشعراوي رمزا من رموز النضال النسوي لا في مصر فحسب بل في العالم العربي أيضا . ولدت هذه الزعيمة المصرية سنة ١٨٨٩م بالمانيا في أسرة غنية مثقفة كافحت طيلة حياتها من أجل قضية المرأة وتحريرها ورفع شأنها وتمكينها من إدراك حقوقها وواجباتها . هي من أبرز الشخصيات الناشطات المصريات اللاتي شكن تاريخ الحركة النسوية في نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين في مصر .

عندما رفع قاسم أمين صوته دفاعا عن تحرير المرأة أستخدم للنقد العنيف لدى الأوساط العلمية الأدبية بل لدى المجتمع المصري بأجمعه ، قامت هدى الشعراوي مع قاسم أمين بالدفاع عن قضية المرأة العربية بكل شجاعة وإخلاص . كما تقول درية شفيق في كتابها "تطور النهضة النسائية في مصر من عهد علي إلى عهد فاروق" وقد كافحت في هذا السبيل أشد الكفاح ولا سيما أن المرأة المصرية كانت كالزوال محجبه ولم تكن لديها واضحة عما يجري في العالم الخارجي وكانت مصر خاضعة الآراء قديمة بالية وتقاليده يصعب التخلص منها أو القضاء عليها ، فكانت هدى هانم تحارب جميع هذه الآراء والتقاليد وتخوض غمار معركة حقيقية بل غمار حرب شعواء بين شتى العواطف والأفكار المتباينة . ظهرت هدى الشعراوي بشخصيتها القوية أخذت ترشد النساء إلى الطريق القويمه مقتدية بقاسم أمين وأنصاره وطفقت تعمل على إزالة الحواجز والتغلب على العقبات غير مكتثرة بما تسمعه من ذم ونقد ولم يقم في سبيلها عائق يحول دون بلوغ غايتها وهي إنهاض المرأة المصرية ولم تحجم عن بذل أي مجهود أو تضحية للوصول إلى الهدف الرائع الذي وضعته نصب عينها وكانت السيدة سبزا نبراي هانم خير معين لها في القيام بهذه المهمة² .

ومن أجل ذلك أنشأت "جمعية الاتحاد النسائي المصري" في ١٦ مارس ١٩٢٣ إلى وفاتها في سنة ١٩٤٧م³ . ولم يكن تأليف الاتحاد النسائي المصري شيئا عاديا حيث برزت فيه المرأة تطلب حقوقها بقوة وحزم بل كان حدثا مهما في تاريخ تقدم المرأة وفي تاريخ مصر نفسها . وقد ضم هذا الاتحاد كل سيدة يمكن أن نعتبرها سيدات الطليعة وفي مقدمتهن

¹ الحركة النسائية حركة سياسية ، هالة كمال (ص) ٥٠٦

² تطور النهضة النسائية في مصر من عهد علي إلى عهد فاروق ، درية شفيق (ص) ١٠٨، ١٠٦

³ ٥٩، ٦٣ رائدات الحركة النسوية المصرية والإسلام والوطن ، مارجو بدران (ص)

الرائدات الأوائل استرفهني ويصا وعنايات سلطان وسبزا نبراوى وجميلة عطية وعزيزة هيكل ونفيسة علوبة وماري كحيل ومهيجة رشيد وإحسان القوصي وحفيظة الألفية وحواء ادريس . إن الاتحاد النسائي كان قد تألف للمطالبة بحقوق المرأة السياسية وفي مقدمتها الحق المسلوب للترشيح والتصويت ففي بداية عهده أوضح موقفه وحدد مطالبه وكانت هذه المطالبات تتفق مع مقتضيات المجتمع في ذلك الوقت وكانت تتعلق بالمرأة بوجه خاص . وأهم المطالب التي تركز على معالجة مشكلات الساعة للمرأة المصرية هو رفع سن الزواج بالنسبة للفتاة ووقف عادة الزواج بالاجنبيات التي كانت قد انتشرت تلك الأيام بين الشبان المتعلمين الذين كانوا يسافرون إلى البلدان الغربية طلبا للعلم¹ .

فكان أول الاتحاد نسائي في العالم العربي ، وأحد أوائل المنظمات النسائية التي استمرت لعقود وأحد أوائل المنظمات التي شكلت مكتبا . أهم هدف من أهداف هذه الجمعية المطالبة بحقوق المرأة السياسية ، وفي مقدمتها حق الترشيح والتصويت وقد وجهت هدى شعراوي بواسطة هذا الاتحاد جهودها إلى البحث عن وسيلة صالحة لإحلال روح التفاهم والتضامن بين الرجل والمرأة من الناحيتين الفكرية والأدبية ، ولم يكن في ذات الوقت حد أدنى لسن الزواج فيما يختص بالفتاة المسلمة فكان الأباء الجيلة يزوحوون بناتهم صغيرات جدا وكان كثيرا ما يؤدي ذلك إلى نتائج مفعجة فقد طلب الاتحاد النسائي أن يكون الحد الأدبي لتزويج الفتاة من حيث العمر ست عشرة سنة² .

أيضا تقول درية شفيق في موضع آخر " وقد كان برنامج الاتحاد النسائي يشتمل على مسائل شتى تتعلق بجميع نواحي النشاط الاجتماعي وذلك دعا إلى الالتجاء إلى الاختصاصيين من رجال القانون والدين والتعليم والاجتماع وغيرهم لا بداء آرائهم في مخلف الأمور فأنشئت لهذا الغرض لجنة استشارية من رجال أكفاء أبدوا كل اهتمام بشؤون المرأة وفي مقدمتهم محمد علي علوبة باشا والشيخ مصطفى عبد الرزاق باشا وحسين هيكل باشا ومراد سيد احمد باشا ومحمد زكي علي بك والدكتور منصور فهمي باشا وأنطون الجميل بك وغيرهم .

ثم أخذت أبواب التعليم تفتح شيئا فشيئا أمام البنات وغدت الفتاة تظهر مقدره وكفاءة في تحصيل العلم مما كان أكبر مشجع على زيادة عدة مدارس البنات في جميع بلاد المصري ثم اتجه الرأي إلى إيفاء الطالبات إلى أوروبا فساعد ذلك على عودتهن بأفكار وآراء جديدة مختلفة وكان الدكتور طه حسين بك في مقدمة المشجعين على توجيه التعليم النسائي هذه الوجهه . واهتم الاتحاد النسائي أيضا بالناحية الأدبية من الحياة القومية فطالب بتعديل نظام الطلاق بحيث لا تتاح للرجل فرص كثيرة لمعاملة الزوجة معاملة غير عادلة و حاول الحد من نظام تعدد الزوجات في مصر وأخذ يسعى للقضاء على المعتقدات الشعبية المصرية بترقية الحياة الاجتماعية وهو يبحث كذلك في أمر مقاومة التشرذم وتحسين حالة الأطفال المشردين³ .

¹ دور المرأة في إثراء اللغة العربية وأدائها عبر العصور ، فرحانة صديقي (ص) ١٧٦، ١٧٧

² تطور النهضة النسائية في مصر من عهد علي إلى عهد فاروق ، درية شفيق (ص) ١٠٩، ١١٠

³ المراجع السابق (ص) ١١١، ١١٣

قد انقسمت مطالب الاتحاد النسائي إلى ثلاثة أقسام سياسية واجتماعية ونسوية ، كما إصدار وثيقة ببرنامج الاتحاد النسائي تتضمن بنودا اجتماعية أمثال : إدخال التعليم الديني والخلقي في عموم المدارس ، وتطوير الصناعة وتعميم النقابات الزراعية في أنحاء الوطن ، وبنودا نسوية أمثال المساواة بين الرجل والمرأة في فرض التعليم العالي والجامعي وأعطى المرأة حق الإنتخاب وإصلاح قوانين الزواج وغيرها .

ظهرت فاطمة نعمت راشدة في الحركة النسوية هي مؤسسة " الحزب النسائي المصري " عام ١٩٤٢ م ، ومطالبة لهذه الجمعية متعددة كماكتب هالة كمال في كتابة " لمحات من مطالب الحركة النسوية المصرية عبر تاريخها " ومطالبة لهذه الحركة النسائي كما يلي :

- مساواة المرأة بالرجل والنهوض بها برفع مستواها الأدبي والفكري والاجتماعي
- يسعى الحزب بكل الوسائل المشروعة لتناول المرأة المصرية حقوقها القومية والسياسية والاجتماعية كاملة فيكون لها حق الانتخاب والتمثيل البياني والتمتع بحقوقها كمواطنة مصرية .
- تحسين النفقات الشرعية ووجوب سرعة البت فيها .
- رفع سن الحضانة عن السن المقررة من ١٤ إلى ١٦ عاما .
- ضرورة العمل على منع تعدد الزوجات ومنع إطلاق وتقييدها بما يستبقيها لمواجهة الضرورة الطائفة أو الحاجة الماسة .
- إعطاء العاملات حق التمتع بكل قوانين العمال ومساواتهن بهم في جميع الحقوق ووجوب اشتراكهن في النقابات وعمل الترتيب الازم بحيث تعطي العاملات إجازات كاملة للوضع بأجركامل والعمل على إنشاء دور لحضانة الأطفال حتى عودة أمهاتهن من العمل .
- توثيق الروابط بين نساء مصر والبلاد الشرقية¹ .

أسست زينب الغزالي جمعية النساء المسلمات " الإطار الديني لتحرر المرأة " عام ١٩٣٧ ، تعلمت زينب الغزالي في مدارس حكومية ، كان أبوها من علماء الأزهر ، توفي والدها في العاشرة من عمرها ، كافحت من أجل إكمال تعليمها رغم اعتراض أخيها الأكبر . انتسبت إلى الاتحاد النسائي الذي أسسته هدى الشعراوي وأصبحت زينب الغزالي من أعضاء الاتحاد البارزات بصوتها القوي في المطالبة بحقوق المرأة ، ثم أسست زينب الغزالي " جمعية النساء المسلمات " وهدف هذه الجمعية أقامت دار للأيتام ووفرت المساعدات للعائلات الفقيرة وساعدت في تسوية الخلافات الأسرية أرسلت الناس إلى الحج ، وأيضا ركزت على جلسات الوعظ والإرشاد التي تم عقدها دوريا لتنوير النساء حول السلوك

¹ لمحات من مطالب الحركة النسوية المصرية عبر تاريخها ، هالة كمال (ص) ٤٣

الفاضل والوفاء بالواجبات التي يفرضها الله عليهن¹.

ثم برزت أنجي أفلاطون ولطيفة الزيات في الحركة الوطنية وقضية المرأة في مصر كما كانت أنجي أفلاطون هي رئيسة "رابط فتيات الجامعة والمعاهد المصرية" عام ١٩٤٥، وتحقيق لأول مرة في تاريخ الجامعة المصرية وصول المرأة إلى مركز قيادي عن طريق الانتخاب وبعدد ليس بالقليل فازت من فتيات الرابطة لطيفة الزيات ونجيبه عند الحميد وعنايات المنايرلي وآسيا النمر وآخرين. وتركزت مطالب الحركة الجلاء ورفض الأحلاف العسكرية ورفض معاهدة الدفاع المشترك، مما يعكس إخضاع قضيتهم للقضية الأكبر المتعلقة بتحرير الأمة².

تأسست درية شفيق "اتحاد بنت النيل" في سنة ١٩٤٩ م، واقتصرت هذه الجمعية على الهدفين التاليين:

- السعي إلى رفع مستوى الأسرة المصرية ثقافيا واجتماعية وصحيا.
- السعي إلى إصدار التشريعات التي تاهق تدعيم الأسرة المصرية وتجنبيها عوامل الانقسام والتفكك وذلك عن طريق تقييد الطلاق وتعدد الزوجات بحيث يقتصر على الضروريات التي تجيزهما ويصون الأسرة من نتائج سوء استعمال هذه الرخصة وذلك لسبغ الحماية على الأمومة والطفولة معا. وسيلتها في تحقيق هذه الأهداف تنحصر في السعي لتقرير حق المرأة في الانتخاب والنيابة عن الأمة لتتمكن من الدفاع عن حقوق المرأة المصرية والمساهمة في استصدار التشريع الذي يكفل هذه الحقوق واستقرارها وتعميمها³.

أحداث الموجة الثانية:

- شهدت الموجة الثانية احتكار الدولة لقضية المرأة مع التركيز على تعديل أوضاع النساء في القانون.
 - مع قيام ثورة يوليو تم إلغاء الدستور وأُعيد حل الأحزاب ١٩٥٣.
 - إعلان حكومة الثورة في سنة ١٩٥٦ م وتأسيس التنظيم النسائي بالاتحاد القومي ثم التنظيم النسائي بالاتحاد الاشتراكي بديلا عن المنظمات والجمعيات النسائية المستقلة.
 - إعلان الدستور ١٩٥٦ م بما يكفل للنساء حق الترشيح والانتخاب، وتعديل قوانين العمل والتعليم بما يحقق المساواة بين الجنسين مع بقاء قوانين الأحوال الشخصية على حالها منذ سنة ١٩٢٩، أي تم تعديل القوانين من منطلق خدمة النظام لامصالح النساء.
 - تم قصر العمل النسائي على الأعمال الخيرية تحت سيطرة وزارة الشؤون الاجتماعية⁴.
- هكذا جاءت الموجة النسوية الثانية ٣١ من دستور ١٩٥٦ لتنص على، المصريون لدى القانون سواء وهم

¹ بحث المرأة في المنظمات الأهلية، حالة مصر (ص) ١٨٠٢١

² المرجع السابق (ص)

³ لمحات من مطالب الحركة النسوية المصرية عبر تاريخها، هالة كمال (ص) ٤٥

⁴ هند محمود شيماء طنطاوي (ص) ٣٢ نظرة للدراسات النسوية

متساوي في الحقوق والواجبات العامة لا تميز بينهم في ذلك بسبب الجنس أول الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة . و في الموجة الثانية حصلت النساء المصرية على حق الانتخاب و التصويت بشكل متساوية مع الرجل ليس فقط قبل معظم دول المنطقة ولكن حتي قبل بعض الدول الغربية أيضا ، منحت الثورة يوليو النساء حق المساواة في الأجر والراتب وخاصة في التعليم و التعيين في القطاع الحكومي و العام وقتها ما جعلها تتدفق على سوق العمل و تصل إلى منصب الوزيرة حكمت أبو زيد و النائبة في البرلمان رواية عطية نقلة جبارة في حقوق المرأة حدثت مع الموجة الثانية خاصة لدي المرأة الفقيرة التي تعلمت بالمجان و تم تشجيعها على بناء منظمات مجتمع مدني مثل الزعيمات الريفيات و الأسر المنتجة في الريف ، على أن الكاتبة تلتقط في الدراسة ما أسمته بعدم تكافؤ المسار التودمي في ميدان العمل و التعليم و الحقوق السياسية في الميدان العام بالتحول البطيء و المحافظ فيما يتعلق بقوانين الأسرة والأحوال الشخصية المتحكمة في الميدان الخاص¹.

أحداث الموجة الثالثة :

- إدماج النوع الاجتماعي في المشاريع التنموية وظهور الجيل الأول من المنظمات غير حكومية العاملة في مجال حقوق المرأة .
- المطالبة بحق النساء في حصة محددة لنظام الكوته في التمثيل النيابي .
- نشر المعرفة بمناهج البحث النسوي وتشجيع الإبداع و النشر النسوي.
- السعي إلى تعديل القوانين بما يضمن مصالح النساء وخاصة في ما يتعلق بقوانين الأسرة والعمل وغيرها من القوانين غير العادلة بين الرجال والنساء².

شهدت الحركة النسوية المصرية طغرات على صعيدي الفكر والعمل النسوي خلال العقدين الأخيرين ، رغم القيود المفروضة عليها بفعل القوانين وسلطة وزارة الشؤون الاجتماعية التي تسعى لفرضها على الجمعيات والمؤسسات . كما جاء المؤتمر الدولي للسكان و التنمية الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤ ليقيم دفعة قوية للحركة النسوية حيث ظهرت مؤسسات المجتمع المصري باعتبارها طرف أصيل في طرح قضايا المرأة ، ومن ثم شهدت الموجة الثالثة من حركة النسوية المصرية حالة من تبلور المطالب النسوية في إطار المبادرات المستقلة وضمن أنشطة المؤسسات الحقوقية .

أحداث الموجة الرابعة :

موقف الحركة النسائية المصرية من الثورة ، اندمجت نساء مصر في الحراك الثوري الذي تفجر عقب ثورة

¹aswatonline.com الحركة النسوية المصرية .. أربع موجات اقترنت بهموم الوطن ، نفسية دسوقي

² نظرة للدراسات النسوية ، همد محمود شيماء طنطاوي (ص) ٣٢، ٣٣

الخامس والعشرين من يناير لعام ٢٠١١ وتبلور حراك نسوي ضم أجيالا جديدة من الشابات الوافدات على المجال العام . تعرضت النساء المشاركات بثورة يناير ٢٠١١ للعديد من أحداث العنف ما دفع المؤسسات النسوية إلى إصدار العديد من التقارير الخاصة برصد تلك الوقائع غير أن أبرز ما قد شهدته العمل النسوي في أعقاب الثورة قد تمثل في محاولة المشاركة في كتاب الدستور الجديد حيث قامت مجموعة من المنظمات والمؤسسات النسوية بتشكيل تحالف المنظمات النسوية في مارس ٢٠١١ واتفقت بعض عضوات ذلك التحالف على تشكيل مجموعة " النساء الدستور" في مايو ٢٠١١ ضم ممثلات عن بعض المنظمات النسوية والمؤسسات الحقوقية المصرية وأيضا باحثات متعددة في مجال قضايا النساء. وقد تركزت أهم مطالب تلك الموجة من الحراك النسوي على الموضوعات الآتية :

- المشاركة السياسية : الكوطة ، القوائم الانتخابية دور المرأة في الحياة النيابية .
- الحريات العامة والخاصة .
- الدستور والقوانين .
- التوعية بالقضية النسوية .
- انتهاك الجسدي والتحرش الجنسي أو العنف الجنسي¹ .

خاتمة: لعبت النساء المصريات دورا بارزا وفعالا في الحركات النسائية المصرية . وتعرضت الحركة النسوية على مدار السنوات الماضية لتحديات كثيرة تأثرا بالأزمات السياسية والاجتماعية التي مرت وما تزال تمر بها مصر ، ما أدى إلى انحسار أنشطتها وفعاليتها ، فالتغيرات السياسية المصرية حتى الآن محبطة لكثير من نساء التحرير ، تشتمل الحركة النسوية المصرية من الجيل القديم على مجموعة من النساء البارزات المطالبات بحقوق المرأة كما نجد في مصر تكرار مطالبة النساء بإرجاء مطالبهن النسوية من أجل التخلص من الاستعمار في الماضي وتحقيق العدالة الاجتماعية في الحاضر . وبأن حركة النسوية سياسية تستند إلى الوعي بأن وضع النساء خاضع لأشكال متعددة من القمع والتمييز والإقصاء ، وباعتبارها حركة تسعى إلى تغيير أوضاع المرأة من أجل العدالة الاجتماعية . وقد انعكس الحركة النسوية المصرية بالشؤون الاجتماعية والسياسية والنسائية في سعيهن إلى تحديد مطالبهن من السلطة كما نجد في السياق أول صياغة لمطالب المرأة ممثلة في المطالب العشرة التي صاغتها ملك حفي ناصف وطرحتها على النساء ضمن محاضرة ألقته في حزب الأمة . ومطالبة جيل الأول من المرأة المصرية من أجل الحقوق والحريات ومدافع عن حقوق الإنسان بشكل عام وحقوق المرأة بشكل الخاص . ولكننا نجد أن جيل جديد من النساء المصريات تمضي على طريقة جديد والعقبات السياسية الهائلة من أجل تحقيق تغيير حقيقي على صعيد قضايا المرأة كما نجد أهداف ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وأهم هدفهن تحول وبداية لتغيير جذري في حياة نساء مصر .

¹ ٣٣، ٣٢ المرجع نفسه

المصادر و المراجع :

1. بحث المرأة في المنظمات الأهلية ، حالة مصر ، مقدم من مركز دراسات المرأة الجديدة ، ديسمبر ١٩٩٨ .
2. تطور النهضة النسائية في مصر من عهد علي إلى عهد فاروق ، درية شفيق ، إبراهيم عبده ، مكتبة الآداب بالجماهير ، مصر ١٩٤٥ ، عدد ١ .
3. الحركة النسائية حركة سياسية ، هالة كمال ، مؤسسة المرأة الذاكرة ، الإصدار للنشر ، آية سامي ، الطبعة الأولى ٢٠١٦ .
4. الحركة النسوية العربية عبر شبكات التواصل الاجتماعي ، حداد ناريمان ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة محمد خيضر-بسكرة- قسم العلوم الإنسانية شعبة علوم الإعلام والاتصال .
5. الحركة النسوية .. ما بين المكاسب والتحديات ، رعاية شركة الحاسبات المصرية www.feedo.net .
6. الحركة النسوية المصرية .. أربع موجات اقترنت بهيوم الوطن ، نفسية دسوقي aswatonline.com .
7. دور المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور ، فرحانة صديقي ، حقوق الطبع محفوظة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ .
8. رائدات الحركة النسوية المصرية والإسلام والوطن ، د. مارجويدران ، ترجمة د. علي بدران ، المشرع القومي للترجمة .
9. شعرية السرد النسوي الحديث ، محمد قاسم صفوري ، جامعة حيفا كلية العلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها ، تشرين الثاني ٢٠٠٨ .
10. لمحات من مطالب الحركة النسوية المصرية عبر تاريخها ، هالة كمال ، مؤسسة المرأة الذاكرة ، الإصدار للنشر ، آية سامي ، الطبعة الأولى ٢٠١٦ .
11. النسوية مفاهيم وقضايا ، مية الرجي ، الرجية للنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ٢٠١٤ .
12. نظرة للدراسات النسوية ، هند محمود شيماء طنطاوي ، الإصدار الأول مارس ٢٠١٦ .

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في "المعذبون في الأرض" لطفه حسين



نواس بي بي

محاضر، كلية روضة العلوم العربية بفاروق
كيرلا بالهند

Abstract: This article deals with the socio-economic conditions of Egypt in the light of the book "Al Mu 'hadboona fil arth ." All the eleven stories of the book pottery the sufferings of mankind.. These tales narrate the fret and fevers of the epidemic world in general and 1940s Egypt in particular. And there is a staunch criticism against the than Egyptian government. While setting the history of the companies of the prophet Muhammad as the exemplary, the writer depicts the different images of victims of the social and economic conditions of Egyptian society.

ملخص: إن كتاب "المعذبون في الأرض" لطفه حسين هو لقب يعميد الأدب العربي، وهذا كتاب ذو شهرة عالمية، وأنه يعتبر مرجعا من المراجع في معرفة أحوال أهل مصر، وفي هذا الكتاب إحدى عشرة قصة تتحدث عن معاناة الناس بشتى أنواعهم، وخاصة منهم الفقراء والمعدمين والبائسين وأمثالهم، ومع ذلك أن هذه المجموعة القصصية القصيرة قد عكست أوضاع الحياة المصرية التي عاشتها في أربعينات القرن الماضي، وكذلك يتناول هذا الكتاب عموما عن أحوال أهل الريف المصري بعد انتشار الكوليرا والتفؤيد فيه، ومن المعروف أن الكاتب هو الذي يعرف تماما عن أزمات الريف المصري لأنه ترعرع فيه وعاش طفولته ومراهقته في أحضانه لذلك يصور الكاتب صورة خالصة الحياة المصرية.

وكان طه حسين شديد السخرية بنظام حكام المصري، وهاجم على حكومة المصرو وموقفها ضد الطبقات السفلى، فهم مهمشون عن زخرف الحياة وزينتها، وحيث أنهم لا يتمتعون بأي ملذات الدنيا في حياتهم. وقد وصف المصنف في هذه الحالات المأساوية التي تحملها الرجال والنساء وحتى الأولاد والبنات من الطبقات السفلى. وعلاوة على ذلك أن هذا الكتاب هو دليل على الواقع المصري الأليم في تلك الأيام، وأيضا دليل على الفقر والجهل والطبقية في المجتمع المصري. وقد أثرت هذه الحكايات في جميع الأجناس المصرية سواء أكانت في الاجتماعية أم الاقتصادية أم السياسية أم الأدبية أم غير ذلك. وعلى الرغم من أن الكاتب يسأل هذا السؤال حين يصبح ويمسي، " إلى أي

الطريقين يريد المطرفون من المصريين أن يذهبوا: إلى طريق الموت أم إلى طريق الحياة؟¹ وأنه يطرح هذا السؤال على كل من يقرأ هذا الكتاب، ولذلك يبدأ الكتاب بهذه العبارة الجميلة.

" إلى الذين يحرقهم الشوق إلى العدل ، وإلى الذين يؤرقهم الخوف من العدل ، وإلى أولئك وهؤلاء جميعا ، أسوق هذا الحديث،

إلى الذين يجدون ما لا ينفقون ، وإلى الذين لا يجدون ما ينفقون،

يساق هذا الحديث،"²

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في "المعذبون في الأرض"

قصة صالح

يقول الكاتب في القصة الأولى عن حياة الولد بلا أم، اسمه صالح وهو عاش في أسرة فقيرة مع زوجة أبيه (الأم الثانية)، وكانت زوجة الأب قاسية جدا معه في كل حال. ونشأ صالح بلا حب الأم ومودتها . فأصبحت حياته كلها بإزدراء وسخرية ، حتى أنه يواجه الإهمال من معلميه. يوضح طه حسين أخلاق المعلمين ومعاملتهم القاسية مع صالح، وأنهم أهل الرشوة والسادجة والقسوة. وهذه القصة تدل على مشقة فقدان الأم وانعدام اعتبار الأب. والجدير بالذكر أن هذه القصة تصور أمام خيالنا عن مشكلات الولد (صالح) في هذه السطور... " قال الصبي: أريد أن تبقى لتغسى معا. ولم يقل صالح شيئا وإنما تحول إلى رفيقه وسعى في أثره هادئا مطرقا كأنه الكلب يتبع صاحبه إذا دعا"³ (كان صالح يتسول الطعام والثياب من أمين وهو صديق له)

هذه القصة تتحدث عن فقدان الحب وانعدام الاعتبار في الحياة، وتوضح عيش الولد الذي يواجه الإهمال من الجميع، وتحكي لنا آلام الولد الذي يعيش بدون حب والديه في حياته. ومن المعروف أن الكاتب قد نجح لإثارة مشاعر الناس سواء أكان من المصريين أو من غير المصريين.

قصة قاسم

يصور لنا طه حسين بطلا في هذه القصة هو الصياد، اسمه قاسم وفي أسرته زوجته (أمونة) وابنته الوحيدة (سكينة). يقول الكاتب عن حب قاسم لابنته ويقضي قاسم حياته كلها لابنته. ثم يخبر الكاتب عن الحادثة التي وقعت في بيت قاسم، وأنها العلاقة القبيحة بين بنت قاسم والحاج المحمود (عمها) وهو من الأثرياء في تلك القرية. حينما عرف قاسم أن ابنته قد قارفت الذنب مع عمها، وأصبح قاسم محزونا وحتى يقول " ما ينبغي

¹ طه حسين، المعذبون في الأرض ص : 198

² طه حسين، المعذبون في الأرض ص: 5

³ طه حسين، المعذبون في الأرض ص : 17

للفقراء أن يلدوا البنات"¹. وفي الحقيقة، أن قاسم هو الذي لا يقدر على أن ينسى تلك الحادثة التي حدثت بين ابنته وبين عمها، ومع ذلك أن قاسم لا يستطيع أن يعيش بعد الحادثة، لذلك هو لا يعود من ذهاب صيده اليومية إلى بيته. وأن الكاتب متأكد في قصة قاسم بأن عفة الفتاة أهم شيء من الجوع والظلم حتى من الموت.

قصة خديجة

هذه القصة تحكي عن فتاة جميلة (خديجة) جدا، وكانت الفتاة تعمل في إحدى بيوت الأثرياء بسبب شظف العيش. وكانت الفتاة صالحة وجميلة في ذلك الريف، وأنها تكره أن تأكل صدقة من الآخرين. ولذلك أن الناس يمدحون أخلاقها الكريمة والجليلة، ثم يقول الكاتب في هذه الحكاية عن زواج الفتاة ويأتي إليها شخص غني ليتزوجها، لكنها لم تحب هذا الزواج. وبالرغم من أن هذا الزواج قد تم بسعادة العريس دون سعادة العروس. ما قال طه حسين عن زواج خديجة إلا كان نقده لاذعا فيه، وأن زواج الفتاة يجري بدون إذن فيؤدي إلى تدمير العالم. في الحقيقة، لا تستطيع الفتاة الفقيرة أن تدفع الزواج إلا بالموت كما تقول قصة خديجة. " لقد أكرهت خديجة إكراها على الزواج، ومس حياءها النقي ونفسها الطاهرة منه دنس، لم يستطيع الحب أن يغسله فغسله الموت "²

قصة المعتزلة

يقول الكاتب هنا عن الأسرة البائسة والمعتزلة للناس والمغرقة في البؤس والشقاء، يوضح الكاتب عن ظروف الأسرة وأحوالها البائسة، وتستقر هذه الأسرة كاستقرار قفص طير حجير على أشجار ضخمة. ثم يقول الكاتب عن شخصية رئيسية في هذه القصة هي أم تمام شكلها غريبة ولها ابنان وبنات. وبعد ذلك أن طه حسين يشير إلى موسم الموت أي، الوباء الذي قد دمر أهل هذه الأسرة والقرية. يتكلم الكاتب في هذه القصة عن هلاك النائبة وعواقبها، ثم يشير الكاتب إلى أخطاء الحكومة وسقوطها في الدفاع هذا الوباء القاتل. وأيضا لم تمنح الحكومة العلاج الصحيح في المجتمع المصري، وبخاصة في الطبقات السفلى. وهكذا يصور لنا عن أحوال مصر في الكتاب " يقال إن شؤون مصر قد تفترت، وإن حياة مصر قد صلحت فيما يقرب من نصف قرن، ولكن شؤون مصر التي تفترت، وحياة مصر التي صلحت، لم تمنع الوباء من أن يجدد عهده بزيارة مصر "³

قصة رفيق

في هذا العنوان (رفيق) يتحدث طه حسين عن قصة واقعية لزميله (العفريت)، يتكلم الكاتب عن عائلة زميله، وكان أبوه ظابط تركي قديم، ثم يذكر الكاتب عن حياته الجميلة مع زميله في المدرسة، ويحفظ صديقه القرآن ويشاركه في اللعب ويخوض معه في فنون الحديث. يخبر الكاتب عن إصابة تيفوئيد لزميله وبعد أن

¹ طه حسين، المعذبون في الأرض ص : 61

² طه حسين، المعذبون في الأرض ص : 80

³ طه حسين، المعذبون في الأرض ص: 103

مات زميله. فيأكد المصنف بأن الأمراض تدمر كل أحلام الناس وتهلك الأشخاص وأنها أقوى من الموت بعض الأحيان. وأيضا يقول الكاتب عن مرض رفيقه فهذا يؤدي إلى موته. " أصل القاهرة وأسأل عن صاحبي، فأعلم أن حمى التيفوئيد قد أسلمته إلى الموت أثناء الصيف"¹. يهاجي المؤلف الحكومة المصرية وإجراءاتها في تنفيذ العلاج الصحيح للمجتمع المصري، وأن هذه الأمراض قد تستمر في أنحاء البلاد.

قصة صفاء

إن هذه القصة تتحدث عن العائلتين التين تعيشان مع الحب والمودة والسعادة، بدأ العشق في الشخصين (عبد السيد و صفاء) من هذه الأسرتين، في البداية اتفق أعضاء الأسرتين هذه العلاقة، لكن تغيرت أحوال الأمور كما تغيرت أظلال الأشياء، يعارض الكاتب هذا الموقف الفاسد، وأنه يطرح سؤالا أمام القراء ما قيمة الحب؟. في الحقيقة، قد انقطع هذا العشق بالتفاوت مقدار المال فقط، بل يهاجي طه حسين الأثرياء وأن معظمهم يزوجون الفتيات من الطبقات العليا، وهم الذين لا يعتبرون الفتيات الفقيرة من الطبقات السفلى. كما ورد في هذا القصة: ما ينبغي للفقراء أن يحبوا"². ثم يتكلم الكاتب عن زواج (صفاء) فتزوج رجل غني، لكن لم تدم هذه العلاقة طويلا حتى توفي زوجته فأصبحت أرملة. ولذلك يقول الكاتب في آخر القصة "قد عرفنا الموت الذي أقوى قوة من المال والحب جميعا."³

خطر

قد كتب طه حسين في بعض صفحات عن حياة موظف ومشكلاته التي يواجهها في عيشه. يصور الكاتب أحوال الموظف هكذا " وهو على كل حال قبر متحرك، يحيا حياة ظاهرة قلبه ميت"⁴. نظرا لأن راتب الموظف ضئيل جدا بل قد كان في أسرته زوجة وخمسة من الولد بالإضافة إلى ذلك فقد قضت على الموظف ظروف الحياة أن يعول بني أخته وهم ستة، وأن يعول عمه له تقطعت بها أسباب الرزق، فهم إذن أربعة عشر شخصا. لكن راتبه يبلغ عشر جنيا أو أقل من ذلك قليل. ولذلك أن هذه الموظف من موظفي الدولة عاجز على أن يجد في راتبه الضئيل ما يكفي أيسر ما تحتاج إليه أسرته لتعيش. وهذا يؤدي إلى اقتراف الإثم لمعيشة الأسرة الكبيرة. يوضح الكاتب هنا عن عدم أداة سياسية صالحة في مصر وإسراف الأغنياء في أموالهم الخاصة بسبب قلة الضرائب، وكذلك يطلب الكاتب أن تمنح الحكومة المرتبات عالية للموظفي الدولة ليعيشوا حياة طيبة.

القصص التاريخية

¹ طه حسين، المعذبون في الأرض ص: 122
² طه حسين، المعذبون في الأرض ص: 148
³ طه حسين، المعذبون في الأرض ص: 153
⁴ طه حسين، المعذبون في الأرض ص: 159

في الحقيقة، أن طه حسين يريد أن يخبر الحكومة والولاة عن الحياة المثالية من أصحاب رسول الله، وهم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية. أن أصحاب النبي (ص) ليسوا في حياة طيبة وليس لديهم أموالا طائلة ولكنهم متنافسون في مساعدة الفقراء والمعدومين والبائيسين والمرضى. وعلاوة على ذلك أن المؤلف مقتبس بالحياة المثالية من التاريخ الاسلامي تحت هذه العناوين وهي : تضامن وثقل الغنى وسخاء.

تضامن

في هذا الجانب، يقول الكاتب عن موقف عمر(ر) وأعماله في عام الرمادة، وهذه الأيام تضر الناس، ولكن قد نجح المسلمون من هذه المصيبة بموقف أميره لذا جاءت المساعدات والمعونات من الشام ومصر والعراق حتى تجاوز المسلمون هذه الأزمة العنيفة الجائحة. ثم يوضح طه حسين عن أعمال الأمراء في عام الرماد وأفعالهم الصالحة في هذه المصيبة، وأما أمراء وحكام مصر في أيام الوباء ومعاملاتهم القبيحة مع الناس. ثم يقول الكاتب بعد ذلك "ومن حق المصريون الذين صب عليهم الوباء أن يدفع عنهم هذا الوباء".¹

ثقل الغنى

يتحدث الكاتب هنا عن إثارة حديث النبي(ص) على أصحابه وبخاصة عبد الرحمن بن عوف (ر)، وهو غني من أغنياء أصحاب رسول الله (ص)، وأنفق مالا غفيرا في سبيل الله حينما أمر رسول الله (ص) عن صدقة، ومن قول رسول الله(ص) " يا عبد الرحمن بن عوف إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفا، فأقرض الله يطلق لك قدميك".² وكان عبد الرحمن بن عوف كثير المال وعريض الثراء في جاهليته، لكن بعد الهجرة ليس عنده أي مال فأخى النبي (ص) بينه وبين سعد بن الربيع وهو من أغنياء الأنصار، وأن سعد أعطى لعبد الرحمن نصف ماله لكن رفض عبد الرحمن هذا العون، ومع ذلك قد حهد في كسب المال حتى يكون غنيا مثل ما كان قبل الهجرة. وهو كان من أسبق في إنفاق المال في سبيل الله في عهد رسول الله وبعد وفاته.

سخاء

إن طه حسين يستمر في هذه الصفحات أن يبين قصة أصحاب رسول الله (ص)، وهنا يشرح عن موقف طلحة بن عبد الله(ر) وعمله حينما باع أرضا له وأدى إليه ثمنها سبعمائة ألف درهم، فلما حصل المال في داره، فكر غير طويل ثم قال " إن رجلا يمسي وعنده هذا المال لا يدري ما ادخله القضاء من أمر الله لمغرور! ثم أمر فقسم هذا المال على ذوي قرابته وذوي مودته وذوي الحاجة من المسلمين، ولم ينم حتى أنفقه عن آخره".³ هذه الأحداث الثلاثة توضح عن مساعدة الفقراء والمعدمين والبائيسين، وكذلك أنها تخبر عن عدم البخل

¹ طه حسين، المعذبون في الأرض ص: 168

² طه حسين، المعذبون في الأرض ص 174

³ طه حسين، المعذبون في الأرض ص : 186

والاسراف في حياة أصحاب رسول الله (ص)، ومع ذلك أنهم يساعدون الفقراء والمساكين والمعدومين عند الرخاء والضراء. وأنهم أمثال في التبرعات والخيرات، فيكون هؤلاء الأجواد والأسخياء عزاء عن الحراص البخلاء.
مصر المريضة :

في الصفحات الأخيرة يخبر الكاتب تحت عنوان " مصر المريضة" عن فضائل المصر وثروتها وقيمتها ومكانتها في العالم، هذا البلد له نيل يفيض بالنعمة والنعيم، وأرض خصبة وسماء صافية، والسياسة قوية والثقافة قيمة، لكن يطرح الكاتب هذه الأسئلة أمام القراء، وهي ماذا حدثت في هذا الوقت؟ وماذا صنعت مصر؟ وماذا صنع المصريون؟ ويقول المؤلف عن أحوال أهل القاهرة في هذه السطور " أبلغ القاهرة فأرى فيها مثل ما رأيت في الاسكندرية، وإنما الذين تشغلهم أنباء الوباء والسياسة والاقتصاد عن أنفسهم وعن لذاتهم قلة ضئيلة ليس أيسر من إحصائها، فأما عدا هذه القلة فمماضون في حياتهم كما تعودوا أن يمضوا : السنة طوال وعقول قصار وقلوب قاسية كالحجارة بل أشد قسوة"¹ ثم يقول الكاتب إن المصريين بين اثنتين لا ثلاثة لهما : فأما الأول، وهم الذين يعيشون في كل ملذات ورخاء وعندهم قوة وسلطة وثروة وما شبه ذلك. وأما الثاني، وهم الذين يمضون في حياتهم كما ألفوها، لا يحفلون إلا بأنفسهم ولذاتهم ومنافعهم. وليس لديهم أي شيء من القوة والسلطة والثروة وحتى نصيب من الحكومة.

خلاصة القول: إن هذه الحكايات تجسد كثيرا من آلام المصريين في أيام الوباء وبعد انتشاره، وكذلك أن هذا الكتاب يشير إلى أحوال أزمت الحياة المصرية التي واجهتها في مرحلة الأربعينات بالإضافة إلى ذلك فقد فشلت الحكومة المصرية في تنفيذ الإجراءات الوقائية. وأيضا يصور الكاتب صورة شخصيات متعددة في قصصه لضحايا الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مصر، وبعد ذلك يضيف الكاتب تاريخ أصحاب رسول الله (ص) إلى هذه الحكايات من أجل أن يكون قدوة للمجتمع المصري.

المصادر والمراجع

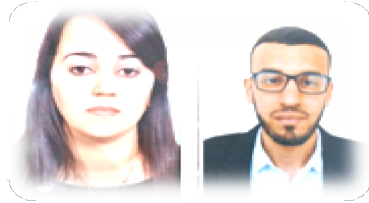
- 1 أنور الجندي - طه حسين حياته وفكرته في ميزان الإسلام
- 2 د. مورو- تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى ثورة 1952
- 3 طه حسين، المعذبون في الأرض، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت.
- 4 الموقع الإلكتروني – elqeel3arabiyah.blospot.com

¹ طه حسين، المعذبون في الأرض ص: 196

حضور المرأة في أدب الرحلة

رحلة ابن فضلان

(رسالة ابن فضلان " في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة " أنموذجاً)



باحث الدكتوراه: لخضردين¹ / د. أمينة بلهاشي²

(مقالة مشتركة)

Abstract : This study aims to search for the extent of women's participation in the formation of traveling work, through disclosure on the several roles that she played in "IbnFadlan journey" that it stopped us to the fact that no traveller can neglect mentioning her and her positive or negative effect and a vital component in narrating and describing events and facts. How is the presence and role of women embodied in the text of IbnFadlan's journey?

Key words: attendance, women, travel literature, IbnFadlan's journey.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة للبحث عن مدى حضور وإسهام المرأة في تشكيل العمل الرحلي من خلال الكشف على عديد الأدوار التي قامت بها في رحلة "ابن فضلان"، والتي أوقفنا على حقيقة مفادها أنه لا يمكن لأي رحالة أن يهمل في عمله الرحلي ذكرها وصنيعها إيجاباً أو سلباً، باعتبارها عنصراً أساساً في بناء نصوص الرحلات، ومكوناً حيويّاً في لسرد ووصف الأحداث والوقائع. فكيف تجسد حضور المرأة ودورها في نص رحلة "ابن فضلان".

الكلمات المفتاحية: الحضور، المرأة، أدب الرحلة، رحلة "ابن فضلان".

¹جامعة عين تموشنت-الجزائر

²المركز الجامعي بالنعامة-الجزائر

المقدمة: عرف الإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض بحبه للحركة والتنقل - أي الترحال -؛ فهو يرى فيها وسيلة لإشباع فجوة يسد بها شيئاً في داخله، ولذا نجد أن كلمة الرحالة إذا أطلقها الناس على أحد من البشر فإنهم بذلك يمنحونه لقباً، وعليه اهتم الناس بالرحلة وبأصحابها لاعتبارها ضرباً من ضروب الحقيقة المطلقة لما فيها من أفكار وتطلعات، لذا امتزجت الرحلة بالأدب شعره ونثره، فتكوّن ما يعرف بأدب الرحلة أو أدب الرحلات على غرار التسميات الأخرى، إذ أن العصر الذي شهد وضوح معالم التأليف في هذا الأدب العصر العباسي (القرن 3 و4هـ/9 و10م)؛ لذا عدّ هذا الجنس من بين أهم الأجناس التي ظهرت في الأدب العربي على اختلاف المقاصد والغايات، على يد عدد من الرحالة العرب والمسلمين من أمثال: "أحمد بن فضلان بن العباس (الذي عاش خلال القرن الرابع هجري) ومؤلفه الرحلي الذي ذاع صيته المسمى بـ: "رسالة ابن فضلان" أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد" في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة"، وقد شكلت المرأة عنصراً أساساً في بناء نصوص الرحلات، ومكوناً حيويّاً لسرد ووصف الأحداث والوقائع؛ ولذا تميزت متون الرحلات بحضور الأنثى فيها حضوراً فاعلاً ومؤثراً في مشاركتها في الفن السردى على وجوه متنوعة ومستويات متعددة من خلال أدوارها، وذلك وفق التكوين الثقافي والاجتماعي للمجتمعات التي زارها الرحالة، ومن المتون الرحلية التي حضرت فيها المرأة بقوة وبزرت أدوارها بروزاً واضحاً نص الرحالة "ابن فضلان".

1. مفهوم الحضور:

1.1. لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (ح ض ر): "الحضور: نقيض الغيب، والغيبة، حَضَرَ يَحْضُرُ حُضُورًا وحِضَارَةً، ويُعدى فيقال: حَضَرَ حَضْرَهُ وحَضْرَهُ يَحْضُرُهُ، وهو شاذ، والمصدر كالمصدر، وأحضر الشيء وأحضره إياه، وكان ذلك بحَضْرَةِ فلان وحَضْرَتِهِ وحَضْرَتِهِ، وكلمته بحَضْرَةِ فلان وبمَحْضَرٍ منه أي بمَشْهَدٍ منه..."¹

2.1. اصطلاحاً:

يدل هذا المصطلح على مفهومين؛ مفهوم مادي وآخر معنوي؛ فالأول: يتجسد من خلال أن يكون الشيء مرئياً ملموساً ومادياً، ويمكن إدراكه بسهولة في تفاصيله وهيكلته، وأما الثاني: فيتجسد من خلال الحضور الذهني الفكري، وهو أن تكون صورة الشيء موجودة في الذهن يدركها إدراكاً مباشراً أو إدراكاً نظرياً.² ويعرف كذلك

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد: 4، دط، دت، ص 196، مادة (حض).

² ينظر: مجلة علم المكتبات، سعاد تبيرت، حضور الإنتاج العلمي لأساتذة علم المكتبات والتوثيق وفي الويب، دراسة حالة جامعة الجزائر 2، جامعة قسنطينة 2، جامعة وهران، العدد: 7، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص 2.

على أنه: "يدل على إمكانية إحصار أو رؤية شيء بطريقة واضحة في فضاء معين، بحيث يرتبط هذا الحضور بالشروط البيولوجية والتقنية لكل فرد من أفراد المجتمع، ومنه يعتبر الحضور مرتبطاً بكل ما هو اجتماعي".¹

2. مفهوم كلمة امرأة:

1.2. لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "امرأة تأنيث امرئ، وقال ابن الأنباري: الألف في امرأة وامرئ ألف وصل، قال: وللعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امرأته وهي مَرَأَتُهُ وهي مَرَّتُهُ (...)."²

كما عرفها "هادي العلوي": "مرأة مؤنث مرء، وهي في السامية القديمة مرا ومؤنثه مرأة ويعني السيد المولى (...). وهو في السريالية (مار) ويلقب به شيوخ الدين (...). وتورمعناه ولفظه في العربية إلى مرء ومرأة ويعني الرجل وأنتاه (...). وتدخل "ال" التعريف على المرأة والمرء ولا تدخل على امرأة إلا في الشواذ وجميع المرأة نساء، ونسوة ونسوان، والنسبة إلى الجمع نسائي ونسوي ونسواني والنسوان هي الدارجة في لغة الكلام المعاصر".³

2.2. اصطلاحاً:

اختلفت وتنوعت التعريفات الاصطلاحية للفظ المرأة، ومن بين تلك التعريفات نجدها تعني: "هي أنثى الإنسان البالغة، كما الرجل هو ذكر الإنسان البالغ (...). وتستخدم كلمة "امرأة" لتمييز الفرق الحيوي (البيولوجي) بين أفراد الجنسين أو للتمييز بين الدور الاجتماعي بين المرأة والرجل في الثقافات المختلفة".⁴

3. مفهوم أدب الرحلة أو أدب الرحلات - بكسر الراء :-

مصطلح أدب الرحلة من المصطلحات التي ذاع صيتها في الوسط الأدبي، حتى أنه يسهل على أي باحث أن يعطي تعريفاً له، وعلى هذا الأساس اختلف وتعدد مفهوم هذا المصطلح لدى الدارسين، ولم تكن الرحلة لترتبط بالأدب إلا لغرض، الذي هو من وجهة نظر أن الرحالة وجدوا في الأدب مادة تمكّنهم من نقل ووصف كل ما يمكن نقله ووصفه من مواقف ومشاهد خلال رحلاتهم، ومنه عُدَّ أدب الرحلة من أهم الأجناس الأدبية التي ظهرت في الوسط الأدبي حتى قيل: "الرحلة هي إحدى الأشكال الكبرى الأم في الأدب".¹، وها هو "عمر بن قينة" يعرف "أدب الرحلة" بذلك النوع الأدبي السردى الشبيه بالقصة الذي يعتمد على الوصف الذي يحتاج إليه في جميع المجالات، يقول:

¹ المرجع نفسه، ص 2.

² ابن منظور، لسان العرب، المجلد: 1، المرجع نفسه، ص 156، مادة (مرأ).

³ آمال فلاح وآية زياد، الأنساق الثقافية في الرواية النسوية السعودية "بنات الرياض لرجاء عبد الله الصانع أنموذجاً"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر، إشراف: أ. يمينه بن سويكي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 1438 - 1439 هـ / 2017 - 2018 م، ص 7 - 8.

⁴ جنان التميمي، مفهوم المرأة بين التزليل وتأويل المفسرين، شبكة اللغويات العربية، دط، 2009، ص 8.

"هي لون أدبي ذو طابع قصصي فيه عموماً للمؤرخ من الباحث في الأدب والجغرافيا وعالم الاجتماع وغيرهم، كما هو ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف وأوضاع، وفي اكتشاف معالم وأقطار ووصفها والحكم عليها وعلى المجتمع".²، وأيضاً عرف هذا الأدب بأنه: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة. وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد".³

4. ابن فضلان:

1.4. حياته:

من الأشياء التي حفظتها المصادر والمراجع العربية والأجنبية على أن "ابن فضلان" هو: "أحمد بن فضلان بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة".⁴، وقيل هو: "أحمد بن فضلان بن العباس، كان مولى لأحد الخلفاء العباسيين وللقائد محمد بن سليمان الذي أفلح في القضاء على الدولة الطولونية. أرسله الخليفة العباسي المقتدر بالله في بعثة إلى ملك البلغار الشرقيين (309هـ/921م) بعد أن أسلم الملك وكتب إلى الخليفة يسأله أن يبعث من يفقه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام".⁵، وأن تاريخ ومكان مولده لم يعرف بالتحديد، بالرغم من أنه كان حياً عام 309هـ - تاريخ انطلاق الرحلة -، وكان يعيش في موطن الخلافة العباسية وبالضبط في بغداد، وبهذا يكون عاش في عصر عرف بعصر القوة من جميع الجوانب، ألا وهو العصر العباسي في بيئة عرفت بعلمائها وأدبائها وحضارتها وقوة الكلمة وجودة التأليف. لهذا فإنه يحتمل أن يكون "ابن فضلان" ذا ثقافة عالية بعامل العصر والبيئة الذي كان يعيش فيهما، وقد صرح صاحب "أكلة الموتى" "مايكل كرايتون" بهذا صراحة على أن "ابن فضلان" كان ذا ثقافة وتعلم كبيرين، بحكم أن بغداد في زمانه - أي القرن الثالث للهجرة - كانت ذات حضارة كبيرة وتقدم وازدهار كبيرين في جميع الجوانب وبخاصة في الجانب الأدبي والفكري، فقد كان الأدباء والمثقفين يأتيها من كل صوب وناحية.⁶ هذا من جانب، ومن جانب آخر، فهناك احتمال أن يكون رحلنا فقهما وأديبا وعالم عمران؛ لأن الفقه تمثل في المهمة التي كلف بها من طرف الخليفة المتمثلة بإرساله إلى بلاد الصقالبة وهي مهمة تفقيه الناس في دينهم - كما هو موضح في نص الرحلة الذي سيأتي لاحقاً بيانه -، وأديبا بحكم

¹ شعيب حليبي، الرحلة في الأدب العربي، مكتبة الأدب المغربي، دط، 2002، ص 68.

² مغيش حالم: الخطاب النقدي عند عمر بن قينة من خلال كتابه في الأدب الجزائري الحديث، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستري تخصص النقد الأدبي ومصطلحاته، إ/د. أحلام معمري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013 - 2014، ص 49.

³ جان عبد الله توما، أدب الرحلة والرحالون العرب، شركة المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 1، 2014، ص 5.

⁴ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دارالصادر، بيروت، المجلد 2: دط، دت، ص 397، مادة "خوارزم".

⁵ مجموعة من المؤلفين والعلماء: الموسوعة العربية المسيرة، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1، 2010م/1431هـ، ص 43، حرف "الألف".

⁶ ينظر: مايكل كرايتون، أكلة الموت عن مخطوط ابن فضلان، دار الهلال، ط 2، 1999م، ص 15-16.

نص هذه الرحلة الذي بين أيدينا، وعالم عمران بحكم المهمة الثانية التي أوكلت له من طرف الخليفة نفسه وذلك ببناء الحصن المنيع الذي يحصن أهل الصقالبة وحمايتهم من الأعداء الكفار.

2.4. شيوخه وتلاميذه:

من المستبعد عدم وجود شيوخ تتلمذ "ابن فضلان" على أيديهم، أو عدم وجود تلاميذ أخذوا عنه؛ فلولا وجود شيوخ وتلاميذ له لما احتل مكانة في زمانه ولما وُكِّلت إليه مهمة قائد الرحلة إلى بلاد الصقالبة من طرف الخليفة.

3.4. آثاره:

يعدّ النص الرحلي المسمى بـ "رسالة ابن فضلان" أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد" في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة (309هـ - 921م)؛ هو الأثر الوحيد الذي تركه "ابن فضلان: والذي ألفه أثناء عودته من رحلته ولكنه من غير المعقول في رأينا أن لا تكون له مؤلفات أخرى، فطبيعة العصر الذي عاش فيه هو عصر قوة من كل الجوانب - كما أشرنا سابقا - فلربما كان قد ألف كتباً شتى ولكنها ضاعت إما بسبب تعرضها للحرق - بفعل الحروب التي شهدتها بغداد وخاصة من طرف الرومان -، وإما كانت عرضة للسرقة، وإما تعرضت للتزييف - وذلك كأن ننسب كتاب غيرنا إلى شخص دون أن يؤلفه هو.

4.4. وفاته:

لا يعرف يعرف تاريخ وفاته، ولا أين توفي، ولا حتى مكان دفنه.

5. موقع رحلة ابن فضلان منها:

أخذت رحلة "ابن فضلان" موقعا مهما من هذه الدوافع والأنواع؛ إذ أن أغلب الباحثين يجمعون ويبرهنون على أن هذه الرحلة هي من الرحلات السفارية، وهذه الأخيرة تعني تلك: "الرحلات التكليفية الرسمية التي تصدر عن السلطة السياسية الحاكمة والتصرف عليها، وتأخذ قيمتها وهيبتها من قيمة أمرها وباعثها".¹ أو هي: " تلك الرحلة التاريخية الواقعية قامت بها ذات تاريخية (ذات الرحالة) برغبة غيره (أمر الخليفة أو الحكومة لإرسال برقية ما أو استكشاف منطقة ما، وما تتضمنه من أنساق ثقافية واجتماعية واقتصادية)، وتمثلت بالانتقال داخل الفضاءات الجغرافية في إطار زمني محدد البداية والنهاية (زمن الرحلة) (...) "²، وهي أيضا كما يقول صاحب كتاب "الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي" جمال الدين فالج الكيلاني "أنها: "أشبه بوفود تبعثها

¹ مكي سعد الله، الأنا والآخر في أدب الرحلة. دراسة نقدية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث، إ/د: الطيب بودريالة، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة 1، الجزائر، 1438 - 1439هـ/2016 - 2017م، ص 184.

² أحمد خولي، بنية الخطاب في الرحلة السفارية (رحلة ابن فضلان أنموذجا)، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد: 33(10)، قسم اللغة والعربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2019، ص 1608.

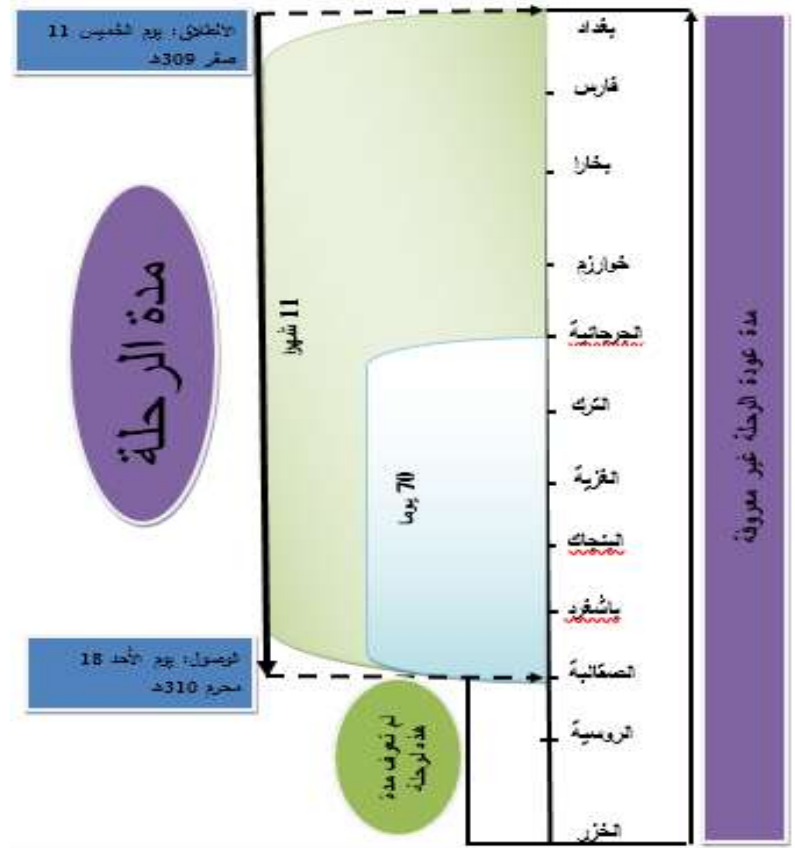
السلطات والحكومات على الأقطار والممالك وتحملها مسؤوليات ومهمات تقوم بها إما سياسية أو ثقافية أو دينية أو اقتصادية أو استطلاعية.¹

من خلال هذا يتبين أن رحلة "ابن فضلان" هي من نوع الرحلات السفارية، ودليل ذلك أنها كانت رحلة تكليفية من طرف حاكم بعد أن أرسلت إليه رسالة من قبل حاكم آخر لإرسال له وفد يعينه في ظرف خاص، فكان "ابن فضلان" على رأس هذا الوفد المأمور المكلف من طرف الحاكم؛ لذلك عدت هذه الرحلة من النوع السفاري.
6. ملخص الرحلة:

تحكي هذه الرحلة عن ملك يدعى بـ "ألمش بن يلطوار" ملك الصقالبة، أرسل بطلب إلى الخليفة العباسي "المقتدر بالله" يدعو فيه أن يعينه بإرسال بعثة تفقه في الدين وتعرفه شرائع الإسلام، تبني له مسجداً، وتنصب له منبرا ليقوم عليه الدعوة في مملكته وتبني له حصنا يتحصن به من الملوك المخالفين الأعداء له، وهذا الطلب أرسل مع شخص يدعى بـ "عبد الله ابن باشتو الخرزي" - الذي كان فيها دليل طريق "ابن فضلان" وأصحابه في الذهاب إلى الصقالبة -، وبعد الاستماع لهذا الطلب وافق "المقتدر بالله" ووزيره "نذير الخرمي" بإرسال وفد يتكون من أربعة أشخاص هم: الأول: "سوسن الرسي" مولى الوزير "نذير الخرمي" الذي يبدوا من اسمه أنه روسي الأصل، و"تكين التركي" نسبة إلى الترك و"بارسالصقالي" نسبة إلى الصقالبة، و"ابن فضلان" قائد الرحلة كما قال: "وأنا معهم"² ولعل هذا التنوع في الأصول كان مقصودا لغرض الترجمة لقائد الرحلة "ابن فضلان" أثناء سيره التي يحمل أبناءها غير لغة "ابن فضلان"، والمخطط الآتي يوضح الأهم البلدان التي دخلها ابن فضلان وأصحابه في رحلتهم، أو بتعبير آخر مسار الرحلة ومدتها وصولهم إلى بلاد الصقالبة، وفي كل منطقة من المناطق التي عبرها إلا ونجده يتحدث ويصف ما عاينه ورآه من أشياء في رسالته هذه:

¹ جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي (دراسة تاريخية)، دار الزينة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 2014، ص 39.
² "المقتدر بالله: هو جعفر بن أحمد المعتضد، ولد عام 282هـ، بوع بالخلافة وعمره لم يتجاوز الثلاث عشرة سنة، وذلك عام 295هـ، كان معطاء جوادا، وله عقل جيد، وفهم ثاقب، وذهن صحيح، وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوظائف، وكان كثير التنقل بالصلاة والصوم والعبادة، في عهده قام بإبطال الخمر، وإشاعة العدل، كانت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة، وقد عاش ثمانيا وثلاثين سنة، توفي عام 320هـ. مجلة الوعي الإسلامي، خلفاء العصر العباسي 132 - 656هـ / 749 - 1258 م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مجلة شهرية، دط، 1427هـ/2006م.

² أحمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان فضلان "أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد" في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ. 921م"، تحقيق سامي الدهان، مطبوعات المجمع العربي، دمشق، سوريا، دط، دت، ص 79.



7. حضور المرأة في رحلة "ابن فضلان":

1.7. تمهيد:

تعدّ الشخصيات سواءً أكانت واقعية أم خيالية من بين أهم العناصر الأساسية التي يَنبني عليها العمل الأدبي الرحلي، وخاصة إن كان هذا الأخير شبيهاً بالقصة فالشخصيات هي قوام هذا العمل، ودليل ذلك أن الرحالة إذا حول رحلته إلى نص فإنهم ملزمون بذكرها ولا يمكن له أن يستغني عنها، زيادة على ذلك أن عنصر الوصف الذي يهيمن على أغلب الأعمال الرحلية يفرض وجود شخصيات ليصفها، كما أنه منها يستطيع أن يرسم للقارئ أن صاحب العمل الرحلي الفلاني كان ملماً بجميع عناصر هذا العمل، وأنه كان ذا ملاحظة دقيقة لما مر به من أماكن، وصولاً لمبتغاه.

ومن هذا المنطلق، فالشخصيات تلعب دوراً مهماً في بناء الأعمال الرحلية، سواءً تعلق بدورها الجمالي في هذا الأدب الذي يجعل المتلقي يتفاعل مع النص، كأن تتمثل هذه الجمالية في تحريك عملية السرد والوصف وغيرهما، أو كفكرة عرضها الكاتب أثناء وصفه لرحلته كأن يقوم الرحالة بوصف شعوب في مناطق مختلفة، ومن الشخصيات التي نجد لها دوراً إيجابياً في أدب الرحلة شخصية المرأة، إذ أن أغلب الأعمال الرحلية لا تكاد تخلو من

هذه الشخصية المهمة، باعتبارها شخصية بارزة في بيان عدة أدوار، ومن الإنتاجات الرحلية التي لم تهمل الحديث عن المرأة المؤلف الذي تركه لنا "ابن فضلان" المعنون بـ: "رسالة ابن فضلان: أحمد ابن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد في وصف بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة (سنة: 309هـ/921م)" المحققة من قبل الدكتور: "سامي الدهان".

وتمهيدا لبيان هذا الدور سنقوم بدراسة إحصائية للفظه امرأة وما يعادلها في المعنى وذلك أنه يمكن أن نجد ألفاظ تصب في نفس معناها بعدم الخروج عن كونها امرأة كالألفاظ التالية: نساء، جارية، أم، زوجة، نبت أخت، عجوز أو باسم ملك الموت التي هي نفسها العجوز إلى غير ذلك، وصولاً في ذلك إلى الأدوار المختلفة المستنتجة التي لعبتها في وصفه لهذه الرحلة وعليه فالألفاظ التي تدل على جنس المرأة ذكرت في حوالي إحدى وسبعين موضعاً.

لقد توزعت الألفاظ على النحو الآتي:

1. لفظه امرأة:

ذكرت في عشرين موضعاً بنسبة 28.16% في الصفحات التالية: "في الصفحة (92) ذكرت مرة واحدة، في الصفحة (94) ثلاث مرات، الصفحة (101) مرتين ومثلها في الصفحة (115)، في الصفحة (135) ثلاث مرات، الصفحة (143) مرة واحدة ثلاث مرات في الصفحة (150)، مرة واحدة في الصفحة (158)، ومرتين في كل من الصفحة (161) و(171)".

2. لفظه نساء:

ذكرت في ثمانية مواضع بنسبة 11.26%، في كل من الصفحات التالية: "مرة واحدة في كل من الصفحة (79) و(92) و(115) و(143) و(151) و(171)، ومرتين في الصفحة (134)".

3. لفظه جارية*:

وردت في ستة وعشرين موضعاً بنسبة 36.61%، توزعت كما يلي: "في الصفحة (93) و(93) مرة واحدة، مرتين في الصفحة (151)، مرة واحدة في الصفحة (153) أربع مرات في الصفحة (156)، ثلاث مرات في الصفحة

(157)، مرة واحدة في كل من الصفحة (158) و(159) و(160) و(161)، مرتين في كل من الصفحة (162) و(163) مرة واحدة في الصفحة (164)، وثلاث مرات في الصفحة (165)."
4. لفظة أم: نجدها في موضعين من الصفحة (94)، وهي بنسبة 2.81%.
5. لفظة زوجة: وردت في موضعين: في الصفحة (94) و(144)، ونسبتها المئوية هي نفس النسبة التي سبقتها؛ أي بنسبة 2.81%.

6. ألفاظ أخرى تدل على أنها امرأة أو ما يعادل معناها:

نجد لفظة "حامل"^{**} وردت مرة في الصفحة (139) بنسبة 1.40%. واسم العجوز التي تدعى بملك الموت التي وردت في ستة مواضع: في أربعة منها باسم "ملك الموت في كل من الصفحات: (158) و(162) مرة واحدة وكذا في الصفحة (161) مرتين، وباسم العجوز في كل من الصفحتين (161) و(162) مقدرة بنسبة 8.45%. ولفظتي ابنة (ابنته) وأخت (أخته) في الصفحة (93) بنسبة 2.81%. وألفاظ ثلاثة هي: ابنه ملك الصقالبة، وهي مسلمة. مقصود بها ابنة ملك الصقالبة والآخر وهذه الأخرى هي بنت ملك الصقالبة الأخرى أخت الأولى - جميعها ذكرت في الصفحة (145) وهي بنسبة 4.22%. وجون بيرة^{***} مرة واحدة في الصفحة (158) مقدرة بنسبة 1.40%.

فمن خلال هذه المواضع التي وردت فيها اللفظة، يتبين لنا فعلاً أن للمرأة أدواراً مختلفة لعبتها في هذا العمل الرحلي، وحسب اجتهاداتنا الشخصية فقد حصرنا تلك الأدوار: دور المرأة كزوجة والسيدة، ودورها كخادمة ومخدومة، ودورها كمخدوعة وخادعة، ودور المرأة كجاهلة، ودورها كمظلومة والمسلمة، إلى غيرها من أدوار آخرى سيأتي عرضها لاحقاً - ومن خلال هذه الأدوار سنحاول تبين ما لهذه الشخصية من إيجابية أضفتها على هذا العمل خاصة وأدب الرحلة عامة.

2.7. دور المرأة في رسالة "ابن فضلان":

في هذا العنصر الأخير من هذا البحث سنحاول الوقوف على بعض الأدوار التي استنتجت من هذه الرحلة، وهي كالآتي:

1.2.7 دور المرأة كأمراة للرجل وكزوجة للرجل:

قد يتساءل سائل: هل يوجد فرق بين امرأة للرجل الفلاني وبين زوجة للرجل الفلاني؟ أو العكس؛ أي الفرق بين امرأة للزوج الفلاني وبين زوجة للزوج الفلاني؟.

^{*} لفظة "حامل" كما هو شائع عند أهل اللغة تطلق على المرأة الحبل.
^{**} جون بيرة: أي شابة عجوز. أو هي بمعنى الساحرة.

والإجابة هي ب: نعم يوجد فرق بينهما؛ ودليل ذلك هو عند استقراء الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر اللفظتين (أي امرأة وزوجة)، نلاحظ أن لفظ زوجيطلق على المرأة إذا كانت الحياة الزوجية تامة بينها وبين زوجها، وكان التوافق والاقتران والانسجام تاماً بينهما، بدون اختلاف ديني أو نفسي أو جنسي... فإن لم يكن التوافق والانسجام كاملاً، ولم تكن الحياة الزوجية متحققة بينهما فإن القرآن يطلق عليها "امرأة" وليست زوجاً، كأن يكونا اختلاف ديني عقدي أو جنسي بينهما... ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكَرُونَ﴾ [سورة الروم: 21]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان: 25]، وبهذا الاعتبار جعل القرآن حواء زوجاً لآدم ، في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة: 35]، وبهذا الاعتبار جعل القرآن نساء النبي ﷺ أزواجاً له، في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: 6] هذا من جانب، ومن آخر إذا لم يتحقق الانسجام والتشابه والتوافق بين الزوجين لمانع من الموانع فإن القرآن يسمي الأنثى "امرأة وليس زوجاً"، قال القرآن: امرأة نوح ، وامرأة لوط ، ولم يقل : زوج نوح أو زوج لوط ، وهذا في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [سورة التحريم: 10]؛ إنهما كافرتان مع أن كل واحدة منهما امرأة نبي، ولكن كفرها لم يحقق الانسجام والتوافق بينها وبين بعليها النبي. ولهذا ليستزوجاً له، وإنما هي امرأة تحته؛ ولهذا الاعتبار قال القرآن: في امرأة فرعون، في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة التحريم: 11]؛ لأن بينها وبين فرعون مانع من الزوجية، فهي مؤمنة وهو كافر، ولذلك لم يتحقق الانسجام بينهما، فهي امرأته وليست زوجته (...)¹.

فهذا الدور حمل شيئاً لافتاً للانتباه، الذي هو أن "ابن فضلان" في كثير من المواضع أقرن لفظ المرأة بالرجل سواءً أكانت اللفظ مفرداً أم مجموعاً كلفظي: امرأته، نساءهم من غير أن يقول زوجة التي وردت في موضعين فقط من هذا النص؛ وهذا إن كان يدل على شيء فإنما يدل على أن "ابن فضلان" كان يعلم جيداً المعنى والفرق من كلمتي "المرأة - بصيغة المفرد - أو نساء ونسوة ونسوان وغيرها - بصيغة الجمع -" و"الزوجة" والفرق بينهما أو العكس؛ ودليل على تمكنه اللغوي في متى يوظف الكلمتين، وأيضا دليل على أن هاتين اللفظتين كان لهما معنى كبير في ذلك العصر، وبيانا لهذا الفرق نجد قوله عندما نزل عند الغزيين^{**}: "ولقد نزلنا يوما على رجل منهم

¹ملتقى أهل التفسير، الفرق بين المرأة والزوجة في القرآن الكريم.

<https://vb.tafsir.net/tafsir25689/#.XlqDah9KjIV>

^{**}الغز: حدود ديارهم ما بين الخور وكيمالك. سكنوا الغزيين منذ القرن الرابع قرب بخارا ومشوا على أطراف الفولغا.

فجلسنا، وامرأة الرجل معنا، فبينما هي تحدثنا إذ كشفت فرجها. ونحن ننظر إليها فسترنا وجوهنا، وقلنا: "أستغفر الله" فضحك زوجها، وقال للترجمان: "قل لهم (...) هو خير من أن تغطيه وتمكن منه".¹
فهذا القول يحمل صورتين: أولها: صورة المرأة متحررة فكريا ودليل ذلك بكشفها لفرجها لهؤلاء الرجال التي لا تعرف عنهم شيئا، أما ثانيها: جسدت لنا أخلاق هؤلاء الرجال المستغفرين.

ويقول عنها في نفس المنطقة: "وإذا مات الرجل وله زوجة وأولاد تزوج الأكبر من أولاده بامرأته إن لم تكن أمه (...)".² ويقول عنها عندما نزل عند "أترك بن القطغان": "فرأيت امرأته وقد كانت امرأة أبيه (...)".³
ففي هذين القولين نجد أن "ابن فضلان" قد أكد صحة قوله في الجملة الأولى بالجملة الثانية، إذ أعطت هذه الأخيرة جودة في الوصف ودقة الملاحظة لديه، وكذا تحول دورها من القولين من زوجة للأب لامرأة لابن.. ومنهما نجد أن المرأة لعبت دورين آخرين ثانويين من الدور الرئيس الذي يدل عليه عنوان: دور المرأة كامرأة للرجل وكزوجة، ألا وهو تحول الدور من زوجة بكمالها إلى امرأة ناقصة لابن.

كما روى لنا صاحب الرسالة قصة عند نزوله في بلاد الصقالبة؛ وهي قصة إسلام رجل منهم على يده يقال له "طالوت" وامرأته وأمه وأولاده، يقول: "ولقد أسلم على يدي رجل يقال له "طالوت" فأسميته "عبد الله" (...) وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم "محمد" (...)".⁴

من خلال هذا القول أراد "ابن فضلان" حقا أن يثبت أن رحلته هذه لم تكن لتتزه بل فاقت ذلك لتشمل إدخال الناس إلى الإسلام؛ لأن الدافع الأساس الذي كان وراءها هو تعليم الناس مبادئ دينهم، وهذا ما تحقق له عندما نزل عند ملك الصقالبة الذي وجه الدعوة له ولأمثاله من أجل تعليم الناس مبادئ الدين الإسلامي، فكان هذا الدور بمثابة خطوة تبريرية للخليفة أنه فعلا قام ولو بشيء مما كلف به من قبله ليتحقق له هذا التبرير وذلك بإدخال هذا الرجل وامرأته ومن يعولهم إلى الإسلام، ومنه كان لامرأة الرجل في هذا الدور فضل في نشر هذه الرسالة الإسلامية وذلك بدعوتهم إليه وتعليمهم مبادئه.

كما بين لنا هذا الدور في هذه الرحلة كيف تكون مراسيم الجنازة عند أهل الصقالبة عند وفاة زوج المرأة الخوارزمية، يقول: "وإذا مات المسلم أو زوج المرأة الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين، ثم حملوه على عجلة تجره،

¹ أحمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان فضلان "أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد" في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ - 921م، المرجع نفسه، ص 92.

² المرجع نفسه، ص 92.

³ المرجع نفسه، ص 115.

⁴ المرجع نفسه، ص 135.

وبين يديه مطرد* حتى يصيروا به إلى مكان يدفنونه فيه. فإذا صار إليه أخذوه عن عجلة وجعلوه على الأرض، ثم خطوا حوله خطا ونحوه، ثم حفروا داخل ذلك الخط قبره، وجعلوا له لحدا، ودفنوه.¹ فالمتأمل لهذا القول يجد في ثناياه كلمة "زوج المرأة المخزومية"، وهذا إن كان يدل على شيء فهو يدل على أن هذا الرجل اتصف بالكمال لذلك سمي بالزوج في حين امرأته اتصفت بالنقص لذلك سميت بامرأته لا بزوجته. كما بينت المرأة في قول آخر المكانة التي كانت المرأة تحتلها في تلك المجتمعات التي مر بها "ابن فضلان"، ومن أمثلة ذلك ما نجده في قوله أثناء نزوله عند ملك الصقالبة بعد أن قرئ

كتاب الخليفة العباسي "المقتدر بالله": "ثم أخرجت الهدايا من الطيب والثياب واللؤلؤ له ولامرأته. فلم أزل أعرض عليه وعليها شيئا حتى فرغنا من ذلك. ثم خلعت على امرأته بحضرة الناس، وكانت جالسة إلى جنبه وهذه سنتهم وزيمهم فلما خلعت عليها نثر النساء عليها الدراهم وانصرفنا."² وكذا وصفه الالاف للانتباه لأزواج الروس، يقول: " وكل امرأة منهم فعلى ثديها حقة مشدودة إما من حديد وإما من فضة، وإما من نحاس، وإما من ذهب، على قدر مال زوجها ومقداره(...) وفي أعناقهن أطواق من فضة وذهب؛ لأن الرجل إذا ملك عشر آلاف درهم، صاغ لامرأته طوقا، وإن ملك عشرين ألفا صاغ لها طوقين، وكذلك كل عشرة آلاف يزدادها دوقا لامرأته. فربما كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة."³

هذه كانت بعض التمثيلات المتعلقة بهذا الدور، التي من خلالها يتبين أن "ابن فضلان" كان يعلم جيد الفرق بين كلمتي: "امرأة للرجل أو زوجة للرجل أو العكس" ومتى يقوم بتوظيفهما في كلامه.

2.2.7. دور المرأة كجاهلة لاواعية منخدعة:

يروى لنا صاحب الرسالة في صفحات تحدث فيهن عن أهل "الروس" قصة غريبة عن مراسيم لقتل جارية اختارت الموت مع سيدها، يقول: "فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه: "من يموت معه؟" فقالت إحداهن: "أنا". فوكلوا بها جارتين تحفظانها وتكونا معها حيث سلكت، حتى أنهما ربما غسلتا رجلها بأيديهما. وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له، وإصلاح ما يحتاج إليه. والجارية في كل يوم تشرب وتغني مستبشرة."¹ وتمثل هذا الجهل واللاوعي في الجارية: أولا في جهلها لمصيرها الذي سيكون القتل الشنيع ظنا منها أنها ستموت بطريقة إلا أنها تموت بطريقة أخرى أفضع، وثانيا بعدم الوعي بما سيحل بها لفعل الشراب الذي قام

*المطرد: بكسر الميم وسكون الطاء؛ وهو الراية واللواء.

¹المرجع نفسه، ص143.

²المرجع نفسه، ص115.

³المرجع نفسه، ص150.

بعمله في عقلها ودليل ذلك أنها كانت تجهل الكثير من الأشياء في طريقة موتها الأليم مع سيدها ومن ذلك قوله: "فلما كان اليوم الذي يحرق فيه هو والجارية، حضرت إلى النهر [الذي] فيه سفينته، فإذا هي قد أخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الخدنك وغيره وجعل أيضا حولها مثل الأنانير الكبار من الخشب (...)"² ثم يبدأ بوصف مراسيم هذا القتل حتى يصل إلى أن هذا الجهل واللاوعي دفعها للاعتقاد أنها ستكون بطلة في نظروهم من هو شاهد على هذا القتل، وأنها ستدخل الجنة مع سيدها وأهله، يقول صاحب الرسالة: "فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاءوا بالجارية إلى شيء قد عملوه مثل ملبن الباب فوضعت رجلها على أكتف الرجال، وأشرفت على ذلك الملبن وتكلمت بكلام [لها]، فأنزلوها ثم أضعدها ثانية (...) ثم أنزلوها وأضعدها ثالثة (...) فسألت الترجمان عن فعلها فقال: "قالت في أول مرة أضعدها [هوذا أرى أبي وأمي] وقالت في الثانية: هوذا [أرى] جميع قرابي الموتى [قعودا، وقالت في المرة الثالثة: هوذا أرى مولاي قاعدا في] الجنة [والجنة حسناء خضراء] ومعه الرجال [والغلمان وهو يدعوني] (...) "³ فالسبب الرئيس الذي كان وراء هذا الجهل واللاوعي والإقبال على الموت هو خداعها هي والجواري والغلمان الذين يخدمون سيدها ما وذلك بتطبيق هذه الخدعة الشنيعة المتمثلة في أنها: تقتل بالخنق لا بالحرق كما وهم لها ودليل ذلك في قوله: " (...) وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلا [مخالفا ودفعته] إلى الاثنين ليجدباها. و أقبلت ومعها خنجر عريض النصل، [فأقبلت تدخله] [بين أضلاعها موضعا موضعا وتخرجه] والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت."⁴ وأيضا خدعة ثانية تتمثل في خداع الجواري الأخريات اللاتي يراقبن المشهد ظنا منهن أن هذه الجارية تقتل من دون أن تشعر بالألم بسبب خدعة طبقت عليهن من طرف الرجال حتى لا يسمع صوت هذه الجارية والألم التي تتألمه من هذا القتل، حتى لا يكون هذا سببا في فزع وخوف هؤلاء الجواري من الموت مع ساداتهم كما فعلت صاحبتهن، يقول: "وأخذ الرجال يضربون على التراس لئلا يسمع صوت صياحها [فيجزع غيرها] من الجواري، ولا يطلبن الموت مع موالهن."⁵ لأنه لو لم تخدع هذه الجارية التي قتلت من قبل لما استطاعوا قتلها ولما وافقت أساسا وخافت من هذا الموت وهربت منه.

3.2.7. دور المرأة كخادمة ومخدومة:

¹المرجع نفسه، ص 156 - 157.

²المرجع نفسه، ص 157.

³المرجع نفسه، ص 160 - 161.

⁴المرجع نفسه، ص 162.

⁵المرجع نفسه، ص 162.

في هذا العنصر سننتقل للحديث عن دور المرأة كخادمة ومخدومة، حيث تعلق دورها كخادمة في أغلب الأحيان بما جاء عن الجارية، أما الدور الثاني - أي المخدومة - فقد سبق وأن أشرنا إليه في الدور السابق بصفة كبيرة في تلك الجارية المقبلة على الموت.

لعبت الجارية في جل هذه الرحلة دور الخادمة، لكون أن الجارية كانت مقترنة بالغلمان والعبيد الخادمين والمطيعين لساداتهم غير الخارخين عن إمرتهم ومن أمثلة ذلك ما تحدث عنه صاحب الرحلة عن الرجل الذي يمرض وله جوارو غلمان وعبيد من أهل الترك (الغزيين)، وكيف تسهم في علاج سيدها المريض سواءً نجح هذا العلاج فكانت النتيجة برئه وشفاءه أو حدث عكس ذلك ومات، وهذه المساهمة والخدمة تجلت بأن يترك المريض خارج بيته، فتضرب له خيمة ليقوم فيها حتى يشفى أو يموت بحيث لا يقربه أحد من أهله غير هؤلاء الخادمين له يقول: "وإذا مرض الرجل منهم، وكان له جوار وعبيد خدموه ولم يقربه أحد من أهل بيته، ويضربون له خيمة ناحية من البيوت، فلا يزال فيها إلى أن يموت أو يبرأ".¹

كما أن دور الجارية كخادمة كشف لنا عن بعض الطقوس في تشييع الجنازة في بلاد الروس عند وفاة رئيسها. كما بينا ذلك في الدور الذي سبق هذا الدور- فإنه إذا مات سيدها سأل أهله من يخدمه من جوارو غلمان: من يموت معه؟ فيكون الرد في أغلب الأحيان من الجوّاري التي لا يمكن لها أن تعدل وتراجع عن جوابها هذا فيما بعد، وعندما تقبل أحد جواريه على القتل لتكون مع سيدها في العالم الآخر، توكل بها جاريتين تخدمانها وتكونان معها أينما اتجهت حتى تقتل من قبل عجوز التي تدعى بـ: "ملك الموت"، يقول صاحب الرسالة: "وإذا مات الرئيس [منهم] قال أهله لجواريه وغلمانها: "من منكم يموت معه؟" (...) وأكر ما يفعل [هذا] الجوّاري (...) فوكلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث سلكت، حتى أنهما ربما غسلتا رجلها بأيديهما".²

فالجارية الخادمة هنا لعبت كلا من الدورين المذكورين، فخادمة عندما لم تتراجع عن إمرة ساداتها بقتلها، ومخدومة عندما خدمتها الجاريتين اللتان وكلت لهما مهمة خدمتها حتى وقت موتها. ومن الأمثلة أيضا التي نجد فيها المرأة لعبت كخادمة ما رسم في وصف قصر ملك الروس وعن أصحابه، يقول: "ومن [رسم] ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمئة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده (...) ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه، وتصنع له ما يأكل، وجارية أخرى يطؤها".³

4.2.7. دور المرأة كمظلومة:

¹المرجع نفسه، ص 99.

²المرجع نفسه، ص 157.

³المرجع نفسه، ص 165.

فهذا الدور تجسد في تعسف ملك الخزر اليهودي ببنات ملوك الآخرين وتزوجه منهن بالغصب والقهر والجبروت والقوة، ودليل ذلك ما قاله "ابن فضلان" عن "ابنة ملك الصقالبة" المسلمة التي اغتصبها فماتت عنده، وأيضا لتزوجه لخمس وعشرين امرأة بحيث أن كل امرأة منهن هي ابنة ملك، يقول: "وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة ملك الصقالبة جمال فوجه يخطبها، فاحتج عليه، وردده، فبعث وأخذها غصبا وهو يهودي وهي مسلمة، فماتت عنده."¹

ويقول: "ورسم ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة، كل منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه، يأخذها طوعا أو كرها."²

وفي نفس الوقت جسدت لنا صورة لهذا الملك التي تمثلت في قوته وتسلطه وضعف المحاذين له.

5.2.7. دور المرأة في بيان بعض العادات المتشابهة في مناطق مختلفة:

تكمن أهمية المرأة في هذا الدور في نقل بعض العادات المتشابهة لمناطق مختلفة والتي منها ما لاحظته من عادات وتقاليد أهلي بخارى والغزنية عند تزويج نساءهم، حيث أنهما حافظا على الشرط الأساس لزواج الرجل بالمرأة عند المسلمين هو المهر وإتمام الصداق حتى وإن اختلف كفه بين المنطقتين، فذكر عن أهل بخارا: "وإذا شروطهم في مهور نساءهم: تزوج فلان ابن فلان فلانة بنت فلان على كذا وكذا ألف درهم غطريفية."³، وعن الآخرين قال: "ورسوم تزويجهم، هو أن يخطب الواحد منهم إلى الآخر بعض حرمة، إما ابنته وأخته أو بعض من يملك أمره على كذا وكذا ثوب خوارزمي، فإذا وافقه حملها إليه، وربما كان المهر جمالا أو دوا أو غيرها، وليس يصل الواحد إلى امرأته حتى يوفي الصداق."⁴

وكذا هذا الدور أثبت قذارة وعدم الاحتشام في كل من مجتمعي الغزنية (الأتراك) والصقالبة، والسبب في ذلك هو اختلاط النساء بالرجال وعدم التستر من بعضهم ونزولهم جميعا في نهر عراة، يقول: "ولا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم، وكذا لا تستر المرأة شيئا من بدنهما من أحد من الناس."⁵، ويقول في الموضع الثاني: "ويتزل الرجال والنساء إلى النهر فيغتسلون جميعا عراة لا يستتر بعضهم من بعض."⁶

¹ المرجع نفسه، ص 145.

² المرجع نفسه، ص 171.

³ المرجع نفسه، ص 79.

⁴ المرجع نفسه، ص 93.

⁵ المرجع نفسه، ص 92.

⁶ المرجع نفسه، ص 134.

فهذا الدور، بين أن المرأة كانت سببا في إبراز أن "ابن فضلان" كان شديد الملاحظة ودقيق في الوصف من خلال هذا التشابه في العادات.

إذن، كانت هذه بعض التمثيلات لحضور وأدوار لعبتها المرأة في رحلة ابن فضلان؛ ومنها نخلص إلى أن المرأة في هذه الرحلة خاصة لعبت دورا، ودورها هذا كان إيجابيا نقل المحسوس والملموس الذي تمثل في: أنها كانت عنصرا من العناصر الأساسية والفاعلة التي أسهمت في تحريك عملية الوصف وسرد الأحداث ودقة الملاحظة والمعاينة، وخاصة إن كان عنوان الرحلة يحوي على كلمة وصف مثلما وجد في نص "ابن فضلان"؛ لأنه من خلالها استطاع الرحالة، أولا: أن يصف عادات وتقاليد الشعوب التي مر بها وإن كان قد أهمل الحديث عن المرأة في الصفحات الأولى، ثانيا: أن يصف ممارستهم لبعض الطقوس والشعائر الدينية الغربية عما يعرفه عن عاداته الإسلامية، ثالثا: أن يثبت قذارة واتساح بعض المجتمعات الأوروبية، رابعا: أن يصف قوة ملك وضعف آخر، خامسا: أيضا أن يصف هيئة ملوك وأناس تلك المجتمعات التي مر بها، سادسا: أن يعرف بالثقافة الأخرى الغربية في ذلك الزمان، سابعا: أن يثبت أن رحلته هذه لم تكن مجرد رحلة وفقط، بل أنها كانت رحلة لها هدف معين يريد تحقيقه منها.

والدقة في الملاحظة جسدها تلك الأدوار التي عددناها، والتي بها أثبت الرحالة أنه قام بفعل المعاينة بنفسه هو؛ لأنه لو نظرنا في أدب الرحلة عامة لوجدنا أنه من الأسس التي ينبني عليها الوصف فيه هو المعاينة المباشرة. ومن خلال تجسيد "ابن فضلان" للمرأة كشخصية في رحلته هذه، نجد أن عنصر الوصف الذي يبنى عليه العمل الرحلي قد تحقق مما أعطى لهذه الرحلة جمالية تجعل المتلقي يتفاعل معها وبها استطاع أن يرسم للقارئ حضارة وعادات وثقافة تلك المجتمعات التي رحل لها ذلك من خلال وصفه هذا الدقيق لها. وهذا ما يثبت يقينا أن ابن فضلان هو في خانة الرحالة البارع في نقله للأشياء التي لاحظها أثناء سيره، وجعل الذين يأتون بعده يعكفون على دراسة هذه الرسالة حتى يستطيع أن يعايش القارئ معه ويدخله في جوارح رحلته.

ومن خلال دور المرأة في هذا العمل الرحلي، يتبين أهمية وجودها وحضورها في كل الأعمال الرحلية إذ لا يمكن للأديب الرحالة أن يستغني عن هذا العنصر؛ لأنه إن لم يجسد عنصر المرأة في رحلته سيتعرض إلى نقد كثير وتصبح رحلته غير ذات أهمية ويصبح وصفه ناقصا، ولكنه بتجسيده لها سيصبح من دون أدنى شك في مقام

المتنبه إلى كل ما أحاط به ويصبح أيضا في صنف الرحالة الدقيق الملاحظة والمشاهدة والبارع في نقل جميع الحثيات التي تحيط به ومثال ذلك أن الرحالة إذا وصف عادات وتقاليده بلد ما، فهو ملزم بوصف كل ما يتعلق بحياتهم، حتى العنصر البشري كي يكون بمقدوره أن ينقل للقارئ تلك العادات والتقاليد ووصفه للبشر لا يقتصر على الرجال فقط، بل يشمل حتى المرأة؛ لأن هذه الأخيرة لها دور في نقل هذه العادات والتقاليد، ودليل ذلك ما وجدناه عند "ابن فضلان" فلو خلا نصه من عنصر المرأة لأصبح وصفه ناقصا هذا من جانب، ومن جانب آخر لما كان له بالإمكان أن يعطى لسرده ووصفه تلك الحيوية والحركية (الدينامية) التي تجعل المتلقي يقبل على نصه ويتفاعل معه، ولما احتل مكانة رفيعة في الوسط الأدبي جعلت الباحثين يقبلون على نصه هذا ودراسته بعناوين مختلفة.

الخاتمة: من المؤسف أن ما وصل عن حياة "ابن فضلان" بكل ما فيها لم يكن كافيا لمعرفة حقيقة هذا البطل الفذ، بالرغم مما لقيته رسالته من الاهتمام الكبير من طرف الباحثين، باعتبارها الأثر الوحيد الذي تركه طوال حياته الأدبية، وبما استطاع أن يحتل مكانة عالية في الوسط الأدبي وبالرغم من ذلك لا يستبعد أن يكون هذا الرحالة قد ترك آثار أخرى وعدم قوله لشعر لأن طبيعة العصر الذي عاش فيه عصر التطور والازدهار من كل الجوانب وبخاص تطور وازدهار الرحلة تنقلا وتأليفا، وقد عدن رحلة "ابن فضلان" عند أهل الأدب من الرحلات السفارية، بحكم أنها كانت تكلفية من قبل الخليفة العباسي، إذ استطاع بها أن يعكس كثيرا من جوانب الحياة الاجتماعية؛ وهذا يدل دلالة واضحة على واقعية الأحداث التي نقلها فيها، وذلك من خلال صدقه في تصوير ووصف كثير من العادات التي عاينها في المناطق التي وقف عليها، فكان للمرأة حضورا متميزا فيها، باعتبار أن المرأة عنصرا أساسيا لأي عمل رحلي آخر، فيها استطاع أن يحقق لعمله هذا عدة إيجابيات تجعل أي متلقي يقبل عليه ولأنها أعطت جمالية لهذا العمل تمثل في الوصف الجيد، وكذا إسهامها في تحريك عملية سرد الأحداث، وفي نقلها لكثير من الوقائع المحيطة بحياة الشعوب، وذلك من خلال ما قدمته نماذج من أدوار لعبتها المرأة فيها، إذ بهذه الأخيرة تمكن من نقل حوادث وأشياء وعادات وتقاليده وأوصاف تراوحت بين ما هو مألوف وبين ما هو غير مألوف، وعلى هذا يبقى "ابن فضلان" عموما ورحلته خصوصا مجالا للبحث والدراسة المتواصلة.

المصادر والمراجع:

أولاً- الكتب:

*القرآن الكريم

1. ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت، لبنان، دط، دت.

2. أحمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان فضلان "أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد" في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ-921م"، تحقيق: د. سامي الدهان، مطبوعات المجمع العربي، دمشق،
3. أحمد خولي، بنية الخطاب في الرحلة السفارية (رحلة ابن فضلان أنموذجا)، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد: 33(10)، قسم اللغة والعربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2019.
4. أمال فلاح وآية زياد، الأنساق الثقافية في الرواية النسوية السعودية "بنات الرياض لرجاء عبد الله الصانع أنموذجا"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر، إ.أ: يمينة بن سويكي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 1438 - 1439هـ/2017 - 2018م.
5. جان عبد الله توما، أدب الرحلة والرحالون العرب، شركة المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2014.
6. جنان التميمي، مفهوم المرأة بين التنزيل وتأويل المفسرين، شبكة اللغويات العربية، دط، 2009.
7. جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي (دراسة تاريخية)، دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 2014.
8. شعيب حليبي، الرحلة في الأدب العربي، مكتبة الأدب المغربي، دط، 2002.
9. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دارالصادر، بيروت، المجلد: 2،
10. مايكل كرايتون، أكلة الموت عن مخطوط ابن فضلان، دارالهلل، ط2، 1999م.
- مكي سعد الله، الأنا والآخر في أدب الرحلة - دراسة نقدية مقارنة .. أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث، إ/د: الطيب بودريالة، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة1، الجزائر، 1438 - 1439هـ/2016 - 2017.
11. مجلة الوعي الإسلامي، خلفاء العصر العباسي 132 - 656هـ / 749 - 1258م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مجلة شهرية، دط، 1427هـ/2006م.
12. مجلة علم المكتبات، سعاد تبيرت، حضور الإنتاج العلمي لأساتذة علم المكتبات والتوثيق وفي الويب، دراسة حالة جامعة الجزائر2، جامعة قسنطينة2، جامعة وهران، العدد: 7، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، الجزائر.
13. مجموعة من المؤلفين والعلماء: الموسوعة العربية المسيرة، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، 2010م/1431هـ.
14. مغيش حالم: الخطاب النقدي عند عمر بن قينة من خلال كتابه في الأدب الجزائري الحديث، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تخصص النقد الأدبي ومصطلحاته، إ/د. أحلام معمري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013 - 2014.
15. مكي سعد الله، الأنا والآخر في أدب الرحلة - دراسة نقدية مقارنة .. أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث، إ/د: الطيب بودريالة، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة1، الجزائر، 1438 - 1439هـ/2016 - 2017م.
16. ملتقى أهل التفسير، الفرق بين المرأة والزوجة في القرآن الكريم.

ثانياً- المواقع الإلكترونية:

www.alwaei.com

<https://vb.tafsir.net/tafsir25689/#.XlqDah9KjIV>

المعركة اللغوية بين غلام علي آزاد البلكرامي ومحمد باقر آگاه المدرسي (دراسة تحليلية)



د / عمر وي . يم .

أستاذ مساعد، القسم العربي، الكلية الحكومية السنسكريتية،
فتامبي، كيرالا، الهند

Abstract: It is to be remarked that India has been one of the most well-known non-Arab country; here Arabic language and literature grew, developed and flourished on a large Scale. India has contributed much into the development of Arabic language and literature. Arabic, as a language, came to India by south-western shores long before the advent of Islam. It was the language of the Arabs who frequented this region for trade on their way to Southeast Asia and China. The Arabs had come directly to India for spreading Islam and as such Arabic language is evident here in its real form. The land of India gave birth to a group of well-established scholars who focused their attention on the Arabic language by studying, writing and publishing. Ghulam 'Ali Azad Bilgrami and Muhammed Baqir Agah were two of them.

Ghulam 'Ali Azad Bilgrami (1116-1200/1704-1786) is one of the most significant figures of eighteenth century in India. His works in Persian and Arabic are of inestimable value and have been plumbed by scholars and historians ever since they appeared, though Azad's Persian works have received more scholarly attention than his Arabic ones. Azad's skill as a poet, especially as a panegyrist of the Prophet Muhammad, has long been recognized. And his one critically edited Arabic work, the Subhat al-marjan (The coral rosary), is approvingly cited for its praise of India, for Azad's knowledge of Indian languages and culture, and for his literary-critical and poetic sensibilities.

Sheikh Muhammed Baqir Agah (1158-1220/1745-1805) was one of the great figures of Indo Arab Literature in South India. He was a great poet, a prolific writer and a great scholar. He wrote many books in Arabic, Persian and Urdu. He was the first to transfer religious sciences from the Arab to India in South India, and he had the upper hand in knowledge of grammar, morphology and language. The following article seeks to highlight the literary fight between these two eminent scholars.

إن اللغة العربية في شبه القارة الهندية من اللغات الدخيلة كالفارسية والإنجليزية بمعنى أنها ليست لغة أم لسكانها الأصليين. وإن اللغات الدخيلة تنتشر في غير مواطنها لأسباب مختلفة. مثل السلطان السياسي والهجرة البشرية والقداسة الدينية والتعامل الاقتصادي التجاري وغيرها. لانتشار اللغة العربية في الهند ناحيتان، الناحية التجارية والناحية الدينية¹. تقدم العلماء الهنود بخدمات جليلة في ترقية اللغة العربية وآدابها وألفوا وصنفوا كتباً قيمة في مجال العلم والأدب نثراً ونظماً. وقاموا بجهود متواصلة ولعبوا دوراً كبيراً في ميدان الدعوة الإسلامية وفي تطوير اللغة العربية وآدابها وثقافتها. ومن هؤلاء العلماء الشيخ غلام علي آزاد البلكرامي الذي كان من الشخصيات الأدبية البارزة، ليس له ثاب في عصره في اللغة والشعر والبديع والعروض والتاريخ والسير، كان

¹ أبو إسحق إبراهيم بن محمد الاصطغري: مسالك الممالك، ليدن، 1870م، ص/117.

شاعرا كبيرا و كاتباً بارزاً. لديه ممارسة تامة في علوم اللغة والعروض. فبقيت آثاره الأدبية ومؤلفاته القيمة في مجالات شتى من العلوم والفنون تراثاً للباحثين والطلاب.

اللغة العربية في جنوب الهند :

كان للغة العربية تواصل مع جنوب الهند منذ قديم الزمان، لكن دراسات اللغة العربية قد بدأت في جنوب الهند بعد انتشار الإسلام فقط، كان المسلمون في جنوب الهند يهتمون في دراسة اللغة العربية من قديم، وإن كانوا متأخرين في مجال التعليم العصري والمشاركة في الوظائف الحكومية والدوائر الرسمية¹. قد بدأ تعليم العلوم الدينية واللغة العربية في جنوب الهند أولاً في المساجد وفي بيوت الشيوخ وفي المدارس وأخيراً في الكليات وفي الجامعات الحكومية. وساهم علماء الجنوب في تطوير اللغة العربية وترقيتها كما ساهم علماء الشمال في الهند. ومن علماء الجنوب الذين بذلوا قصارى جهودهم في هذا المجال في القرن الثامن عشر مولانا محمد باقر آكاه المدراسي (1158-1220هـ، 1745-1805م) أحد العلماء المشهورين بالتضلع باللغة العربية والفارسية والأردوية وآداب هذه اللغات .

الشيخ غلام علي آزاد البلكرامي (1116-1200هـ/ 1704 - 1786م)

العلامة غلام علي بن السيد نوح الحسيني البلكرامي، أشهر أدباء العربية وشعرائها في شبه القارة الهندية كما هو أول مؤرخ للثقافة العربية والفارسية في الهند الإسلامية. ولد غلام علي آزاد سنة 1116هـ الموافق 1704م في بلدة بلكرام². وهو ينتهي إلى الأشراف الزبيدية الحسينية الواسطية. وقرأ الكتب الدراسية على السيد طفيل أحمد البلكرامي، ثم أخذ اللغة والحديث والسير عن جده لأمه عبد الجليل البلكرامي، كما تحدث بذلك في ترجمته الذاتية في مؤلفاته، وقضى فترة شبابه في بلدة بلكرام. وأخذ الطريقة الصوفية من الشيخ لطف الله الحسيني. خرج غلام علي آزاد للحج سنة 1151هـ/1738م ماشياً على الأقدام³، دون أن يخبر بذلك أسرته. وقد تحدث عن ذلك في كلمات لطيفة في ترجمته الذاتية. وبقي آزاد في الحرمين الشريفين نحو سنتين. ودرس الحديث النبوي في المدينة المنورة على الشيخ محمد حياة السندي شارح الصحيح البخاري كما درس في مكة المكرمة على الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري المتوفى سنة 1157هـ/1744م وقد أعجب بلقبه الشعري 'آزاد' (بمعنى الحر) وقال له أنت من عتقاء الله.

¹ محمد الفاروقي : العربية وآدابها، كاليكوت 2004 م، ص/ 144.

² السيد عبد الحي الحسني : نزهة الخواطر، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، 1366هـ/ 1947م. 6/208

³ مظهر البركات، غلام علي آزاد البلكرامي، تحقيق الدكتور محمد فضل الدين، حيدرآباد، 2002م، ص/ 4.

وقد عاد آزاد في أواخر سنة 1159هـ/1746م إلى الهند ولكنه لم يذهب بعد عودته إلى بلدة بلكرام، بل توجه إلى مدينة أورنكباد في جنوب الهند وسكن فيها، وقامت بينه وبين الأمير نظام الدولة ناصر جنك ابن حاكم حيدر آباد نواب آصف جاه علاقة وطيدة، وظل في تلك المدينة إلى أن وافته المنية .

وكان آزاد شاعرا عظيما وأديبا بارعا ومؤرخا جليلا. ومعظم مؤلفاته يشتمل على تاريخ الثقافة الإسلامية في الهند، وأهم مؤلفاته ما كتبه عن علماء شبه القارة الهندية وشعرائها وأدبائها وصلحاتها، ومنها ما هو بالعربية والأخرى بالفارسية وأشهر كتبه في هذا المجال سبحة المرجان في آثار هندوستان باللغة العربية. وأهم ما في هذا الكتاب تراجم العلماء والصوفية والشعراء والمؤلفين، وهي أربعة وأربعين ترجمة، وفي نهايتها ترجمته الذاتية في إحدى عشرة صفحة، وقد ألفه في سنة 1177هـ الموافق 1773م. ذكر فيه ما ألف حتى ذلك الوقت من المؤلفات في العربية والفارسية، ودواوين شعرية ومنها تسليية الفؤاد وهي قصيدة بالعربية .

ومن مؤلفاته الأخرى في العربية شفاء العليل في اصطلاحات كلام أبي الطيب المتني وضوء الدراري في شرح صحيح البخاري ومظهر البركات ومرآة الجمال¹، وله بالإضافة إلى ذلك عدد من الدواوين الشعرية. وأما مؤلفاته الفارسية في تراجم الشعراء والفضلاء والصوفية الصالحين فهي ذات فوائد جمة ومعروفة في الهند ومنها يد بيضاء وسرور آزاد وخزانة عامرة ومآثر الكرام في تاريخ بلكرام وروضة الأولياء وغزلان الهند وجواب الإيرادات وغيرها.

وقد قلنا إنه كان شاعرا مجيدا في اللغتين العربية والفارسية، وكان يسمى حسان الهند لقصائده الغراء في مدح الرسول ﷺ. وله دواوين شعر عديدة في العربية، وبعض منها مخطوطة وأخرى منها مطبوعة، وجمع سبعة منها في مجموعة سماها السبعة السيارة. وهو يكتب أيضا نثرا جيدا بليغا مرسلا خاليا من التكلف والصنعة التي غلبت على عامة مؤلفي الهند بسبب سيطرة أسلوب الحريري على أعلامهم، ولعل السبب في ذلك إقامته لحوالي سنتين في الحرمين الشريفين واختلاطه بعرب البادية في الحجاز. وخير مثال لأسلوبه في كتابة النثر العربي كتابه سبحة المرجان في آثار هندوستان. وتوفي غلام علي آزاد بأورنك آباد سنة 1200هـ الموافق 1786م ودفن هناك².
الشيخ محمد باقر آكا المديري :

الشيخ الفاضل باقر بن مرتضى المديري أحد العلماء المشهورين في جنوب الهند، وكان من طائفة النوائط، ولد الشيخ باقر بن مرتضى بن جعفر في ويلور، مدراس (ثنائي حاليا) في ولاية تامل نادو في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة 1158هـ/1745م³، ونشأ وترعرع فيها، وأكمل تحصيل العلوم الدينية والعربية وهو دون

¹ نسخته محفوظة بمكتبة متحف سالارجنك، حيدرآباد .

² نزهة الخواطر، 207/6، سبحة المرجان، ص/298-309، وأبجد العلوم، 250/3-252، وتذكره علماء الهند، ص/632

³ السيد عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، ج 7، ص/104.

العشرين، وكان سريع الحفظ قوي الإدراك ذكي الفؤاد، فظهر نبوغه لأعيان البلدة في سن شبابه، وولاه أمير مدراس النواب محمد علي والاحاج رئاسة ديوان الإنشاء. توفي الشيخ باقر آكاه سنة 1220هـ الموافق 1805م. وكان عمره إذ ذاك 62 سنة¹. ودفن في بيته على شارع ميلابور في قرية كرشنابيت، مدراس. وأرخ محمد غوث بن ناصر الدين المدراسي لعام وفاته من قوله "قد مات فرد العصر" كما في حديقة المرام².

أعماله : كان الشيخ باقر آكاه علما من أعلام الهند الجنوبية ، إنه كان شاعرا عظيما وكاتبا قديرا، وأديبا متضلعا وعالما كبيرا، وصنف كتبا جمّة باللغة العربية والفارسية والأوردية القديمة التي كانت تسمى باللغة الدكنية ، ومن مزاياه انه كان يكتب ويصنف ويقول الشعر في لغات ثلاث، أي اللغة العربية والفارسية والأوردية، إذ كان مقتدرا على هذه اللغات. وهو أول من نقل العلوم الدينية من العربي إلى الهند بناحية مدراس، وكانت له اليد الطولى في معرفة النحو والصرف واللغة.

وله مؤلفات عديدة في العقائد والسيرة النبوية والتصوف واختلاف الفقهاء والأدب واللغة والنحو والشعر في اللغات العربية والفارسية والأوردية. ومنها احدى عشر كتابا باللغة العربية واحدى وثلاثون كتابا باللغة الفارسية وسبعة عشر كتابا باللغة الأوردية³.
مؤلفات آكا باللغة الفارسية :

وأما مؤلفاته بالفارسية فمنها : كشف الغطاء عن أشراف يوم الجزاء وتحفة الأحسن في مناقب السيد أبي الحسن وجهار صد ايراد بركلام آزاد وكتاب الرسائل فيما يتعلق بالإمامة من المسائل وديوان فارسي والمنهل العذب الروي في شرح مفتاح المثنوي والقول المبين في سيادة يعسوب المسلمين وإيقاظ الغافلين وإرشاد الجاهلين وعين الإنصاف وكمال الإنصاف وغيرها من الكتب المهمة⁴.

مؤلفات آكاه باللغة الأوردية :

وأما مؤلفاته بالأوردية فمنها: فوائد در عقائد وتحفة النساء وهشت بهشت ومحبوب القلوب ورياض الجنان وتحفة الأحاباب في مناقب الأصحاب وروضة الإسلام وخمسة متحيرة أوج آكاهي وديوان هندي وكلزار عشق وغيرها من المؤلفات القيمة⁵.

¹ السيد عبد العلي الحسني، نزهة الخواطر، الجزء السابع، ص/108.

² الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص/211.

³ السيد عبد العلي الحسني، نزهة الخواطر، حيدرآباد، 1974م، ج 7، ص/106-107.

* عليم صبا نویدی، العلماء المؤلفون في تامل نادو، مدراس، 1996م، ص/49.

* الدكتور محمد يوسف كوكن، اللغة العربية والفارسية في كرناتك، مدراس، 1974م، ص/209-222.

⁴ نزهة الخواطر، الجزء السابع، ج 7، ص/106-107.

⁵ نزهة الخواطر، الجزء السابع، ج 7، ص/106-107.

مؤلفات آكا باللغة العربية :

توجد مساهمة العلماء من جميع أقطار الهند شمالا وجنوبا وشرقا وغربا من بداية الإسلام إلى هذا الوقت في تطوير اللغة العربية وآدابها شعرا ونثرا خطابة وكتابة، وكل هذا لأجل الدين الحنيف، والمسلمون من البداية تعلموا هذه اللغة بحميم للدين الإسلامي وتمهروا فيها مهارة كاملة حتى سبقوا أحيانا العلماء العرب، فمنهم العلماء والمفسرون والمحدثون والفقهاء ، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء والأدباء العظام الشيخ مولانا باقر آكا. ومن مؤلفات آكا باللغة العربية النفحة العنبرية في مدحة خير البرية وتلك عشرة كاملة هندية وإغناء العفاة بأنباء المعجزات وديوان الغزل وشمائم الشمائل بنشر لطائف الرسائل وتنوير البصر والبصير في الصلاة على النبي البشير النذير والمقامات الخمس وغيرها¹.

جهاز صد إيراد بر كلام آزاد (أربع مائة إيراد على كلام آزاد) :

هذا الكتاب يشتمل على أربع مائة إيراد على شعر غلام علي آزاد البلكرامي الذي كان شاعرا بارعا وأديبا جليلا باللغة العربية والفارسية، وطبعت له ثمانية دواوين، وقد أورد مولانا آكا على شعره وفنه أربع مائة إيراد. فجرت المناقشة بينه وبين آزاد، واشتدت الخصومة فيما بينهما. وامتدت هذه المناقشة والمنافسة فيما بينهما إلى أربعة عشر عاما (1185 - 1199 هـ/ 1771 - 1785 م). أرسل غلام علي آزاد البلكرامي إلى الشيخ باقر آكا قائمة تتضمن سبعين خطأ في لغة آكا وشعره. وهذا الفعل أزعج آكا، وأراد أن يرد هذه الإيرادات كلها. فكتب آكا كتابا مستقلا باسم "جهاز صد إيراد بر كلام آزاد" في اللغة الفارسية. وفي هذا الكتاب بين آكا أربع مائة خطأ ارتكبها آزاد في اللغة والمعنى في أشعاره وأبياته باللغة العربية والفارسية. تظهر آراء آكا وملاحظاته النقدية في هذا الكتاب، بأنه درس جميع الكتب التي كتبها آزاد درسا نقديا. توجد نسخة مخطوطة له في المكتبة الأصفية بحيدرآباد كما توجد نسخة أخرى له في دار الكتب ديوان صاحب باغ بمدراس².

المناقشة الأدبية بين آكا وبين آزاد :

وكانت بين آكا وبين آزاد منافسة شديدة، لأن المعاصرة هي سبب المنافسة، وإن آزاد البلكرامي كان شاعرا بارعا باللغة العربية، وطبعت له 8 دواوين، وقد أورد مولانا آكا على شعره وفنه أربع مائة إيراد وجرت المناقشة بينه وبين آزاد، واشتدت الخصومة فيما بينهما، حتى انقسم الناس كعادتهم بين فريقين، فريق يؤيد الشيخ باقر آكا وفريق آخر كان يعيبه ويقول: إن هذه الإيرادات ليست من الحق والصواب، وصنف واصف كتابا سماه تذكرة

¹ المصدر السابق ، ج 7، ص/106-107.

² الدكتور فضل الرحمن الندوي، جهاز صد إيراد بر كلام آزاد، مقالة نشرت في 'مجلة علوم إسلامية، عليجراه ديسمبر، 1961م، ص/1-27.
* الدكتور محمد يوسف كوكن، اللغة العربية والفارسية في كرناتك، مدراس، 1974م، ص/211.

معدن الجواهر، أيد فيه آزاد ضد باقر آكاه، فأجاب عنه خان راقم جوابا شافيا. ومع ذلك وقعت المصالحة والموافقة بين هذين الأدبيين أخيرا، بعد طول مناقشة ومنافرة بينهما، فتبدلت العدواة بالمحبة.

علم مولانا آكاه عن أحوال غلام علي آزاد بواسطة سيد شاه عبد القادر المهربان الفخري المدراسي الذي هاجر إلى مدراس من أورنگ آباد سنة 1183هـ/1769م. وكان مهربان الفخري تلميذا لغلام علي آزاد، وكان يحترمه احتراما كبيرا، وكان مولانا آكاه صديقا حميما لمهربان الفخري. وحاول مولانا آكاه أن يتصل غلام علي آزاد بواسطة الرسائل الشخصية. وفي إحدى رسائله، كتب آكاه أنه لم يستطع أن يلقاه ولكن الله الذي يعرف الأسرار كلها يعلم بأنه نزل في قلبه وعينه. وهو يقول في هذا الصدد:

وإن لم تفر عينا مني بنظرة واقض من لقاياك ما كنت أمل
فعالم ما يخفى السراير عالم بأنك في قلبي وعيني نازل¹

ولما سمع آكاه بأن مهربان الفخري يمدحه كثيرا، فازدادت مودته وتوقيره له أكثر فأكثر، فأرسل آكاه قصيدة من ويلور إلى آزاد يمدحه فيها الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني ويبتدأ هكذا :

بدت عراقية بالمنظر الحسن فأوقعت صبه المأمون في الفطن

مدح غلام علي آزاد بهذه القصيدة وكتب رسالة إلى آكاه التي وجدها في تروجيريلي. وهو يمدح مولانا آكاه بهذه الألفاظ القيمة :

فلما فككت الختم عنه وجدته خطوطا ربما حين على صفحة الورد²

ثم رجع آكاه إلى مدراس، ورأى تأليف غلام علي آزاد مثل 'غزلان الهند' و'مرآة الجمال' وغيرهما. هذه الكتب قد أثرت في قلبه تأثيرا عميقا. فكتب رسالة طويلة يستحسنه فيها. وكتب أيضا رسائل أخرى يمدح بها آزاد. وأرسل باقر آكاه قصيدة تتضمن فيها ثلاثا وعشرين بيتا يمدحه بها خاصة دون غيره، وهذه القصيدة تبتدئ بهذه الأبيات :

أهلا وسهلا يا نسيم الوادي أنت الموفق صاحب الإمداد¹

وكان آكاه يرسل قصائده إلى آزاد، لأن يقدرها ويلاحظها، فمدحه آزاد بألفاظ لامعة مثل قوله: "أما قصائدكم الغراء فطالعتها وأخذت عنها لذة وافرة وحلاوة متكاثرة، فورب البيت ما ألفيت ثانيكم في 'دكن' ينظم الكلام

¹ الشيخ باقر آكاه، شمانم الشماليل، المخطوطة المحفوظة بمكتبة ديوان صاحب باغ، مدراس، ص/275.

² بشير الله، غلام علي آزاد، مدراس، ص/151.

العربي على هذه الحالة ويترشح من لسانه السلس مثل هذه المقالة". وهو يقول أيضا: "ترقيتم في ترتيب الكلام ورفعتم إلى السماء السوية الأقلام، أطال الله أيامكم"².

استمرت هذه العلاقة الودية بينهما لعدة أعوام. ثم بدأت المناقشة والمنافسة بينهما، يقول آكاه: إن آزاد لم يجب مرة لرسائله التي أرسلها إليه ومرة خاطبه آزاد بـ'خان صاحب'³، وكان مولانا آكاه حساسا وبذلك اعترض عليه باستعمال هذا اللفظ له. وكتب رسالة إلى آزاد يقول فيها إنه يعتبر عارا عليه.

وافتخر آكاه على أنه قادر على نظم القصائد النعتية التي تختتم بالحروف مثل ث، خ، د، ذ، ز، ش، ص، ض، ط، ظ، غ وهو يقول في هذا الصدد: وربما ينسجم فيها الغزل الذي هو من القصيدة أسهل ولذلك لم ينظم السيد غلام علي آزاد قصيدة نعتية في هذه الحروف العسرة الانقياد، ولأن بركات النعت هذا الكلام لكلامي وسهل هذا الحزن لترشيح أقلامي ونسجت في رومها القصائد بالانسجام فراقت كأخواتها في الافتتاح والاختتام رقيقة معانيها رشيقة مبانيها بديعة مخالصها عديمة نقائصها رفيعة مطالعها منيعة مقاطعها أنيقة استعارتها دقيقة تشبيهاتها لطيفة تلميحاتها طريفة تلويحاتها بارعة تضميناتها رائعة اقتباساتها جنية تدريساتها شبيهة ترصيعاتها مصنوعة صنائعها مطبوعة بدائعها كثيرة لطائفها غزيرة طرائفها عديمة تشابيحها غريبة أساليبها رائعة كنياتها فائقة مجازاتها رضية تراكيها حسنة أعاريهما"⁴.

وقال آكاه إن عالما مشهورا وشاعرا كبيرا له تجربة لخمسين سنة لم يستطع أن ينظم القصائد في هذه القافية. هذه الملاحظة أدت إلى طلب العيوب والنقائص في كتابة باقر آكاه وقصائده، وقد ذكره مولانا آكاه في كتابه 'جهاز صد ايراد بر كلام آزاد' الرسالة التي كتبها آكاه يعترض فيها على آزاد.

فأجاب آزاد إن من يقدر على نظم الأبيات الغنائية في هذه القوافي قادر على نظم القصائد النعتية أيضا. ونقد آزاد على تأليف باقر آكاه كلما وجد نسخة منه. وفي إحدى كتابته قال آزاد إن نثره أحسن من شعره، وأراد أن يبدي تفوقه عليه، وقال أيضا إن كلمة 'شمامة' التي في مقامته الأولى قد استعار من تأليفه 'شمامة العنبر'، وكذلك ظن هو أن باقر آكاه أخذ كلمات كثيرة من تأليفه، وقال أيضا إنه تقلد في أخذ التخلص 'آكاه' مثل 'آزاد'. فبدأ آكاه يفتش النقائص في تأليف آزاد، فقال بأن آزاد استعار أسماء تأليفه من تأليف الآخرين مثلا 'سبحة المرجان' من 'سبحة الصبيان' لأبي الفضل محمود بن أحمد الرومي أو 'أقارن المرجان' للإمام السيوطي أو 'سبحة

¹ المصدر السابق، ص/152.

² الشيخ باقر آكاه، جهاز صد ايراد بر كلام آزاد، المخطوطة المحفوظة بمتحف سالارجنك، حيدرآباد، ص/86-87.

³ المصدر السابق، ص/2.

⁴ الشيخ باقر آكاه، النفة العنبرية في مدحة خير البرية، المخطوطة المحفوظة بمكتبة ديوان صاحب باغ، مدراس، ص/16-17.

الأبرار' للجامي، و'مظهر البركات' من 'مظهر النور' لقمر الدين أورك أبادي و'سبع سيارة' من 'سبع سيارة' لحافظ ابن حجر العسقلاني.

وكانت هناك اختلافات بينهما في أمور كثيرة، اختلف باقر آگاه عن آزاد لا في المسائل الأدبية واللغوية فقط بل في أمور مختلفة مثل التصوف وغيره.

نقد آزاد في كتابه 'سبحة المرجان' الشعراء من الفرس والترك بأنهم تغزلوا بالمرد وأظهروا محبتهم إليهم، وقال آزاد إنهم لظالمون¹. فقال آگاه كيف يكون هذا ظلماً؟ لأن المشائخ العظام والصوفياء الكبار تغزلوا بالأمراد وأظهروا محبتهم لهم في تأليفهم المشهورة. والأمر العجيب في هذا الصدد، إن آزاد أيضاً تغزل بالمرد في أشعاره من العربية والفارسية. عرض مولانا آگاه المثال من تصنيفات آزاد نفسه، يقول آزاد في شعره:

مررت على طفل بديع جماله يطالع صرفا والكراريس في اليد

قال آزاد إن استعمال آگاه في إحدى أبياته 'أذهب للغيط' ليس بصحيح حسب تركيب اللغة العربية لابد أن يكون بالباء لا باللام. فنقل آگاه هذا الحديث من النبي ﷺ 'ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن'، وسأل آگاه شرحاً لاستعمال النبي ﷺ 'أذهب للب الرجل باللام'.

ولما أظهر آزاد بعض الأخطاء في شعر آگاه، أجاب آگاه بأن هذه الأخطاء نفسها توجد في شعر آزاد أيضاً، مثلاً: استعمال آگاه لفظ مدراس مؤنثاً في البيت الآتي:

فيما الإقامة بالمدراس لا سكنى بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

ولما اعترض عليه آزاد، بين آگاه وإن كان هذا خطأ فقد ارتكب نفسه هذا الخطأ في استعماله لفظ بلكرام مؤنثاً في بيته الآتي:

لقد قاس الجوى آزاد شوقاً إلى أحبابه من بلكرام

ولدت بها وفيها عشت دهرًا سقاها الله مدرار الغمام²

ويقول مولانا آگاه إنه أرسل قصيدتين إلى غلام علي آزاد يمدحه فيها. لكن آزاد لم يكتب سطراً واحداً يستحسنه فيه على قصيدته. ولكنه كتب إليه أنه لا يقدر أن ينظم القصائد لكبر سنه وهو يقول في هذا الصدد:

"..... بعد ما صنف 'سبحة المرجان' في آثار هندوستان' ورتب علقه العجلان ما التفت إلى نظم عربي، ونشره إلا أحياناً ما أحرز من خزائنه العامرة إلا جماناً ولا مرجاناً. ولقد أدركني الكبر حتى شق من ثوب القلب جيباً

¹ الشيخ باقر آگاه، جہار صد ایراد بر کلام آزاد، ص/146.

² المصدر السابق ص/148.

وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا. ومنعني طريان الخلو على الدماغ عن التصنيف وحجزني استيلاء الضعف على القوى عن الترصيف ولقد نظمت أبياتا بالتكلف والتقطت خزارات بالتصلق"¹

يقول مولانا آكاه، إن ما قال آزاد بأنه لا يقدر على نظم الأبيات لكبر سنه حجة واهية. إن الناس كلهم يعرفون بأن آزاد ألف ديوانه من الجزء الثالث إلى الجزء السابع من العربية وسبعة أجزاء من مثنوي مظهر البركات وشفاء العليل بعد ما صنف سبحة المرجان.

أرسل باقرا آكاه نسخة من 'القصيدة الهلالية' إلى غلام علي آزاد التي تتضمن رأيا متضادا لهذه الأبيات التي كتبها مولانا غلام علي آزاد.

بابود قوس عطارد كه رسولش ردكرد قاب قوسين بس اوراز خدا عزوجل²

أشار مولانا آكاه بأن قول آزاد ليس بصحيح فيما قال، إن عطارد صاحب رسول الله ﷺ أهداه قوسا ولكن النبي ﷺ لم يقبله. ولكن قال مولانا آكاه إن عطارد أعطى الرسول ﷺ حلة من حرير لا القوس، ولكن النبي ﷺ لم يقبلها. ولأنه لم يستطع أن يلبس الحلة التي بناها من الحرير فباعها عطارد ليهودي بأربعة آلاف من الدراهم. ولكن آزاد أتى 'بأنوار الربيع في أنوار البديع' لسيد علي معصوم مكي دليلا على زعم أن عطارد أعطى قوسا مثل القمر للنبي ﷺ. ولما لم يقبله باعه ليهودي. ولكن آكاه ادعى أن ما أعطاها هي الحلة لا القوس، وأتى عبارة القاموس دليلا عليها.

"فارتحل عطارد إلى كسرى يطلب قوس أبيه فردها عليه وكساه حلة، فلما رجع أهداها إلى النبي ﷺ فلم يقبلها فباعها من يهودي بأربعة آلاف درهم"¹.

ولما كان يكتب مولانا آكاه المقامة الحيدرآبادية، أشار إلى أن لفظ 'الماس' ليس مشتق من 'اللمس' كما قال غلام علي آزاد، ولكنه مشتق من 'الموس'، ولإثبات رأي آزاد أنه أتى بقاموس في اللغة الفارسية المسمى 'برهان قاطع' لمحمد حسين، ولكن آكاه أتى بالقاموس لمجد الدين الفيروزآبادي لإثبات رأيه. وقال إن القاموس مثل 'برهان قاطع' في اللغة الفارسية لا يعتبر حجة أمام القاموس للشيخ مجد الدين الفيروزآبادي العالم المشهور.

أشار آزاد إلى بعض الأخطاء الذي وقع في لغة الحافظ شمس الدين الشيرازي وكذلك في ديوان المتنبي. يقول آزاد في كلام شمس الدين الشيرازي :

"متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها"

هذه جملة شرطية فيجب عليها أن يتقدم الفاء وقال آزاد أيضا، مصراع هذا البيت يجب أن يكون هكذا "دع الدنيا متى ما تلق من تهوى وأهملها". فقال مولانا آكاه: منات من العلماء يدرسون هذا الديوان بمنات من السنين

¹ باقرا آكاه، جهار صد ايراد بر كلام آزاد ، ص/7.

² المصدر السابق، ص/118.

ولكن أحدا منهم لم يجد هذا الخطأ في ديوانه إلا آزاد. وكذلك لم يستطع أن يجد هذا الخطأ لعبد الرحمن الجامي النحوي المشهور مؤلف 'الفوائد الضيائية' الذي يسمى بشارح ملاجامي. وبين مولانا آكاه في كتابه، إن هذه الجملة لا تحتاج إلى أن يقدم عليها الفاء.

أما عن إصلاحات المتنبي فيقول باقر آكاه بأن آزاد صار أضحوكة للعلماء الكبار، وهذه الإصلاحات يجب أن تطرحها إلى البحر، ويقول مولانا آكاه قد مضت مئات من السنين بعد موت المتنبي، ولكن لم يتجرأ أحد أن يصحح ديوانه إلا آزاد.

ذكر مولانا باقر آكاه هذه الآراء كلها على سبيل البحث الدارسي فقط، احترم مولانا آكاه غلام علي آزاد احتراما يستحقه في رسائله كلها إليه. ولكن آزاد لسوء فهمه، اعتقد أن كل ما فعل باقر آكاه لحصول التفوق عليه، فبدأ آزاد أيضا يفتش نقائص آكاه في كتابته، وأرسلها إليه بواسطة الرسائل الشخصية. وبذلك امتدت المناقشة والمنافسة فيما بينهما إلى أربعة عشر عاما، أرسل آزاد إلى الشيخ باقر آكاه قائمة تتضمن سبعين نقصا في لغة آكاه وشعره. وهذا الفعل أزعج آكاه، وأراد أن يرد الإيرادات كلها. فكتب آكاه 'جهازرد ايراد بر كلام آزاد'² في اللغة الفارسية. وفي هذا الكتاب بين آكاه أربع مائة خطأ ارتكبها آزاد من اللغة والمعنى. وأرسل نسخة منه إلى آزاد في سنة 1199هـ/1785م، فاعتذر إليه آزاد وقال :

أنا وصلت إلى ثلاث وثمانين من عمري فأريد أن أستريح وأفكر في آخرتي، عليك أن تنس كل ما حدث فيما بيننا في الأعوام الماضية وأن تعفو عني بلطفك وكرمك³.

وهذا أوضح بأن هذه المناقشات اللاذعة بينهما قد جعلت الشيخ غلام علي آزاد متحمسا أكثر فأكثر في نظم الأشعار في اللغة العربية وفي خلال السنوات الأخيرة من عمره ألف آزاد ونشر ثلاثة دواوين بالإضافة إلى سبعة دواوين التي ألفها من قبل. وكان آكاه في أربعين من عمره لما شرعت هذه المناقشات، فصار حاد الذهن ثاقب الفكر متحمسا في قول الشعر وتأليف الكتب. وكان جادا كل الجد في مراجعة الكتب الكثيرة التي كانت موجودة في مدراس لرد الاتهامات التي أوردتها عليه آزاد في كتاباته. تكشف آرائه وملاحظاته النقدية، بأن آكاه درس جميع الكتب التي كتبها آزاد درسا نقديا.

لا حاجة لنا أن نكبر عيوبهما ونقائصهما وكذلك لا نفضل أحدا منهما على الآخر. وكنا بلا شك أدبيين كبيرين في ذلك العصر وتركنا لنا ثروة كبيرة من النقد الأدبي التي تعطي لنا معلومات جمة عن المسائل المختلفة المهمة في الأدب والفلسفة من اللغة العربية والفارسية والأوردية. وإذا لم تكن هذه المناقشات اللاذعة ما كشفت هذه الملاحظات النقدية آفاقا جديدة للأدباء والنقاد في الأدب والثقافة والدين.

¹ المصدر السابق، ص/118.

² نسخته محفوظة بمكتبة متحف سالار جنك، حيدرآباد.

³ الدكتور محمد يوسف كوكن، رسالة باقر آكاه، ص/8-9.

وقد امتدت هذه المناقشات فيما بينهما من سنة 1769 - 1785م. وقعت المصالحة والموافقة بينهما أخيراً بعد هذه المناقشة الطويلة¹. توفي آزاد سنة 1200هـ/1786م، ولما علم الشيخ باقر آگاه عن وفاة آزاد حزن عليه حزناً شديداً.

المصادر والمراجع :

1. الدكتور أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، الجزيرة، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.
2. جمال الدين الفاروقي، أعلام الأدب العربي في الهند، مكتبة الهدى، كاليكوت، 1429هـ/2008م.
3. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار القلم للملايين، بدون تاريخ، الطبعة التاسعة.
4. السيد عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، 1366هـ/1947م.
5. غلام علي آزاد البلكرامي، مظهر البركات، الدكتور محمد فضل الدين، مقدمة التحقيق، كلية أنوار العلوم حيدرآباد، 1423هـ/2002م.
6. الشيخ محمد باقر آگاه، النفحة العنبرية في مدحة خير البرية، المخطوطة المحفوظة بمكتبة ديوان صاحب باغ، مدراس.
7. الشيخ محمد باقر آگاه، شمائم الشمال بنشر لطائف الرسائل، النسخة المخطوطة المحفوظة في دار الكتب ديوان صاحب باغ، مدراس.
8. رحمن علي، تذكرة علماء هند، مطبعة مشهور، الطبعة الأولى، كراتشي، 1961م.
9. د. فضل الرحمن الندوي، جهار صد ايراد بر كلام آزاد، مقالة نشرت في 'مجلة علوم إسلامية'، عليجراه، ديسمبر، 1381هـ/1961م.
10. محمد باقر آگاه، جهار صد ايراد بر كلام آزاد، قسم المخطوطات، مكتبة أبي الكلام آزاد المركزية، جامعة عليجرا الإسلامية، برقم 282/50.
11. الدكتور محمد يوسف كوكن، رسالة باقر آگاه، المخطوطة المحفوظة بمكتبة جامعة مدراس، مدراس.
12. الدكتور محمد يوسف كوكن، اللغة العربية والفارسية في كرناتك، مدراس، 1394هـ/1974م.
13. الشيخ غلام علي آزاد البلكرامي، مظهر البركات، الدكتور محمد فضل الدين، مقدمة التحقيق، كلية أنوار العلوم حيدرآباد، 1423هـ/2002م.
14. صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، المطبعة الصديقية، بهوبال، 1950م.
15. أبو إسحق إبراهيم بن محمد الاصطغري: مسالك الممالك، ليدن، 1870م.
16. محمد الفاروقي، العربية وآدابها، كاليكوت، 2004م.

¹ الدكتور محمد فضل الدين، مقدمة التحقيق لمظهر البركات لغلام علي آزاد، كلية أنوار العلوم، حيدرآباد، 2002م، ص/4.

عناية ابن عاشور بالفنون البلاغية في تفسيره "التحرير والتنوير"



عبادل أحمد دار

باحث بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا،

أونتي بورة، كشمير بالهند

daribadil123@gmail.com

+917889501207

Abstract: I have clarified in this article an abundance of things, most of which are related to the rhetorical arts, as mentioned by the scholar IbnAshour in his interpretation "Al-Tahrirwa Al-Tanweer". And I have also marked a brief note about the author's life and methodology of the book, furthermore that he was a follower of the Ashari school of the thought in Al-Aqeedha, After that I talked about most of the grand issues of the Quranic rhetorical arts in references to the Holly Quran and his Tafseer.

All this indicates a clear indication that the interpretation of IbnAshour is the treasury of issues of Quranic rhetorical issues, and therefore it is one of the most important books for the development and improvement of this science, so we must pay attention and take care of it.

الملخص: الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، أما بعد، فقد وضحت في هذه المقالة وفرة من الأشياء جلّها تتعلق بالفنون البلاغية، كما ذكرها العلامة ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"، ذكرت أولاً التعريف الموجز عن حياته، وعن كونه متبعاً لعقيدة مذهب الأشاعرة، وعن منهجه في تفسيره، ثم أسهبت الكلام على كثير من المسائل البلاغية، التي تعرض لها الشيخ في تفسيره، كالتعريف والتنكير، وذكرت أهم الأغراض لهما حسبما استخرجها الشيخ، كالتعظيم، والاختصاص وغيرهما، وعن أهم أغراض التنكير كالتعظيم والندرة وغيرهما، وعن المجاز العقلي مع إيراد الأمثلة على ذلك، وعن التقديم والتأخير، والالتفات، والإيجاز والإطناب، وعن أقسامهما المتنوعة، وعن التشبيه والاستعارة، والكناية، وغيرهما. وكل هذا يدل دلالة واضحة بأن التفسير خزينة مسائل البلاغة القرآنية، وبالتالي من أهم الكتب لتطوير هذا العلم وترقيقه فواجب علينا الاهتمام والاعتناء به.

الكلمات المفتاحية: البلاغة القرآنية، التعريف والتنكير، أغراض، الإيجاز، التشبيه، المجاز العقلي، الكناية، الاستعارة.

التعريف الموجز بابن عاشور:

هو الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور المشتهر بالطاهر بن عاشور¹. تعلم أولا كتاب الله تعالى، وحفظ بعض المتون العلمية المهمة التي تؤهل الطالب للالتحاق بجامعة الزيتونية كمتن الأجرومية، ومتن ابن عاشر، فالتحق بها وهو في الرابعة عشر من عمره، وتلقى فيها فيها عددا غير قليل من العلوم الشرعية، مثل القرآن وعلومه، وعلم الحديث، وعلم الكلام، وعلم الفقه، والنحو والصرف، والبلاغة وغير ذلك مما كان يُعلَّم فيها². وكان شعريا المذهب في المعتقد، يتجلى هذا في مواضع كثيرة من تفسيره، منها قوله عند تفسيره لقول الله تعالى {الرحمن على العرش استوى}³، قال: "تقدم القول في هذا عند قوله تعالى {ثم استوى على العرش}⁴ في سورة الأعراف، وإنما أعدنا بعضه هنا لأن هذه الآية هي المشتهرة بين أصحابنا الأشعرية"⁵. ولقد صَنَّف التصانيف الكثيرة، منها التحرير والتنوير، موجز البلاغة، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأليس الصبح بقريب، والوقف وآثاره في الإسلام، وتحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة وغيرها، وتوفي يوم الأحد 13 رجب سنة 1394هـ، ودفن في مقبرة الزلاج في مدينة تونس¹.

وإن كان العلامة ابن عاشور قد كتب كتباً عديدة، لكننا هنا نركز على كتابه التحرير والتنوير، وربما نشير إلى موجزه للبلاغة العربية، لما لهما صلة لموضوعنا هذا.

التعريف الموجز للتفسير التحرير والتنوير:

يعد هذا التفسير من أهم إنجازات الشيخ وأعظمها، فقد فسّر فيه القرآن تفسيراً تاماً، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، عنوانه الكامل "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير القرآن المجيد"، ويقال باختصار "تفسير التحرير والتنوير"، ويقع في ثلاثين مجلداً ضخماً.

المنهج العام للتفسير: يعتبر هذا التفسير في الجملة تفسيراً بيانياً بلاغياً لغوياً عقلياً، وطريقة مؤلفه فيه أنه يذكر عدة آيات من السورة ثم يشرع في تفسيره مبتدئاً بذكر المناسبة، ثم لغويات المقطع المتعرض له، ثم

¹ د. بلقاسم الغالي: من أعلام الزيتونية شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، ص 35، د. إياد خالد الطباع: محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، ص 22، محمد بن الحبيب بن الخوجة: شيخ الإسلام الإمام الكبير محمد الطاهر بن عاشور، 153

² من أعلام الزيتونية، ص 37، محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع، 25

³ سورة طه الآية 5

⁴ سورة الأعراف الآية 54

⁵ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16، ص 187، دار سحنون، للنشر والتوزيع، تونس.

التفسير الإجمالي، ويتعرض فيه للقراءات والمسائل الفقهية، ويستخرج اللطائف البلاغية، يرجح الوجه ويضعف الآخر، يشير إلى التفاسير الشهيرة، فإذا وجد شيئاً مفيداً تناوله، وإذا وجد مما يبدو فيه الضعف انتقده، والقارئ لهذا التفسير العظيم يستطيع أن يثور على منهجه وخطواته بكل يسر، إذا استضاء مما قدمه العلامة من المقدمات لهذا المؤل وهي عشر كاملة، لها صلة وثيقة للتفسير وهي:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور، ومعنى التفسير بالرأي.

المقدمة الرابعة: غرض المفسر.

المقدمة الخامسة: أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة: القصص القرآني

المقدمة الثامنة: ما يتعلق باسم القرآن وآياته.

المقدمة التاسعة: المعاني التي تتحملها جمل القرآن.

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

قال الشيخ محمد حسين الذهبي كلاماً جميلاً وهو يصف هذا التفسير، قال: "ذكر مقدمات السور في بداية كل سورة يريد الخوض في تفسيرها من اسمها، ووجه التسمية ونحوها، ثم بين أسباب النزول بالاستناد إلى روايات وأحاديث نبوية، ثم ذكر تناسب الآيات بعضها ببعض، وهو لا يرى التناسب بين السور مطلقاً فلا يبينها واهتم بالقراءات، وهو يتعرض إلى اختلاف القراءات العشر المشهورة المتواترة. وركز على إبراز النكات البلاغية إلى جانب بيان المفردات ونحو ذلك، واعتمد كثيراً على التفاسير بالمأثور؛ فيفسر الآية بالآية، أو يفسرها بالحديث الشريف أو أقوال الصحابة والتابعين، كما بين الأحكام الفقهية ... وحرص على إبراز وجوه الإعجاز"¹

تعرضه لبيان البلاغة القرآنية خلال تفسيره لأي الذكر الحكيم:

لقد جاء هذا التفسير الضخم حافلاً بدقائق البلاغة، لطائفها، نكتها، وأفانينها، فلا تكاد تمر بآية إلا

¹ د. بلقاسم الغالي أعلام الزيتونية، ص 68 شيخ الإسلام، ص 169، محمد الطاهر، ص 87

وتجده يفصل اشتمالها على فن من فنون البلاغة المعروفة، إن هذا التفسير كخزينة لعلم البلاغة لاسيما مما يتعلق بإعجاز القرآن، وبلاغته، "ومن أجل هذا كثر إيراد المصطلحات ابلاغية؛ فتراه كثيرا ما يقول: هذا تذييل، أو تميم، أو اعتراض، أو حذف، أو إيجاز أو إيغال، أو استفهام، ... ويورد الكثير من مسائل التشبيه، والاستعارة، بأنواعها، والبديع وأقسامها، وما يجري مجرى ذلك"²

الفنون البلاغية في التحرير والتنوير.

للتعريف والتذكير: إن التعريف والتذكير من القضايا المهمة التي وردت في القرآن الكريم وذلك لعظم الوظيفة التي يديها كل منهما في إبراز جماليات الكلام ودلالته، وما يحملانه من قيم فنية وجمالية تضيف بنا إلى معاني عميقة تظهر مدى عظمة هذا الكتاب العزيز وإعجازه فهو الحجة الواضحة

تكلم ابن عاشور عنهما كثيرا خلال تفسيره، وذكر لهما أغراضا، نورد بعضها منها:

1: التعظيم: كما في قوله تعالى { ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق } { ذلك بما قدمت أيديكم } (الأنفال 50-51)، قال: " وجيء بإشارة البعيد لتعظيم ما يشاهدونه من الأهوال"³

2: الاختصاص:

كما في قوله تعالى { أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون } البقرة 5، قال: " وتعريف المسند بلام الجنس إذا حمل على مسند إليه معرف أفاد الاختصاص، فيكون ضمير الفصل لمجرد تأكيد النسبة، أي: تأكيدا للاختصاص، فأما إذا كان التعريف للجنس وهو الظاهر فتعريف المسند إليه مع المسند من شأنه إفادة الاختصاص غالبا، لكنه هنا مجرد عن إفادة الاختصاص الحقيقي، ومفيد شئيا من الاهتمام بالخبر، فلذلك جلب له التعريف دون التذكير"⁴.

وهكذا يكون التعريف: للتمييز، والتنبيه، والتنويه، والاعتزاز وغير ذلك من الأمور كما هو جلي خلال تعرضه لأي الكتاب الحكيم.

الأغراض البلاغية للتذكير:

¹ محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: ج 2 ص 398

² د. محمد بن إبراهيم الحمد: التقريب لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ج 1 ص 64

³ ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 10 ص 41

⁴ المصدر السابق سابق نفسه ج 1 ص 246

1: التعظيم:

كقوله تعالى { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير } الإسراء: 1، قال ابن عاشور: "فتنكير (ليلا) للتعظيم"¹ وكقوله تعالى { ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون } البقرة 179، قال: والتنكير في (حياة) للتعظيم بقرينة المقام، أي في القصاص حياة لكم، أي: لنفوسكم²

2: الندرة:

كما في قوله تعالى { فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون } الأعراف 131، قال ابن عاشور: "وذكرت (سيئة) لندرة وقوعها عليهم؛ ولأنها شيء غير معلوف حلوله بهم، أي: وإن تصبهم أية سيئة"³

3: العموم:

كقوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا } النساء: 59، قال ابن عاشور: ولفظ (شئ) نكرة متوغلة في الإبهام، فهو في حيز الشرط يفيد العموم، أي: في كل شئ"⁴

4: التهويل:

كقوله تعالى { وجاءكم المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم } التوبة: 9، قال ابن عاشور: "وتنكير عذاب للتهويل والمراد به عذاب جهنم"⁵ وللتنكير غير ذلك من الأغراض مثل: التنويع، والنوعية، والتحقيق، والتقليل، وقد بينها العلامة ابن عاشور خلال تفسيره.

المجاز العقلي:

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد

¹ المصدر السابق سابق نفسه ج 15 ص 11-12

² المصدر السابق سابق نفسه ج 2 ص 144

³ التحرير والتنوير: ج 9 ص 65

⁴ المصدر السابق سابق نفسه ج 5 ص 99

⁵ المصدر السابق سابق نفسه ج 1 ص 293

الحقيقي¹، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور، فقال: "والمجاز العقلي إنما أسند فيه فعل لغير فاعله للملابسة²، وهي أي الملابسة القرينة المانعة من إرادة الإسناد الحقيقي كما هو ظاهر.

أمثلة على المجاز العقلي من القرآن خلال تفسير ابن عاشور:

المثال الأول: ويسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل، كما في قوله تعالى: { وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط } هود: 84، قال ابن عاشور: " و (محيط) وصف (يوم) على وجه المجاز العقلي، أي: محيط عذابه، والقرينة هي إضافة العذاب إليه"³

المثال الثاني: كقوله تعالى { يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } لقمان 33، قال ابن عاشور: " فإسناد التغرير إلى الحياة مجاز عقلي؛ لأن الدنيا ظرف الغرور أو شبهته، وفاعل التغرير حقيقة هم الذين يضلونهم بالأقسية الباطلة، فيشبهون عليهم إبطاء الشيء باستحالته، فذكرت هنا وسيلة التغرير وشبهته، ثم ذكر بعده الفاعل الحقيقي للتغريض وهو الغرور"⁴

المثال الثالث: كما في قوله تعالى { وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين } المائدة: 83، وقد يسند الفيض إلى الظرف على طريقة المجاز العقلي، فيقال: فاض الوادي، أي: فاض ماؤه، كما يقال: جرى الوادي، أي: جرى ماؤه"⁵

وهو موجود موضح، بأنواعه: كالزمانية، والمكانية، والسببية، والمصدرية، والفاعلية، والمفعولية، وغير ذلك، خلال تفسيره للقرآن العظيم.

التقديم والتأخير: قال عنه الشيخ " وإنَّ للتقديم والتأخير في وضع الجمل وأجزائها في القرآن دقائق عجيبة كثيرة لا يحاط بها وسننبّه على ما يلوح منها في مواضعه إنشاء الله"⁶، ومنه تقديم المفعول فيكون لفائدة الحصر كما في قوله تعالى { إياك نعبد }، ويكون لمجرة الاهتمام كما { وأما ثمود فهديناهم }، ويكون لغرض لفظي كالسجع كما { ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فأسلوكوه }⁷

¹ د. علوان: من بلاغة القرآن ص 199

² ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ص 257

³ ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 12 ص 137

⁴ المصدر السابق سابق نفسه ج 21 ص 195

⁵ ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 9 ص 48

⁶ المصدر السابق، ج 1 ص 110

⁷ ابن عاشور: موجز البلاغة، ص 19

الالتفات: هو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طرق آخر منها¹، وقد سمّاه ابن جني²، وابن الأثير³ بشجاعة العربية لأنه يجدد نشاط السامع وينبهه لكي يعي كل شيء ولا يغفل، وسمّاه البعض الاعتراض، والآخرين الاستدراك⁴، وسمّاه أسامة بن منقذ الإنصراف⁵، وصاحب البرهان الصرف⁶، الصرف⁶، لكن البلاغيين ساروا على مصطلح الالتفات. قال ابن عاشور عنه مفخما أمره هو من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العرب وإنه جاء القرآن كثير ومن أجله يتجدد نشاط السامعين⁷، ومثله في مواضع كثيرة، منها "الحمد لله رب العلمين" إلى قوله {إياك نعبد}، فإن مقتضى الظاهر أن يقول إياه نعبد⁸ لكنه عدل عن الغائب إلى المخاطب.

الإيجاز والإطناب: يعتبر هذا الباب من أهم أبواب البلاغة، أدقها حتى عرّفت البلاغة بأنّها هي الإطناب والإيجاز⁹، وقال الشيخ عنه "ومن أبدع الأساليب في كلام العرب الإيجاز، وهو متنافسهم، وغاية تتبارى إليها فصحاءهم، وقد جاء القرآن بأبدعه... وفيه إيجاز آخر، وهو صلوحية معان متعددة كلها تصلح لها العبارات باحتمالات لا ينافيها اللفظ"¹⁰، وقال جار الله الزمخشري "الحذف والإختصار هو نهج التنزيل"¹¹، لقد تكلم الشيخ عنه في مواضع كثيرة من تفسيره و"موجز البلاغة".

الإيجاز: هو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح¹²

ينقسم إلى قسمين::

القسم الأول: الإيجاز بالقصر

القسم الثاني: الإيجاز بالحذف

¹ محمد بن بهادر بن عبيد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3 ص 314، الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج 1 ص 37

² أبو الفتح ابن جني: الخصائص، ج 2 ص 360، جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج 1 ص 234.

³ ابن الأثير: المثل السائر، ج2 ص 168

⁴ ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعراء وآدابه ونقده، ج2 ص 45

⁵ أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص 200

⁶ أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 152

⁷ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1 ص 116

⁸ ابن عاشور: موجز البلاغة، ص 40

⁹ السيد أحمد الهاشمي جواهر البلاغة، ص 32، سرّ الفصاحة، ص 194

¹⁰ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 1 ص 93

¹¹ جار الله الزمخشري: الكشاف، ج 4 ص 503

¹² السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ص 197، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت

الإيجاز بالقصر: هو "التعبير عن المعنى عن المراد بلفظ أقل منه مع الوفاء به، ولقد شرحه العلامة ابن عاشور قائلا: "إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفًا ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق، زيادة على جمعه المعاني الكثيرة في الكلام القليل، ومن ذلك قوله تعالى { لكم في القصص حياة }¹، قال عنه ابن الأثير: " فإنه قوله تعالى { القصص حياة } لا يمكن التعبير عنه إلا بالفاظ بالفاظ كثيرة"²

الإيجاز بالحذف: عرّفه الشيخ فقال " إذا نقصت الألفاظ عن عدد المعاني مع إيفائها بجميع تلك المعاني فذلك إيجاز"³، ومن أقسامه ما ورد في الكتاب العزيز عند ابن عاشور: حذف القول: ومثله بقول الله تعالى { ما سلكم في سقر }⁴ المحذوف فيها (قالوا ما سلككم في سقر)⁵،

وحذف المضاف: ومثله بقول الله تعالى { واسئل القرية } والتقدير واسئل أهل القرية⁶، حذف الجمل: ومثله بقول الله تعالى { فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق }⁷، والتقدير: فضرب فانفلق⁸. له أقسام أخرى، كحذف الحرف، والفعل، والموصوف، والصفة وغيرها، وهي مبينة في تفسير العلامة. الإطناب: هو التعبير عن المراد بزائد، أي: بلفظ زائد على الأصل المراد لفائدة⁹

عرّفه الشيخ فقال " إذا زادت الألفاظ على عدد المعاني مع عدم زيادة المعاني فذلك الإطناب مثل التوكيد اللفظي وذكر الخاص بعد العام والتفسير"¹⁰، ومثله بقول الله تعالى { إن الإنسان خلق هلوعا 19 إذا فسه الشر جزوعا 20 وإذا مسه الخير منوعا 21 }¹¹ فجاء الإطناب مفسرا¹، ومنه قوله تعالى { براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين (1) وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين

¹ ابن عاشور: التحرير ج 1 ص 122

² المثل السائر ج 2 ص 338

³ ابن عاشور: موجز البلاغة، ص 29

⁴ سورة المدثر الآية 42

⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 29، ص 325

⁶ ابن عاشور: موجز البلاغة، ص 29

⁷ سورة الشعراء 63

⁸ ابن عاشور: موجز البلاغة، ص 30

⁹ خلاصة المعاني: الحسن بن عثمان بن الحسين المفاتيح: د. عبد الرحمن حسين ص 283، الناشرون العرب، الرياض

¹⁰ ابن عاشور: موجز البلاغة، ص 29

¹¹ سورة المعارج الآيات 19-21

كفروا بعذاب أليم { التوبة: 3، قال ابن عاشور: " وجاء التصريح بفعل البراءة مرة ثانية دون إضمار ولا اختصار بأن يقال: وأذان إلى الناس بذلك أو بها أو بالبراءة؛ لأن المقام مقام بيان وإطناب لأجل اختلاف أفهام السامعين فيما يسمعون، ففهم الذكي والغبي، ففي الإطناب والإيضاح قطع لمعاذيرهم واستقصاء في الإبلاغ لهم"²

وذكر لهذا الإطناب أغراض كثيرة منها: التشويق، والتنويه، والتشريف، والإيضاح، والتقريب، والتذكير وغيرها من الأغراض.

وهكذا تحدث عن التشبيه ومثله بأمثلة كثيرة مثل "هذا الفرس كالتائر في السرعة"³ وعن الاستعارة مثلها بقول الله تعالى { واشتعل الرأس شيباً }⁴ وعن الكناية ممثلاً قوله تعالى { وضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً }⁵ قال " والضرب على الأذان كناية عن الإنامة؛ لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان ، وهذه الكناية من خصائص القرآن لم تكن معروفة قبل هذه الآية وهي من الإعجاز، وهكذا تحدث عن غيرها من الفنون البلاغية ومثلها بأمثلة من القرآن الكريم، فكتابه " التحرير والتنوير، كموسوعة للفنون البلاغة القرآنية. ونضيف إلى ذلك بأنه طبق نظرية النظم، التي قواها الإمام عبد القاهر الجرجاني، على أي الذكر الحكيم، فبين كيف أمن القرآن الكريم هو منتهى البلاغة والإحكام في النظم"⁶

الخاتمة: لقد دل هذا الكتاب على إمامة العلامة ابن عاشور رحمه وطول باعه ورسوخ قدمه في علوم شتى، منها علم البلاغة، ليس هو مجرد ناقل ولا تفسيره هذا كالتفسير التي تكون عالة على ما سبق، ولكنه عالم فاضل ومجتهد ذو رأي سديد، كثيراً ما كان ينتقد المفسرين السابقين ويطبق آراءهم، جاء في هذا التفسير بكثير من الفنون البلاغية ومسائلها، وبينها وقلما ترك مسألة بلاغية تعرض لها آية قرآنية، من أعظم ما أمتاز به هذا التفسير وتفوق على كثير من التفسير المتداولة، هو البيان عن البلاغة القرآن، إنه كموسوعة ضخمة لكل ما يتعلق بآيات القرآن من حيث بلاغته وعظيم فصاحته.

¹ ابن عاشور: موجز البلاغة، ص 29

² ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 10 ص 109

³ ابن عاشور: موجز البلاغة، ص 31

⁴ سورة مريم الآية 4

⁵ سورة الكهف 11

⁶ تفسير التحرير والتنوير يمتاز: الكاتب ESLAMIBRAHIM، موسوعة موضوع، الرابط: <https://mawdo33.com>

المصادر والمراجع

- 1: د. بلقاسم الغالي: من أعلام الزيتونية شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1417 هـ.
- 2: د. إياد خالد الطباع: محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، دار القلم، الطبعة الأولى، 1426 هـ.
- 3: محمد بن الحبيب بن الخوجة: شيخ الإسلام الإمام الكبير محمد الطاهر بن عاشور، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، 1425 هـ.
- 4: ابن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون، للنشر والتوزيع، تونس.
- 5: د. بلقاسم الغالي: أعلام الزيتونية،
- 6: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، محمد الحبيب بن الخوجة، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، 1425 هـ.
- 7: محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع، دار القلم، الطبعة الأولى، 1426 هـ.
- 8: محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون.
- 10: د. محمد بن إبراهيم الحمد: التقريب لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور
ابن عاشور: موجز البلاغة.
- 11: محمد بن بهادر بن عبيد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، 1391 هـ.
- 12: الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1422 هـ.
- 13: أبو الفتح ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، 1403 هـ.
- 14: جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1408 هـ.
- 15: ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، علق عليه: أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط: 2/ بدون تاريخ
- 16: ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعراء وأدابه ونقده، تحقيق محمد مجي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، 1383 هـ.
- 17: أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد الحميد، القاهرة 1380 هـ.
- 18: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب: البرهان في وجوه البيان، د. أحمد مطلوب و الدكتورة خديجة الحديثي، بغداد 1387 هـ.
- السيد أحمد الهاشمي جواهر البلاغة، دار الفكر، 1421 هـ، سر الفصاحة،
- 19: جار الله الزمخشري: الكشاف.
- 20: خلاصة المعاني: الحسن بن عثمان بن الحسين المفاي: د. عبد الرحمن حسين، الناشر: العرب، الرياض.
- 21: تفسير التحرير والتنوير يمتاز: الكاتب ESLAMIBRAHIM، موسوعة موضوع، الرابط: <https://mawdo33.com>

فعل الكتابة في الفكر الصوفي



الدكتور عطار خالد
جامعة تيسمسيلت الجزائر

Abstract: The strategy of writing in mystical thought is a fundamental idea of Sufism. Writing provides a place to understand the journey of existence in the light of the principle of the unity of life, that is, the unity and solution that connects man to God. And in this case, the mortal knower is not the one who speaks and thinks, but a higher being who speaks on his tongue and directs his fingers that the words come down as revelation; they come down from the mystery of existence. They say about revelation, and the language of solution in the divine essence, which is the language of its mystery, its symbol; and so, it is a non-linguistic language.

Keywords : Sufism, writing, Symbol, Metaphor.

الملخص: تقوم استراتيجية الكتابة في الفكر صوفي على فكرة جوهرية يقوم عليها الوجود الصوفي، حيث تعتبر الكتابة فضاء لتحقيق السّفر الوجودي في ضوء مذهب وحدة الوجود والاتحاد والحلول أين يتّحد الإنسان بالإلهي، وفي هذه الحالة ليس العارف الفاني من ينطق ويفكر، وإنما هناك ذات عليا هي من تنطق على لسانه وتوجّه بنانه، فالكلمات تنزل كما يتنزل الوحي من سرّ الوجود، إنّها كلمات الأحوال والكشف، ولغة الحلول في الذات الإلهية لغة سرّها في رمزيّتها إنّها لغة اللاّلفة.

الكلمات المفتاحية: الصوفية، الكتابة، المجاز، الرمز.

انتقل الفكر الصّوفي في سيرورته التّاريخية من فعل سلوكي إلى قيمة معرفية ولغوية، انتحت خطاباً ثراً شغل عبر العصور الفقهاء والمفكرين واللّغويين الذين حاولوا جميعاً إخضاعه لقراءاتهم انطلاقاً من تصوراتهم الإيديولوجية، وخلفياتهم المعرفية لكن هذه القراءة ظلت مجرد احتمال من الاحتمالات المتعدّدة لفهم الخطاب الصّوفي لارتباطه بإشراقات عرفانية، ومن المفاتيح التي تساعد بشكل كبير على فهم هذا الخطاب استيعاب مفهوم الكتابة في ففكرهم وأدبياتهم.

1_ مفهوم الكتابة: لا بدّ قبل الولوج إلى عالم الكتابة الصّوفية المرتبطة بالتّجارب الرّوحية من التّعريج على مفهوم الكتابة عموماً كممارسة إنسانية في حقل وثقافة معينة، وفي ارتباطها بالشّفوية كحدث لساني يرتقي إلى صفة الرّسم الكتابي.

الكتابة والشّفوية فعّالان إنسانيان بامتياز، لا نعرف كائناً وجودياً آخر يمارسهما، يكشفان عن وعي متغلغل في الماضي، ومتجذر في الحاضر، ويستشرف مستقبلاً. والشّفاوية سابقة أوليّة، فالإنسان قبل أن يتعلّم الخطّ كان يقدّم معارفه مشافهة، وفي مرحلة متأخّرة تلتها الكتابة، فشرط وجود الكتابة وجود الشّفوية ونعني بالكتابة «كلّ ما هو منتمي للغة مكتوبة، نقيض أو مقابل الشّفهي الذي ينتهي للغة المنطوقة أو الناطقة، ونشير إلى الرّمز أو النّظام الكتابي أو المخطوط للدّلالة على نظام خاص نستخدم فيه الرّموز اللّغوية التي تنشأ في كل مرّة تتمثل فيه لغة ما، أو تتجسد من خلال الكتابة»¹، فالكتابة حالة تطوريّة وحضاريّة معا تحيل على وعي ناضج.

والكتابة عمل فردي يتميز بالدّاتية، لكنّها تشكّلت من عدة نصوص سابقة متداخلة، وهي نوع من الصّناعة في شكلها المتطور، وهي تستدعي القراءة كما تستدعي الشّفاوية السّماع، وما دامت الكتابة عمل فردي فهي مجبرة على توضيح نفسها بنفسها من خلال لغة واصفة تختلف باختلاف أشكال الخطاب «فجمهور الكاتب هو دائماً جمهور متخيّل، والكاتب مطالب بأن يريّ دوراً يمكّن للقراء الغائبين وغير المعروفين غالباً أن يقوموا به؛ بل إنني عندما أكتب إلى صديق حميم أجد لزاماً عليّ أن أخلق حالة مزاجية له أتوقع أن يتلبّس هذه الحالة وعلى القارئ كذلك أن يتخيّل الكاتب، ففي الوقت الذي يقرأ فيه صديقي خطابي، ربّما كنت في حالة عقليّة تختلف كلية عن حالتي عندما كتبت الخطاب»²، وهذا أحد أسى أهداف الكتابة، إنّها للتأثير في القارئ.

وبما أنّ الكتابة عمل ذاتيّ فمن سماتها التّأمل والعزلة، والخصوصية والتّركيز؛ أي أنّها محاطة بوعي شديد التّمحيص، مجبرة أن تضع معناها في داخلها عبر صيرورتها التّركيبية، بخلاف التّعبير الشّفهي الذي يكون في الغالب مصحوباً بكيمّ من الإشارات المساعدة على توجيه المعنى وتقليل نسبة التّأويلات، بينما الكتابة مفتوحة على كلّ التّأويلات لصلتها مع العالم الخارجي المحيط بها «فلقد نجحت الفلسفة الحديثة في إقناعنا بأنّ كلّ وعي هو وعي بشيء ما، سواء أكان بالدّات أم بعالم الأشياء الذي يحيط بنا ويستخلص جورج بوليه من ذلك هذا

1_ محمد الهادي بوطارف، المصطلحات اللّسانية والبلاغيّة والأسلوبية والشّعريّة انطلاقاً من التّراث العربي ومن الدّراسات الحديثة، دار الكتاب الحديث، الجزائر، دط، دت، ص333.

2_ والترج أونغ، الشّفاوية والكتابية، تر، حسن البنا عز الدين، ومحمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1993، ص157.

القانون العام: قل لي كيف تتصور الزمان والمكان؟ وتفاعل الأسباب أو الأعداد؟ أو قل أيضا كيف تقيم الصلّات مع العالم الخارجي؟ وسأقول لك من أنت»¹، فالكتابة مستقلة منفصلة عن مؤلفها.

وهذا التّصور لفعل الكتابة هو ذاته عند الصّوفيّة الذين يرون أنّ الكتابة مفصولة عن مؤلّفها كذلك لأنّها مرتبطة بالذّات الإلهيّة، فما يكتبه الصّوفي ما هو إلهي، فإنّ «أولها الله وآخرها ما لا نهاية له»²، ولها هدفان «هما الدّهشة والحيرة»³، ووصلهم المعرفة والكتابة بالحيرة والدّهشة أمر طبيعي لأنّهما من صميم التجربة الصّوفية، ولا يختلف الأمر عند ابن عربي الذي يجعل من الكتابة برزخا يربط بين الإلهي والإنسي، وهي فعل يتكوّن من داخل علاقة الكاتب بالمطلق.

الكتابة في شكلها المطلق عند الصوفي ذات بعد عرفاني تتمثّل في مسعاه للاقتراب من المطلق ومن الألوهيّة «التي يخترنها في ذاته، لأنّ المعراج الصّوفي سفر ذاتي لسماع صوت المطلق، وبلوغ منطقة المطلق يقتضي عبور مقامات هي أصلا مقامات الكتابة، ويبدو أنّ الكتابة لم تكن وجهة ابن عربي في سفره الوجودي، غير أنّه عاش أهوالها عندما بلغ مقامها في شعره الرّوحي، لأنّه كان منشغلا بسماع الوحي الذي خُصّ به الولي بعد انقطاع وحي التّشريع»⁴، فالكتابة غير الصّوفية إنسانية الاتّجاه والزّعة لاستنادها على الفكر و«الفكر معلول»⁵ على حدّ تعبير ابن عربي، أمّا الكتابة الصّوفية فذات اتّجاه غيبي عرفاني، ومرجع هذا الفرق هو أنّ العلم عند الصوفي علمان علم كسي وآخر وحي.

أ- العلوم الكسبيّة: يسعى فيها العبد بما أوتي من قوى عقليّة ونفسيّة، لأنّه يكتسبها عن طريق الفعل الإنساني القائم على علاقة المعلّم بالمتعلّم.

ب- علوم وهبيّة: وهي علوم لا يحصل عليها الإنسان من أفواه العلماء ولا من خزانات الكتب، إنّها علوم التّجليات التي يكتسبها العارف برفع الحجب «ولا تُرفع هذه الحجب...إلا إذا كانت الجبلّة طاهرة الأصل والنّشأة...فهي علوم من تجلّيات على القلب على من غلبه سلطان الوجد وحال الفناء»¹، ويُعتبر بعض أقطاب الصّوفية من أصحاب تجلّيات خاصة الخاصة الذين ورثوا العلم عن الأنبياء والرّسل، وعلومهم كلّها وهبيّة استحقّها أهل الحقيقة بالمرتبة «ومرتبة أهل الكشف ما أعظمها حيث ألحقت أصحابها بالرّسل والأنبياء عليهم السلام، فيما خصّوا به

1_ رضوان ظاظا، مناهج النّقد الأدبي، مترجم، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1997، ص101.

2_ القشيري، الرّسالة القشيرية، 602/1.

3_ القشيري، المرجع نفسه، 605/1.

4_ خالد بلقاسم، الكتابة والتّصوف عند ابن عربي، ص88.

5_ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، 232/2.

من العلم الإلهي لأنّ العلماء ورثة الأنبياء وما ورثوا أي الأنبياء دينارا ولا درهما بل ورثوا العلم²، والكتابة التي تعتمد على هذا العلم لا تموت لأنّها تستمدّ وجودها من الإلهية، أمّا الكتابة المعتمدة على العلم الأوّل فهي محدودة زائلة بزوال حقائنها النسبية، فكثير من العلوم ثبت زيفها فتركت لمجانبتها الصواب أو المنطق.

والجامع بين الفعلين الأوّل والثاني هو فعل الخلق والإبداع، فالكتابة حدث إبداعي حدث يولد من يد المبدع، فكلمّا كانت يد المبدع متّصلة بالفعل الأوّل للكتابة كانت أصدق من غيرها، ويقصد بالفعل الأوّل «القلم الأعلى واللّوح المحفوظ...» وإذا قلت القلم الأعلى فتفطن للإشارة التي تتضمنها الكاتب، وقصد الكتابة فيقوم معك قول الشارح إنّ الله خلق آدم على صورته، ثم عبارة الشارح في الكتاب العزيز في إيجاد الأشياء عن كُنْ³، والمعنى أنّ الإنسان ليس وحده الكاتب، ولكن الله هو كاتب أيضا، والكتابة الإلهية ليست مادية، ولكنها تعينية، والإنسان تعيين منها، والدليل فعل الخلق (كُنْ) فالإنسان كان من فعل الأمر (كُنْ) الذي دلّ على التكوين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:82)، وهذا الجمع بين الإنساني والإلهي في فعل الكتابة مصدره عند الشيخ ابن عربي -مثلا- القول بمذهب وحدة الوجود أين يرى الأشياء في حالة من الاجتماع والتكامل، ويظهر هنا التكامل والجمع في قوله: «القلم محل التفصيل، والنون يقصد نون الفعل (كُنْ) محل الإجماع واللّوح محل التدوين»⁴، ويقول الجيلي (ت1428م): «القلم عبارة عن أول تعيينات الحق في المظاهر الخلقيّة على التمييز، وقولي على التمييز هو لأنّ الخلق له تعيين إلهامي أولا في العلم الإلهي، ثمّ له وجود مجمل حكيم في العرش، ثمّ له ظهور تفسيري في الكرسي، ثمّ له ظهور على التمييز في القلم الأعلى، لأنّ ظهوره في القلم وجود عيني مميّز عن الحقّ، وهو -أعني القلم الأعلى- أنموذج ينقش ما يقتضيه اللّوح المحفوظ، كالعقل فإنّه ينقش ما تقتضيه النّفس، فالعقل بمكانة القلم والنّفس بمكانة اللّوح»⁵. في القول ربط لنشاط الكتابة بالخلق والصّوفية من القائلين بالجبرية، فكلّ صادر عن الإنسان ما هو إلا تابع للفعل الأوّل فعل الخلق والتكوين، فالكتابة عند الإنسان ما هي إلا فعل إلهي والجامع بينهما هو الخلق فكلّ ما هو إنساني حقيقته إلهي مسطور في اللّوح المحفوظ.

1_ ابن عربي، المصدر نفسه، 389/2.

2_ نفسه، 139/3.

3_ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، 210/1.

4_ ابن عربي، الميم والواو والنون، ص75.

5_ ابن عربي، المصدر نفسه، ص76.

وما نصّ عليه الذكر سابقا من أنّ الوجود متعلق بالقلم واللّوح رمز الإيجاد والخلق، وفعل الأمر (كُنْ) دلّ على التّلقّي من الله تعالى مباشرة فحقيقته أنّ الكتابة سارية في كل الصّور والأشكال، فهي وحي إلهي يتلقّاه الصّوفي ومصادرها الآتي:

1.1_ علم الأسرار: وهو علم وهيّ مصدره الكشف، لا تقدر العقول على إدراكه «إذا أخذته العبارة سمج واعتاص على الأفهام دركه وخشن، وربما مجّته العقول الضعيفة... لهذا صاحب هذا العلم كثيرا ما يوصله إلى الأفهام بضرب الأمثال»¹، واللّجوء إلى الأمثال عند الكتابة سببه أنّ اللّغة العادية لغة العامة تعجز عن حمل تلك الأسرار فلا بدّ من الكلام الرّامز القائم على المجاز من تشبيه واستعارة وكناية.

2.1_ علم الأحوال: الحال «صفة تكون في وقت دون وقت كالسُّكر والصّحو، والغيبة والرضى، أو يكون وجودها مشروطا بشرط فتتعدم لعدم شرطها كالصبر مع البلاء»²، والكتابة مع الحال هي نوع من الانتشاء يغيب فيها العقل ومنبعها المخيلة الطليقة التي عمّت العارف خلال مكاشفته، وكلّما تقدّم في الأحوال كلّما تعمقت مكاشفته واستعصت كلماته على الفهم، حتّى تصل إلى الشّطح الذي إن أخذ على ظاهره دون تأويل حكم على صاحبه بالكفر والزندقة.

3.1_ علم الإلهام: وهو علم يكتسبه العارف وقد تدرّج في الأحوال إلى أعلى المراتب، فاقترّب من الكمال الفعليّ «فيصبح مدركا لما ألهمه الله وأوقره في نفسه»³، والإلهام نوع من الوحي فقد جاء في لسان العرب «الوحي الإشارة والكتابة والرّسالة والإلهام والكلام الخفي، وكلّ ما ألقينته إلى غيرك»⁴، فابن عربي -مثلا- يقول على كتابه الفتوحات المكيّة: «بنيت كتابي هذا بل بناه الله لا أنا على إفادة الخلق فكّله فتح من الله تعالى»⁵، وهذا النّوع من الكتابة نجده بكثرة عند ابن عربي تعددت فيه صور الإلهام بين الوحي بالسمع والتّلقّي بالرقّ المكتوب، والإلقاء في الخاطر، فمن صور هذا الإلهام الأخير قوله في "فصوص الحكم": «فإنّ حكم موسى كثيرة وأنا إن شاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري»¹، فالإلهام عند الصّوفيّة وحي خصّ به الخالق رجاله من أوليائه الصالحين.

4.1_ علم الدّوق: الدّوق له أهميّة كبيرة في العرفان الصّوفي، لأنّ مدارك أهل الطّريقة متشعبة ومنها ما لا

1_ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، 74/4.

2_ ابن عربي، المصدر نفسه، 33/1.

3_ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، 310/4.

4_ ابن منظور، لسان العرب، 379/15.

5_ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، 74/4.

يدرك إلا بهذا العلم، يقول الغزالي: «ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسَّماع والتَّعليم بل بالدَّوق والسَّلوك»² فلا يمكن معرفة ما ينتج عن الدَّوق إلا بالدَّوق. يقول أحد شعراء الصَّوفية:

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَابِ الْقَوْمِ يَدْرِيه * وَمَنْ دَرَأَهُ غَدَا بِالرُّوحِ يَشْرِيه

**

وَذُو الصَّبَابَةِ لَوْ يُسْقَعُ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفِ * فَاسِ وَالْكُونُ كَأَسَا لَيْسَ يَرُويهِ³

**

فبالدَّوق ينحصر المفهوم والدَّلالة والاستدلال بالذَّائق، ويقول ابن عربي: «إِنَّ الدَّوقَ عِنْدَ الْقَوْمِ أَوَّلُ مَبَادِيِ التَّجَلِّيِّ، وَهُوَ حَالٌ يَفْجَأُ الْعَبْدَ قَلْبَهُ، فَإِذَا أَقَامَ نَفْسِينَ فَصَاعِدَا كَانَ شُرْبًا، وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الشُّرْبِ رِيٌّ أَمْ لَا، فَذَوُقْهُمْ فِي ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ»⁴.

فالدَّوق والإلهام والأحوال والأسرار كلها علوم وهبيّة، يهبها الله لمن يشاء من عباده بها حقق الصَّوفية كتابة خاصة تعرف باسم علم الباطن معبرين بالإشارة والتَّلميح ما حازوه من حقيقة كاملة لا شكَّ فيها، فالكتابة بهذا المعنى ذات صلة بالتَّجربة بالمعنى الصَّوفي لا المعنى العلمي المؤطَّر بالمنهج التجريبي وأطواره المعروفة، فالكتابة عند الصَّوفية هي طريقة ورياضة، ومجاهدة ونيّة وقصد، وأحوال، ومقامات وفتوحات ربانيّة يتذوقها السَّالك عملاً فتعطيهِ علماً يسجِّله في الطُّروس فيستعصي على الفهم لأنَّه تجربة ذاتيّة، وعلم ذوقي.

وتجربة الكتابة عند شيوخ الصَّوفية ممن يؤمنون بوحدة الوجود، وإن حوت الكثير من المعارف فإنَّها كُشفية مسعاهم فيها الاقتراب من الألوهيّة التي يخزنونها في ذاتهم، وبلوغ منطقة المطلق الذي يقتضي عبور مقامات هي أصلاً مقامات الكتابة، أمّا الهدف والغاية فهما تحقيق السَّعادة لهم ولغيرهم، وتحقيق الاطمئنان للنفس وتجنُّبها الشَّكَّ والرَّيب، والظَّنَّ، والجهل، وهذا لا يتحقَّق إلا بإدراك مراتب اليقين الثلاث، وتفصيلها:

أ_علم اليقين: هذا العلم هو أوَّل مراتب اليقين هدف الصَّوفي وهو ما يتحقَّق عن طريق استخدام العقل، فعلم اليقين «ما أعطاه الدَّليل الَّذي لا يحتمل الشُّبُهَة الواردة من الخاطر»⁵، ويصل صاحب هذا العلم لإدراك الألوهيّة بمعرفة الله معرفة يقينيّة لا تدع مجالاً للشَّكَّ.

1_ ابن عربي، فصوص الحكم، ص 197.

2_ الغزالي أبو حامد، المنقذ من الظَّلال، ص 82.

3_ ابن عربي، رسالة الانتصار، تج. عبد الرّحيم مارديني، دار المحبة، دمشق، دط، دت، ص 39.

4_ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، 548/2.

5_ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، 132/2.

ب_ عين اليقين: مرتبة خاصة بأهل الكشف؛ لأنها مرتبة ترتفع فيها الحجب بعد أن مرت بعلم اليقين أين عرف الله، فلا تصح «المعرفة بالله لأحد حتى يتعرف إليه ويعرفه بظهوره، فيبصره من القلب عين اليقين بنور اليقين»¹، يقول ابن عربي:

وَلَمَنْ لِلْعَيْنِ لَطِيفٌ * لَذَا سَأَلَ الْمُعَايَنَةَ الْكَلِيمُ²

**

معنى

يقصد طلب سيدنا موسى _ عليه السلام _ من المولى عز وجل الرؤية العينية والواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 143)، وهذا هو عين اليقين بنور اليقين لحصول المشاهدة.

ج_ حق اليقين: ثالث درجات الوصول إلى إدراك الحقيقة اليقينية وهو ثمرة الوصول إلى عين اليقين، فالعين التي أدركت ألوهية ربها ثم انكشفت لها الحجب بالفناء في ذات مولاه ووصولها قد تحقق وعندها تنزل على الأرواح معارف إلهية تبهجها وتسعدها.

وهذه المراتب يدل ابن عربي على صحتها من القرآن الكريم فيقول: «فالثلاثة كتابية، علم، وعين، وحق»³، فالأنواع وردت في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر: 05)، وعين اليقين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر: 07)، وأخيرا حق اليقين في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الحاقة: 51).

فالكثابة عند الصوفية ومنهم هدفها إبراز صفات الله وأسمائه والوصول إلى مرتبة الفناء بحصول الكشف والمشاهدة.

كما أن فعل الكثابة الصوفية مرتبط بفعل آخر هو صورة من صوره، ونقصد به فعل الكلام، وهو حدث سابق لكل كتابة موجود بالقوة فيها، لكن الصوفي يربط الكلام بالحدث الأول أي الكلام الإلهي وعليه فهو يعقد مفهوم الكلام عنده بثنائية متلازمة (الصمت والكلام) فيصبح الصمت الباطن والكلام الظاهر، والصمت رياضة صوفية، إذ المتصوف في طريقه لتحقيق المعرفة يصفو كلامه وتدق عباراته، فالتجربة أعمق من أن يعبر عنها لسان الحال أو المقال فتستلزم الصمت، وقد عبّر ابن عربي عن ذلك بقوله: «فإني كنت شديد القهر لنفسي في

1_ ابن عربي، رسالة الانتصار، ص 86.

2_ ابن عربي، المصدر نفسه، ص 86.

3_ ابن عربي، حلية الأبدال، ضبط شهاب الدين العربي، دار صادر بيروت، ط 1، 1997، ص 62.

الكلام»¹، والصمت كما قيل في وقته صفة الرجل، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال، ويُصنّف الصمت عند الصوفية كما يلي:

- صمت أدب: وهو من آداب الصوفية وأخلاقهم.
 - صمت بسبب: وهو صمت المريد عن كشف أو فيض إلهي أخرس لسانه.
 - صمت عبادة: وهو صمت عندما يأخذ الآخرين في الغيبة والنميمة.
 - صمت رياضة: كما قال بشر بن الحارث: "إذا أعجبك الكلام فأصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم"².
- ويقسم ابن عربي الصمت إلى صمت اللسان أو صمت القلب، وصمت السر. «الصمت على قسمين: صمت باللسان، عن الحديث بغير الله تعالى مع غير الله تعالى جملة واحدة. وصمت بالقلب: عن خاطري خطرله في النفس في كون من الأكوان البتة، فمن صمت لسانه ولم يصمت قلبه خف وزره.

ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سرّه وتجلّى له ربّه، ومن صمت قلبه، ولم يصمت لسانه فهو ناطق باللسان بالبيان والحكمة، ومن لم يصمت بلسانه ولا بقلبه كان مملكة للشيطان ومسخرة له»³.

فبالصمت تحصل المشاهدات، ويحدث الاتصال بالله، وتجربة المشاهدة تركّز على التلميح دون التصريح وعلى الإشارة دون العبارة، وهذا الرمز له مرجعية لغوية صوفية تتمثل في عجز البيان عن الإفصاح «ثم قال لي: أنظر في النظم المحصور، وهو موضع الرمز، ومحلّ للغز الأشياء، ولو علم أنّ في شدة الوضوح لغز الأشياء ورمزها لسلكوها، أنزلت الآيات النيرات دلائل لمعان لا تفهم أبدا»⁴، فالمعنى الذي يتجلّى للتجربة العرفانية يبقى خافيا مستورا لا يمكن الإفصاح عنه إلا بالرمز.

فالصمت هو طريق للكشف، وتعبير عن المطلق إذا تحقق جاز الكلام، فالذي خلق الكلام هو الله، وهو المتكلم في الحقيقة، أما في حقيقته فهو صامت، لذلك اعتبر ابن عربي الكلام حضورا والصمت غيابا، فالكلام هو لكلّ الناس عامتهم وخاصتهم، أما الصمت فهو لأهل الأحوال ولخاصتهم «أشهد في الحق بمشهد نور الصمت،

1_ ابن عربي، روح القدس في مناصحة النفس، تح. حامد طاهر، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 2006، ص284.

2_ ابن عربي، حلية الأبدال، ص50.

3_ ابن عربي، حلية الأبدال، ص51.

4_ ابن عربي، مشاهدة الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية، تح. سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص63.

وظلوع نجم السلب، فأخرسني فما بقي في الكون موضع إلا ارتقم بكلامي، وما سطر كتاب إلا من مادتي وإلقائي¹، فلولا الصمت الذي هو سرّ رباني لما تمكّن ابن عربي من الكلام والتسطير. فالصمت حالة عدميّة غائبة باطنيّة، والكلام حالة وجوديّة ظاهرة لها علاقة بالذات الإلهيّة ففعل الأمر فعل التكوين (كن) كلام به كان الوجود في صورته الماديّة، أما الصمت فيلتبس بالمعنى الوجودي الذي يخص الذات الإنسانية وبخاصة العارف «الصمت حقيقتك»²، وتتجلّى هذه الحقيقة لتتداخل مع الكلام في امتزاج جدلي، ويدخلنا في عمليّة تأويل «ثم قال لي: على الكلام فطرتك، وهو حقيقة صمتك، فإذا كنت متكلمًا فأنت صامت»³؛ أي كلّ شيء يتكلّم بالضرورة لأنّه خلق على الفطرة تكلم باللسان أو بغيره كالخاطر، فالعالم بما فيه من أشياء وموجودات لا ينقطع عن الكلام أبداً، وتسبب الموجودات لله حقّ وإن لم تكن ناطقة هو من هذا الباب قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: 44)، وهذا لا يعرفه العارف أو يشعر به فقط؛ بل يراه في صورته الحقيقية الناطقة، والإنسان إنّما رزق اللسان بسبب التفضيل فقد خلق الله آدم على صورته. فابن عربي يكتب بما تملّيه التجربة الصوفيّة من كتاب الكشف العرفاني حيث يتصل الأوّل بالآخر والغائب بالحاضر والخالق بالمخلوق في صورة وجودية.

2_ تجربة الكتابة وأطوارها عند الصوفيّة:

التجربة الصوفيّة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة تجربة عرفانيّة قامت على سفر طويل نحو المطلق، وقدّموا هنا السّفر بما يكشف عنه من أسرار ربانيّة خصوصاً إذا كان هذا السّفر الذي عثر عنه ابن عربي حين ميّز بين ثلاثة أسفار في قوله: «الأسفار ثلاثة لا رابع لها أثبتّها الحقّ عزّ وجلّ وهي سفر من عنده وسفر إليه، وسفر فيه، وهذا السّفر فيه هو سفر التّيه والحيرة فمن سافر من عنده فريحه ما وجد وذلك هو ربحه، ومن سافر فيه لم يربح سوى نفسه، والسّفران الأوّلان لهما غاية يصلون إليها ويحطّون عن رحالهم، وسفر التّيه لا غاية له»⁴، وفي هذا

1_ ابن عربي، مشاهدة الأسرار القدسيّة ومطالع الأنوار الإلهيّة، ص 66.

2_ ابن عربي، المصدر نفسه، ص 66.

3_ نفسه، ص 66.

4_ ابن عربي، كتاب الأسفار عن نتائج الإسفار، بمطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ط 1، 1948، ص 3.

السفر كانت الحقائق تتجلى والتجارب تتكشف بما يتكشف، وتحديد هذه التجربة ليس شيئاً هيناً فأهل الباطن من الصعوبة أن تقدمهم في صورة الظاهر.

1.2_ الكتابة بالسّماع:

لا يعتبر أوتاد الصوفية ما يكتب فعل إرادي، بل أمر إلهي تلقاه بالسّماع بعد أن أدرك مرتبة تسمح له بنيل هذا الشرف، والتي ذكرنا أنها تهيأت له عندما تحرر من بشريته، تهيو تغدو معه الكتابة تجربة في انتظار ما يُلقى إليه، لأنه يمثل صورة الإنسان الكامل الذي اكتملت لديه المعطيات البشرية، وغير البشرية للفهم والتلقي عن الذات الإلهية.

فالكتابة تولد لحظة تجربة ذاتية عند سماعها الصّوت، وبسماع هذا الصّوت يأتي الإذن بالكتابة فلا كلام إلا عن «طريق الإذن ولا يقف إلا على ما حدّ له»¹، والميلاد ظاهرة حتمية لأنّ الكتابة تتحوّل إلى مقام كباقي المقامات التي يدرّكها العارف ولا يستطيع أن يتجاوزها، بل عليه أن يرتقي من مقام إلى آخر في سفر طويل مجهول العواقب وجهته المطلق، سفر بريء خال من الأفكار المسبقة أو المعارف النظرية، وطرق تحصيل الإذن بالكتابة يكون بطريقتين، إذن بالكتابة في اليقظة يجسّده الوارد، وآخر في النّوم أداته الرّؤية.

أ- الوارد:

يعتقد الصّوفية أنّ الكلام الإلهي لم ولن ينقطع بانقطاع الوحي على الرّسل وإنّما يظلّ سارياً في الوجود، ويظلّ الصّوفي يسعى لإدراكه وسماعه وهذا ما لا يتأتّى إلا لمن أدرك مقام الولاية أو النّبوة العامة. والولاية مرتبة من مراتب القرب الإلهي يتولى فيها الحقّ العبد قال في الحديث القدسي: «من عاد لي ولياً فقد أذنته بالحرب» والولاية مرتبة لا تُكتسب مطلقاً، إنّما عند الصّوفية هي تعيين إلهي لمن اكتملت طاعته، ويعرفها "القشيري" (ت1073م) بقوله: «الوليّ هو الذي يتولّى الحقّ سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتّوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنّما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطّاعة، قال تعالى: «وهو يتولّى الصّالحين»²، ولهذا يذكر ابن عربي -وهو فيلسوف المتصوفة- أنّه لم يقصد شيئاً من مؤلفاته وإنّما هي وارد من الحقّ تعالى، «وما قصدت في كلّ ما ألفته مقصد المؤلّفين، ولا التّأليف، وإنّما كان يرد عليّ من الحقّ تعالى موارد

1_ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، 59/6.

2_ ينظر: ابن عربي، رسالة الانتصار، ص56، 54.

تكاد تحرقني، فكنت أتشغل عنها بتقيد ما يمكن منها، فخرجت مخرج التأليف لا من حيث القصد¹ فما الوارد إلا شكل من أشكال الوحي الذي لم يتوقف حسب الصوفية.

ب- الرؤية:

للمرؤية علاقة وثيقة بالوحي فهناك الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي أشارت إلى أن الرؤية الصادقة جزء من أجزاء النبوة منها حديث عائشة رضي الله عنها «لَا يَنْقُ بَعْدِي مِنَ النَّبُوءَةِ شَيْءٌ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ»²، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»³، مثل هذه النصوص فسحت المجال للصوفية لتبني الرؤية الصادقة وصلتها بالوحي خارج دائرة النبوة، فالرؤية بهذا نوع من المعرفة الغيبية «تحمل...بعدا ميتافيزيقيا يرتبط بالخيال والكشف مع تجاوز المجهول، وينطلق بقناعة العالم الغيبي، لأن الثقة فقدت مع العالم المحسوس»⁴، وهذا مذهب المتصوفة فالعالم المحسوس يدرك بالعقل، أما عالم الكشف فيدرك بالقلب، ومن منافذ الكشف الرؤية الصادقة التي لا يمكن ردها بنص الحديث النبوي الشريف، مع العلم أن للرؤية الصادقة شروط.

ويشير ابن عربي أنه تلقى الوحي عن طريق الرؤية وخاطبه الله من غير واسطة بكلام «لَا يَكَيْفُ، وَلَا يَشْبَهُ كَلَامَ مَخْلُوقٍ، عَيْنُ الْكَلَامِ هُوَ عَيْنُ الْفَهْمِ مِنَ السَّمْعِ، فَمِمَّا فَهَمْتُ مِنْهُ: «كُنْ سَمَاءً وَحَيٍّ، وَأَرْضَ يَنْبُوعٍ، وَجِبِلَّ تَسْكِينٍ، فَإِذَا تَحَرَّكَتْ فَلْتَكُنْ حَرَكَةً إِحْيَاءٍ وَسَكِينَةٍ، بِتَحْرِيكِكَ عَنْ وَحْيٍ سَمَاوِيِّ. ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِي نَظْمٌ فَكُنْتُ أَنْشُدُ:

جَعَلْتَ فِي الَّذِي جَعَلْتَا	*	وَقُلْتَ لِي أَنْتَ قَدْ عَمَلْتَا
وَأَنْتَ تَدْرِي بِأَنَّ كَوْنِي	*	مَا فِيهِ غَيْرَ الَّذِي جَعَلْتَا
فَكُلُّ فِعْلٍ تَرَاهُ مِنِّي	*	أَنْتَ إِلَهِي الَّذِي فَعَلْتَا» ⁵ .

كما رأى ابن عربي الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مما رآه تحصيل كتاب فصوص الحكم _ كما ذكرنا سابقا _ وروى الحادثة في مقدمة الكتاب بقوله: «أما بعد فإنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وبيده

1_ ابن عربي، التديبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، تح، حسن عاصي، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص17.

2_ الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دارالمعرفة، بيروت، دط، دت، 392/12.

3_ الحافظ بن حجر، المرجع نفسه، 404، 405/12.

4_ رواية يحيى، شعر أدونيس، البنية والدلالة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2008، ص115.

5_ محمود محمود الغراب، الرؤيا والمبشرات من كلام الشيخ الأكبر، دارالكتاب العربي، دمشق، ط2، 1993، ص63.

كتاب فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به على الناس ينتفعون منه...¹ ويزيد الشّارح على هذا أن الكتاب أي الفصوص من كتب الرّسول - صَلَّى الله عليه وسلّم - الباطنة ليس فيها زيادة أو نقص فمن أنكر على الشّيخ واعتقد أن هذا الكتاب من هوى نفسه فقد أخفق يقينه.

ومما تقدم تتّضح استراتيجيّة الكتابة عند الصوفية، فهي فضاء لتحقيق السّفر الوجودي في ضوء مذهب وحدة الوجود والاتحاد والحلول أين يتّحد الإنسان بالإلهي، وفي هذه الحالة ليس العارف الفاني من ينطلق ويفكر، وإنما هناك ذات عليا هي من تنطق على لسانه وتوجّه بنانه، فتكون الكتابة آلية فالكلمات تتهاطل من سرّ الوجود، إنّها كلمات الأحوال والكشف، ولغة الحلول في الذات الإلهية لغة سرّها في رمزيتها إنّها لغة اللّالغة بالتّعبير الأدونيسي².

فالكثابة عندهم عرفانيّة جمالية لارتباطها بالخيال المعبر الوحيد لفهم حقيقة الوجود والواجد الذي سطر الخلق بالعلم في اللّوح المحفوظ، فما يكتب في علم الظّاهر هو حبات متساقطة من عالم الباطن.

قائمة المراجع

1. _ محمد الهادي بوطارف، المصطلحات اللّسانية والبلاغية والأسلوبية والشّعريّة انطلاقاً من التّراث العربي ومن الدّراسات الحديثة، دارالكتاب الحديث، الجزائر، دط، دت.
2. _ والتّرج أونج، الشّفاية والكتابية، تر، حسن البنا عز الدين، ومحمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1993.
3. _ رضوان ظاظا، مناهج النّقد الأدبي، مترجم، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1997.

1_ محي الدين الطّعي، فناء اللّوح والقلم في شرح فصوص الحكم، ص9.
2_ ينظر: سفيان زدادقة، الحقيقة والسراب، قراءة في البعد الصّوفي عند أدونيس مرجعاً وممارسة، دار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008، ص408.

4. _ القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح معروف مصطفى رزيق، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2003.
5. _ خالد بلقاسم: الكتابة والتصوف عند ابن عربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2004.
6. _ ابن عربي، _ الميم والواو والنون، تح عبد الرحيم مارديني، دار المحبة، دمشق، ط1، 2002.
7. _ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
8. _ فصوص الحكم، تح، أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي بيروت، ط2، 1980.
9. _ الغزالي أبو حامد: المنقذ من الضلال، تح، جميل صليبا، وكمال عياد، دار الأندلس بيروت، د.ط، 1981.
10. _ ابن عربي، رسالة الانتصار، تح. عبد الرحيم مارديني، دار المحبة، دمشق، د.ط، د.ت.
11. _ ابن عربي، حلية الأبدال، ضبط شهاب الدين العربي، دار صادر بيروت، ط1، 1997.
12. _ ابن عربي، روح القدس في مناصحة النفس، تح. حامد طاهر، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 2006.
13. _ ابن عربي، مشاهدة الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية، تح. سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005.
14. _ ابن عربي، كتاب الأسفار عن نتائج الإسفار، بمطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ط1، 1948.
15. _ ابن عربي، التديرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، تح، حسن عاصي، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.
16. _ الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
17. _ رواية يحيى، شعر أدونيس، البنية والدلالة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2008.
18. _ محمود محمود الغراب، الرؤيا والمبشرات من كلام الشيخ الأكبر، دار الكتاب العربي، دمشق، ط2، 1993.
19. _ محي الدين الطعمي: فناء اللوح والقلم في شرح فصوص الحكم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.
20. _ ينظر: سفيان زدادقة، الحقيقة والسراب، قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة، دار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008.

دور الصحافة المكتوبة في الحد من تفشي وباء كورونا بالجزائر

تحليل مضمون عينة من أعداد جريدة النهار



اسباعي امجد

استاذ محاضر- أ

بجامعة احمد دراية ادرار، الجزائر

Summary: There is no dispute that our world today is affected by many preoccupations, that according to specialists, need diagnosis before, during and after. the Corona crisis is one of these preoccupations that were and still occupy a large part of research, analysis and study.

The main concern is not the existence of the epidemic per se, but rather the speed of its spread among the population of the world, which necessitates that everyone from official authorities, international laboratories and civil society associations need to work together to combat and limit it, and this is through awareness and coordination among all parties to find mechanisms Preventive and other curative to reduce this type of epidemic.

The Algerian newspaper An-Nahar had a role in dealing with the issue of Corona in Algerian society through large numbers of publications, as an attempt from its side to introduce the Corona disease, highlighting the most important preventive measures that must be followed to reduce it.

Keywords: crisis - Corona virus - An-Nahar newspaper

الملخص: لا يختلف اثنان بأن اهم العوامل التي تحكم عالمنا الصراع او الازمات والتي تحتاج كما يقول المتخصصون الى تشخيص قبلي واني وبعدي. ازمة كورونا واحدة من بين هذه الازمات التي أسالت الكثير من الحبر وفتحت المجال واسعا للتحليل والدراسة، فالمشكل ليس في وجود وباء كورونا في حد ذاته، بل المشكل في سرعة انتشاره بين مختلف سكان المعمورة، ما يجعلنا نعمل سويا من اجل مكافحتها والحد منها سواء هيئات رسمية وجمعيات مجتمع مدني، عن طريق التوعية والتنسيق بين جميع الفئات لإيجاد آليات وقائية وأخرى علاجية للحد من هذا النوع من الأوبئة. ولقد كان لجريدة النهار الجزائرية نصيب في تناولها لموضوع كورونا في المجتمع الجزائري من خلال اعداد كبيرة صفحاتها محاولة منها للتعريف بمرض كورونا ومبرزة اهم الاجراءات الوقائية الواجب اتباعها للحد منه.

الكلمات المفتاحية: الازمة – فيروس كورونا – جريدة النهار

مقدمة: ان الأزمات والأوبئة ظاهرة ليست بالجديدة وإنما هي ظاهرة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ. والتي تحتاج كما يقول العارفون في قطاع الصحة الى تشخيص قبلي واني وبعدي. أزمة كورونا واحدة من بين هذه الأزمات التي أسالت الكثير من الحبر وفتحت المجال واسعا للتحليل والدراسة فالمشكل ليس في وجود الأزمة الصحية في حد ذاتها وإنما في اتساع مساحتها إذ مست جميع شرائح المجتمع. كما ان وباء كورونا وإعداده المتزايدة يوميا في بلادنا تضعنا أمام حقيقة مفادها أن هذه الأزمة ليست مشكلة الهيئات الرسمية فحسب بقدر ما هي مشكلة اجتماعية تعتمد في مكافحتها على جهود مختلف أطراف المجتمع فنحن بحاجة اليوم إلى وعي وتنسيق بين جميع فئات المجتمع لإيجاد آليات وقائية وأخرى علاجية للحد من هذا النوع من الأوبئة. ولقد كان لجريدة النهار نصيب في تناولها لموضوع تفشي وباء كوفيد في المجتمع الجزائري من خلال صفحاتها. فتناولت عدة مقالات تتناول أزمة كورونا وانطلاقا مما سبق يمكننا ان نخلص الى التساؤل الرئيسي التالي:

هل ساعدت التغطية الإعلامية لصحيفة النهار على الحد من تفشي وباء كوفيد 19 في الجزائر؟

يتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي :

1- ما اهم المصادر المعتمدة في استقاء الأنباء من قبل الجريدة؟

2- ما نوع القوالب الصحفية التي استخدمتها جريدة النهار للتعريف ب وباء كورونا ؟

3- ما اهم الطرق والآليات التي استخدمتها الجريدة للتصدي للوباء؟

كما اعتمدت في هذه الدراسة منهج تحليل المحتوى الذي هو احد المناهج المستخدمة على نطاق واسع في تحليل الوثائق، والرسائل الإعلامية . لمعرفة الأفكار والإيديولوجيات والصور المعرفية ...الخ.

02- أهداف الدراسة

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

- التعرف على مدى قدرة الصحافة المكتوبة على التوعية حول مرض كورونا في المجتمع الجزائري.

- محاولة معرفة جميع الأطراف المتعلقة بالأزمة حسب صحيفة النهار اليومية.

- معرفة مختلف القوالب الصحفية المعتمدة من قبل الجريدة في معالجة أزمة كورونا.

3- أهمية الدراسة

- الاهتمام بمثل هذه القضايا نظرا لاستفحال مرض كورونا رغم الجهود المبذولة لمحاولة الحد منها.

- دور الصحافة المكتوبة وقدرتها على التأثير في قرائها وكذا إرشادهم مساهمة منها في التوعية والحد من انتشار كورونا.

انتشار كورونا.

4- منهج الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة منهج تحليل المحتوى الذي هو أحد المناهج المستخدمة على نطاق واسع في تحليل الوثائق، والرسائل الإعلامية. لمعرفة الأفكار والإيديولوجيات والصور المعرفية... الخ. وهناك العديد من التعريفات لتحليل المحتوى أبرزها.

تحليل المحتوى "يشير إلى الوصف الكمي الموضوعي المنظم وأي سلوك رمزي"¹.
"جمع البيانات للإجابة عن الأسئلة البحثية حينما يتوافر للباحث سجل بالاتصالات التي قام بها أو تلقاها فاعل معين"².

"أسلوب يستخدم في جمع البيانات ويقصد به التقدير والتقييم والتفسير المنظم لمحتوى وهيكل ووسائل الاتصال الحديثة، ويستخدم هذا الأسلوب في جمع البيانات للإجابة عن الأسئلة البحثية حينما يتوافر للباحث سجل بالاتصالات التي قام بها أو تلقاها فاعل معين"³.
ويرى عبد الغفار رشاد القصبي أن تعريف بيرلسون مازال أكثر التعريفات شيوعاً في تحديد معنى تحليل المضمون وذلك لاشتماله على مجموعة من العناصر هي:

1- تنقيح المضمون وتصفيته.

2- تحليل المضمون هو أداة للملاحظة غير المباشرة للسلوك.

3- اشتماله على الخصائص اللغوية والرمزية للمادة الاتصالية في شكل مصطلحات تخضع للضبط الدقيق.

4- يساعد تحليل المحتوى على التصنيف الكمي بحيث يتم تقسيم المضمون إلى فئات محددة استناداً إلى قواعد محددة وواضحة.⁴

"أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمها الباحثون في مجالات بحثية متنوعة وعلى الأخص في علوم الإعلام لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون وتلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في شكل تساؤلات البحث، أو فروضه طبقاً للتصنيفات الموضوعية التي يحددها الباحث."⁵ إما عن الخطوات المنجية الواجب إتباعها في تحليل المحتوى هي:

¹ عبد الله محمد عبدالرحمان، علم الاجتماع النشأة والتطور، بيروت، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 156.

² محمد محمود ربيع، موسوعة العلوم السياسية، الكويت، جامعة الكويت، 1983، ص 19-20.

³ عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 99.

⁴ عامر مصباح، المرجع السابق، ص 99.

⁵ سمير محمد حسين، تحليل المضمون، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، 1983، ص 70.

1- التحليل المبدئي.

2- وضع الفروض.

3- اختيار العينات.

4- ترميز بيانات التحليل.

5- تحديد وحدات التحليل.

6- تصميم استمارة التحليل.

7- تفسير النتائج.¹

5- مجتمع البحث وعينة الدراسة: يمكن القول أن مجتمع البحث يمثل جميع المفردات أو الأشياء التي نريد معرفة الحقائق عنها وقد تكون أعداد كما هو الحال في تحليل مضمون وسائل الإعلام وبالنسبة لدراساتي هو فمجتمع البحث هو عبارة عن مجموع أعداد صحيفة النهار لثلاثة أشهر 2020 و المتمثلة في شهر مارس - أبريل - ماي.

5-1: عينة الدراسة: اعتمدت في دراستي هذه على العينة القصدية وكان اختيارنا اثني عشر عددا (12 عددا) باستخدام العينة القصدية بشكل عمدي، لما يخدم أهداف الدراسة كما عملنا على تحديد الفترة الزمنية التي قمنا باختيار العينة والتي بدورها مثلت المجتمع الكلي للدراسة حيث امتدت من مارس 2020 إلى غاية ماي 2020.

05- مصطلحات الدراسة:

أ- فيروس كورونا

فيروسات كورونا هي سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس). ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخراً مرض كوفيد-19.²

ب- الأزمة:

وعليه يمكننا القول بأن الأزمة في معناها العام وبغض النظر عن المجال أو الميدان الذي تنتهي إليه سواء كان سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً هي عبارة عن موقف حرج يحدث فجأة ويفرض على صانع القرار اتخاذ قرار

¹ عواطف عبدالرحمان وآخرون، تحليل المحتوى في الدراسات الإعلامية، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983، ص 19.

² منظمة الصحة العالمية، مرض فيروس كورونا سؤال وجواب، متاح على الرابط: <https://www.who.int>

22.00 الساعة 2020/06/30

حاسم يمثل له فرصة للنجاح أو الفشل.¹

ج-تعريف الصِّحة:

تُعرَّف الصِّحة بِأنَّها حالة الإنسان دون أيِّ مَرَضٍ أو داء، وهي تشمِل الصِّحة العقلية والاجتماعية والبدنية، فكما يُقال العقل السليم في الجسم السليم؛ فالإنسان السليم هو الذي يَشعُر بِسلامة بدنه وجسده، أمَّا اجتماعياً فهو إنسان ذو نظرة واقعية للعالم ويتعامل مع أفراد المجتمع بِشكل جيّد، ويَشتمِل مفهوم الصِّحة على أمرين أوَّلُهُما السَّلامة من جميع الأمراض والعِلل وثانيهما ذهاب المَرَض والشِّفاء منه بعد حُلُوله.²

د-جريدة النهار الجزائرية:

هي جريدة يومية جزائرية مستقلة تصدر عن شركة الأثير للصحافة في حيدرة بالجزائر العاصمة، صدرت عام 2007 تعتبر هذه الجريدة أول يومية إخبارية مستقلة في الجزائر تصدر عن صحافيين لم يعملوا في الصحافة الحكومية من قبل، كما أنها لا تتبع لأي حزب سياسي، يدير هذه الجريدة أنيسرحمانيا لذي تقلد عدة مناصب في الساحة الاعلامية منذ 1993 حيث عمل كمسؤول للنشر في مجلة باكستانية حتى سنة 1998، وبعدها في أسبوعية لبنانية باسم المستقلة، ثم انتقل إلى جريدة الخبر سنة 2006 ومدير تحرير لجريدة الشروق اليومي، وفي بدايات أكتوبر من سنة 2007 اشتغل بجريدة النهار في منصب مدير عام ورئيسة تحرير زميلته الصحفية سعاد عزوز.

06-الإعلام المكتوب والتصدي للشائعات حول مرض كورونا:

الشائعة هي خبر غير موثوق، ولم يتم التأكد من صحته، ولا يستند لمصدر مسؤول، وتعتبر الشائعات الوسيلة الأقدم في العالم، وتتطور مع الإنسان في كل عصر، ولكنها أصبحت أكثر رواجاً في هذا العصر بفضل تطور وسائلها (الهاتف، وسائل الإعلام، تطبيقات الإنترنت... إلخ).

ولا شك أن هناك عدة أنواع للشائعات ومن بينها التي تتعلق بالأوبئة، وليس خافياً على أحد ما لحق بالعالم جراء فيروس كورونا، الذي احتلت أخباره مساحات واسعة من تغطيات وسائل الإعلام المختلفة من حيث عدد المصابين، والوفيات، والمتعافين، وطرق الإصابة، ووسائل الوقاية، إلى جانب أخبار تجارب اكتشاف علاج ناجع

¹ الموسوعة السياسية، مفهوم الازمة الدولية، متاح على الرابط: <https://political-encyclopedia.org/>، 01 / 07 / 2020، الساعة 21.00

² عبد الحميد شمس الدين، تعريف الصحة، متاح على الرابط: <https://mawdoo3.com/>، 01 / 07 / 2020، الساعة 17.00

- لهذا الوباء. وحتى لا تقع وسائل الإعلام ضحية للشائعات عليها أن تقوم باتباع الآليات التالية:¹
- 1- التصدي للشائعات: إن السر الأساسي للشائعات يكمن في انعدام الحقيقة، وبالتالي على وسائل الإعلام بمختلف أنواعها مسؤولية كبرى في التصدي للشائعات التي تتناول فيروس كورونا، وذلك بنشر المعلومات الميدانية وعرض الوقائع من مصادرها الحقيقية لدحض الشائعات.
 - 2- الاعتماد على مصادر المعلومات: يجب أن يتأكد الإعلامي من خبرات المصدر التي تؤهله لتقديم المعلومات الوافية عن فيروس كورونا، ونسب المعلومات إلى مصادر ذات ثقة من أهل الخبرة والاختصاص، أو المتحدثين الرسميين عن مراكز إدارة الأزمة، مع الوضع في الاعتبار أن هناك بعض وسائل الإعلام تعمل على إثارة بنشر الوقائع الملفقة، ومثل هذه الوسائل لا شك أنها تفسد رسالة الإعلام.
 - 3- الاستفادة من تقنيات الإعلام الجديد: إن السرعة التي تتميز بها الصفحات الاجتماعية والمواقع الإلكترونية لوسائل الإعلام عامل حاسم في القضاء على الشائعات، وتأكيد الحقائق متجاوزاً الحدود الوطنية للدول، وأن دور الإعلام هنا لا يقف عند حدود النفي السريع للشائعات فحسب، وإنما هناك دور وقائي ينبغي أن يقوم به، ولا يتم ذلك إلا بتوفير المعلومة الصحيحة، وخاصة أن وسائل التواصل الاجتماعي ووفقاً لدراسات تساهم في تضليل الجمهور بنسبة تصل إلى أكثر من 80%.
 - 4- فعالية الإعلام ومؤسسات المجتمع: إن الشائعة لا تستهدف جهة أو شخصاً بحد ذاته وأن بدت كذلك، ولكنها خطر على المجتمع ككل، وأن مسؤولية التصدي لها يجب أن تتم من قبل الجميع في المجتمع ووسائل الإعلام، المؤسسات التعليمية، الأجهزة الأمنية... الخ، كل حسب مجاله وعلاقته ضمن مخطط منظم يتيح العمل الفعال واستخدام الوسائل المناسبة.
 - 5- تجنب نقل الشائعات: قد يكون أحياناً من المفيد إهمال الشائعات، وعدم نشرها ونقلها. وبهذا يكون الإعلام قد لعب دور الحاجز الذي يقف بين الإشاعة والناس.
 - 6- الالتزام بأخلاقيات ومواثيق الإعلام: على وسائل الإعلام والإعلاميين ضرورة الالتزام بأخلاقيات ومواثيق الإعلام الوطنية والإقليمية والدولية فيما يتعلق بالمسؤولية الفردية والمجتمعية والإنسانية. والتمتع بالكفاءة المهنية من حيث الموضوعية والصدق والأمانة. كما يجب الالتزام بالقوانين الوطنية التي تنظم عمل وسائل الإعلام.
 - 7- توحيد الخطاب الإعلامي: على جهات الاختصاص في كل بلد ضرورة توحيد الخطاب الإعلامي الموجه للجمهور عن فيروس كورونا ليكون متوافقاً مع الحدث من حيث التوقيت ونقل الحقيقة. وعلى وسائل الإعلام الاعتماد

¹ خالد إبراهيم عبدالعزيز إسحاق، دور وسائل الإعلام في مواجهة أزمة كورونا، متاح على الرابط: <https://www.sharjah24.ae/ar>، 2020/06/30، الساعة 20.00

على هذا الخطاب منعاً للشائعات.

وبهذه الآليات يمكن لوسائل الإعلام مقاومة الشائعات، وبناء ثقمتها لدى الرأي العام، كما على الإعلاميين أن يستشعروا دائماً المعاني السامية لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)¹.

ثانياً: الإطار التطبيقي للبحث:

أولاً: التقديم العام لجريدة النهار اليومي:

هي يومية جزائرية مستقلة تصدر عن الاثير للصحافة في حيدرة بالجزائر العاصمة، صدرت عام 2007 تعتبر هذه الجريدة أول يومية إخبارية مستقلة في الجزائر تصدر عن صحافيين لم يعملوا في الصحافة الحكومية من قبل، كما أنها لا تتبع لأي حزب سياسي، يدير هذه الجريدة أنيسرحمانيا الذي تقلد عدة مناصب في الساحة الاعلامية منذ 1993 حيث عمل كمسؤول للنشر في مجلة باكستانية حتى سنة 1998، وبعدها في أسبوعية لبنانية باسم المستقلة، ثم انتقل إلى جريدة الخبر سنة 2006 ومدير تحرير لجريدة الشروق اليومي، وفي بدايات أكتوبر من سنة 2007 اشتغل بجريدة النهار في منصب مدير عام ورئيسة تحرير زميلته الصحفية سعاد عزوز.

تضم الصحيفة العديد من الصحفيين الذين يعتبرون من أعمدة الجريدة نجد كلا من محمد بوسري، دليلة بلخير، حبيبة محمودي، نشيدة قوادري، سامي سي يوسف، ووسيم بن عورة... وكل هؤلاء من الجيل الجديد في قطاع الصحافة لكنهم أثبتوا مكانة وتفوقا كبيرا في الميدان.²

واشتهرت هذه الجريدة بمواضيعها السياسية والاجتماعية ونشرت العديد من الروبورتاجات والتقارير حول مختلف المواضيع ... كما عملت على تحطيم طابوهات التي كانت تواجه الصحافة الجزائرية، من بينها عدم الخوض في المعلومة الأمنية الشيء الذي جعل لديها جمهور وقراء، حيث تمكنت من حصد حوالي 60 ألف نسخة فقط في عام 2007.

كما يتمحاليا سحب جريدة النهار الجديد في أربع مطابع وهي متواجدة في الجزائر العاصمة، وهران، قسنطينة، ورقلة. ويصل سحها حاليا إلى 400 ألف نسخة³.

ثانياً: فئات التحليل: بمعنى تحليل مضمون إعداد صحيفة الشروق التي أشارت الى أزمة كورونا.

¹القران الكريم، سورة الحجرات، الآية 06

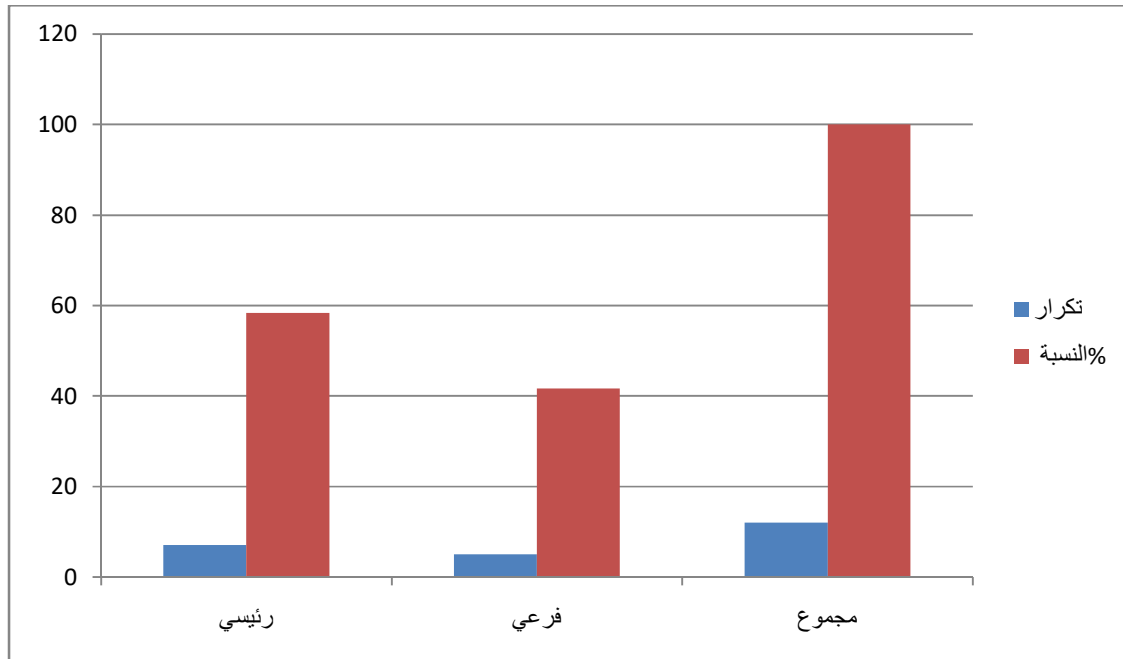
² من الموقع الالكتروني: <http://ar.wikipedia.org/wiki> بتاريخ: 26/10/2014، على الساعة: 13:22

³ من الموقع الالكتروني: <http://ennaharonline.com/fr/presentation.html> بتاريخ: 04/12/2014، على

1- فئات الشكل:

وهي الفئات التي تدور حول الشكل الذي قدم فيه هذا المضمون وهي تجيب عن التساؤل الخاص "كيف قيل؟" حيث قمت باستخراج ووضع جداول، حيث تمثل كل فئة بجدول وهي على التوالي:
جدول 01 فئة العناصر التيبوغرافية الخاصة بالعنوان:

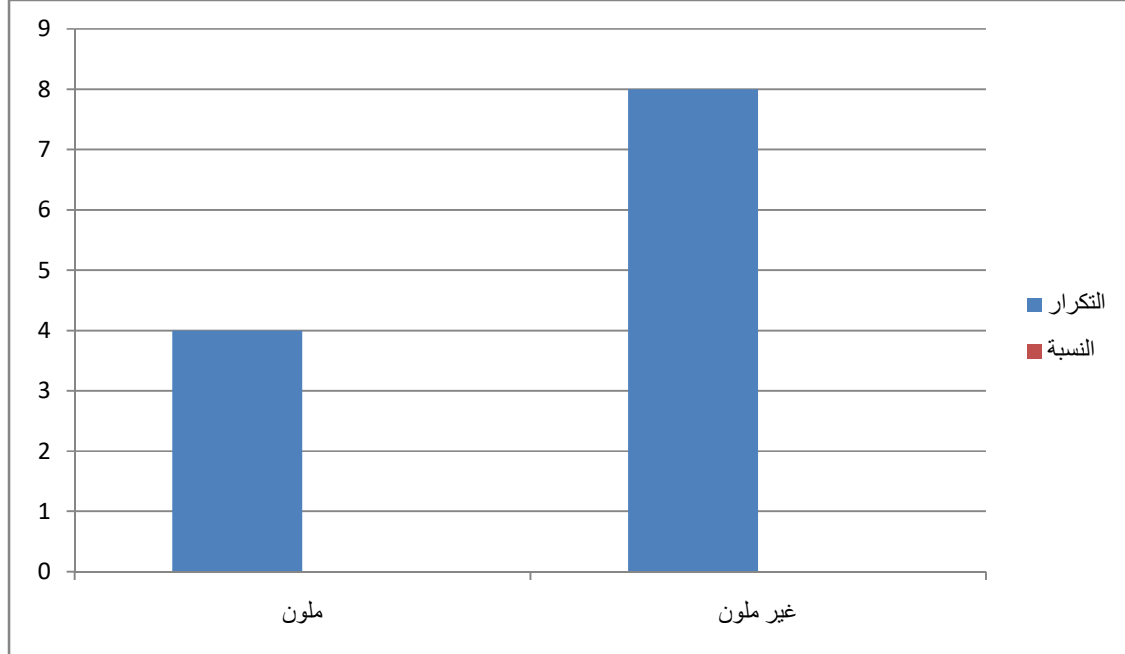
عنوان	تكرار	النسبة %
رئيسي	07	58.33
فرعي	05	41.66
مجموع	12	100



من خلال الجدول الأول نلاحظ بان الصحيفة أولت اهتمام لأخبار كورونا من خلال إبراز هذه الظاهرة في شكل عناوين رئيسية بنسبة 58.33% وهي نسبة كبيرة مقارنة بنسبة 41.66% للعناوين الفرعية. ويفسر ذلك الى مدى حساسية الموضوع وكذا الأهمية التي يحظى به.

الجدول رقم 02: فئة استخدام الألوان:

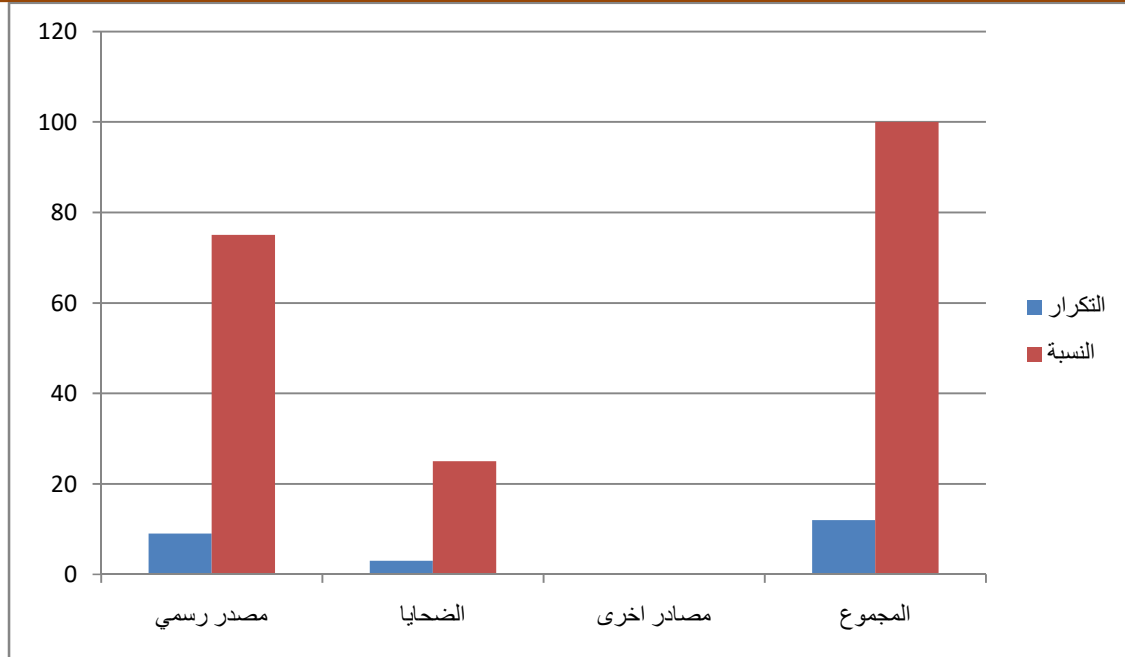
العنوان	التكرار	النسبة
ملون	04	33.33
غير ملون	08	66.66
المجموع	12	100



من خلال الجدول رقم 02 نلاحظ ان اغلب العناوين الخاصة بأزمة كورونا من خلال عينة الدراسة ظهرت بشكل عادي دون استخدام الألوان أي ما نسبته 33.33 مقارنة مع العناوين الملونة والتي قدرت بنسبة 66.66% وربما يرجع ابتعاد الصحيفة عن استخدام الألوان في مثل هكذا قضايا الى تجنب سياسة ترهيب القارئ.

جدول رقم 03 : يمثل فئة المصادر المعتمدة

المصدر المعتمد	التكرار	النسبة
مصدر رسمي	09	75
الضحايا	03	25
مصادر أخرى	00	00
المجموع	12	100

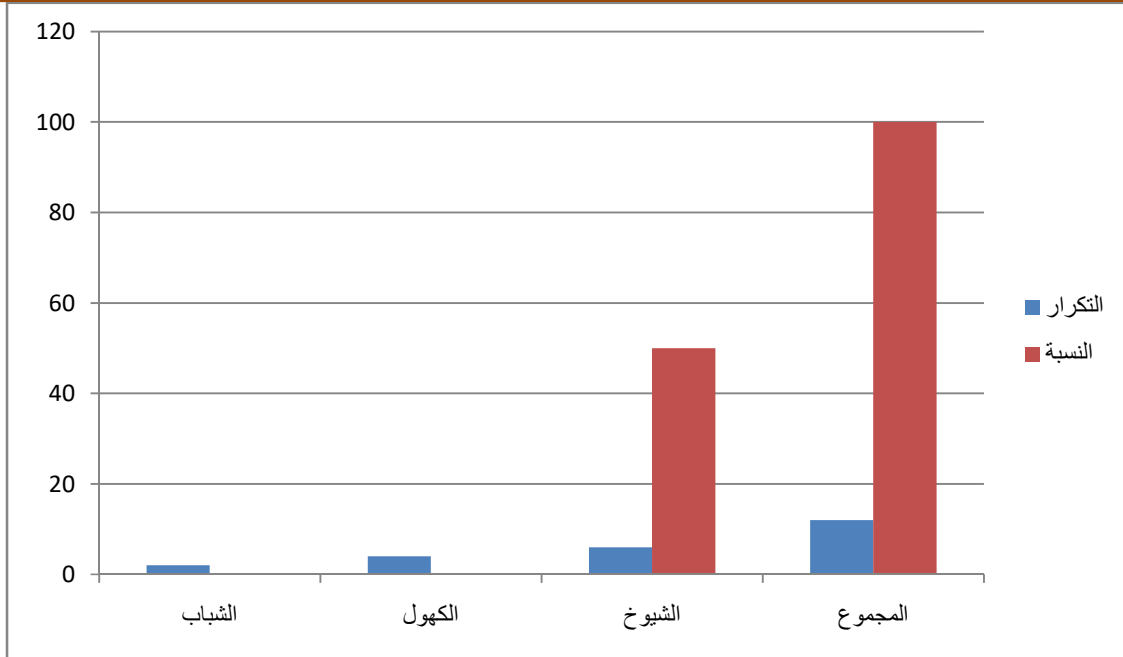


من خلال الجدول رقم 03 نلاحظ اعتماد الجريدة على المصادر الرسمية وكذا الضحايا و اقتصارها عليهما دون غيرهما، لإعطاء المصدقية للخبر الصحفي، كما نلاحظ في اغلب أعداد الجريدة عينة الدراسة اعتمدت الجريدة على المصادر الرسمية في اغلب اعداد عينة الدراسة أي بنسبة 75%، أما اعتمادها على الضحايا بنسبة 25 بالمائة، وتفسر ارتفاع نسبة اعتماد الصحيفة على المصادر الرسمية هو الإلمام بكافة جوانب القضية وكذا إعطائها طابع المصدقية.

2-فئات المضمون: وهي الفئات التي تدور حول مضمون مادة الاتصال أو المعاني التي تنقلها وهي تجيب عن التساؤل الخاص "ماذا قيل؟"

الجدول رقم 04: فئة المرحلة العمرية للمرضى:

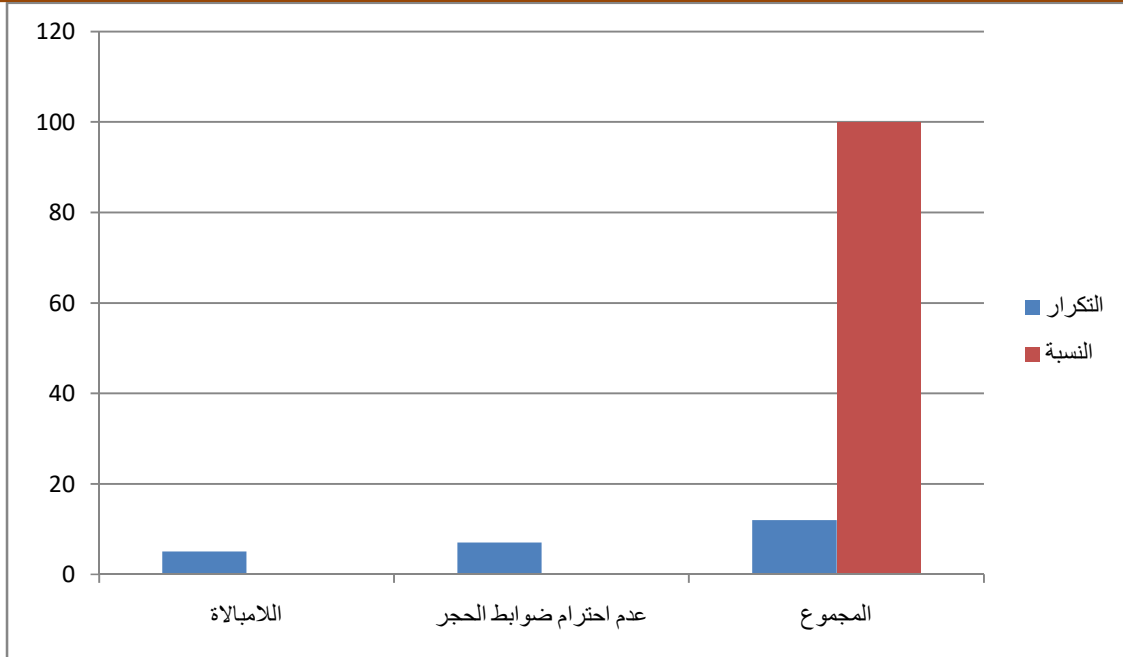
المرحلة العمرية للمرضى	التكرار	النسبة
الشباب	02	16.66
الكهول	04	33.33
الشيخوخة	06	50
المجموع	12	100



الملاحظ من خلال الجدول رقم 4 استحوذ نسبة الشيوخ على أكبر نسبة أي 50 بالمائة من اجمالي التكرارات، أما المرتبة الثانية للكهول أي ما نسبته 33.33 بالمائة وهي نسبة اقل من سابقتها، بينما عبرت النسبة 16.66 بالمائة عن فئة الشباب. ويفسر ارتفاع نسبة المرض من قبل الشيوخ كونهم أكثر فئات المجتمع تأثراً بالأزمات الاجتماعية نظراً لإصابتهم ببعض الأمراض المزمنة.

جدول رقم 05 فئة أسباب الإصابة المرض

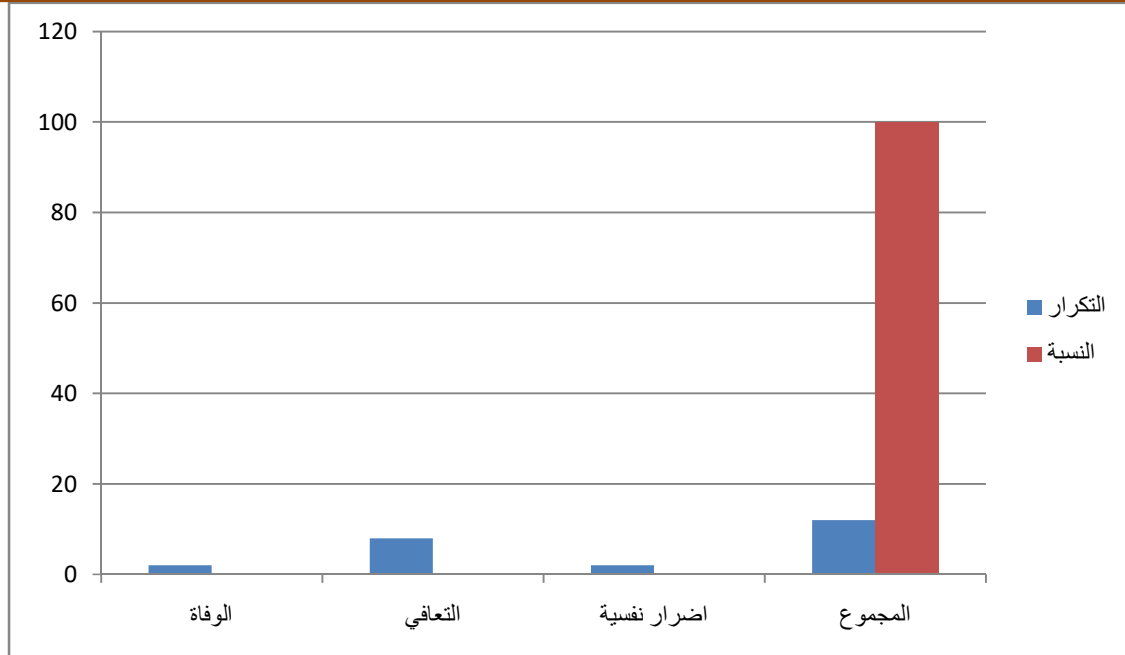
النسبة	التكرار	فئة اسباب المرض
41.66	05	اللامبالاة
58.33	07	عدم احترام ضوابط الحجر
100	12	المجموع



من خلال الجدول رقم 05 نلاحظ أن أسباب المرض مرتفعة لأسباب عدم احترام ضوابط الحجر حيث قدرت نسبتها 58.33%، تليها اللامبالاة بنسبة 41.66 بالمائة. وربما يعود ذلك الى لصعوبة التقيد بالضوابط الوقائية الخاصة بالحجركون المرض غير معروف سابقا.

جدول رقم 06: فئة الآثار المترتبة عن المرض

الآثار المترتبة عن المرض	التكرار	النسبة
الوفاة	02	16.66
التعافي	08	66.66
اضرار نفسية	02	16.66
المجموع	12	100



نلاحظ من خلال الجدول 06 أن أكبر نسبة الشفاء من المرض بلغت ما نسبته 66.66 %. تليها الأضرار النفسية والوفاة بنسبة 16.66 بالمائة لكل منهما. وقد يرجع ارتفاع نسبة التعافي الى تقديم العلاج الأولي للمرضى قبل استفحال المرض.

نتائج الدراسة:

بناء على ما سبق تم التوصل إلى النتائج التالية:

1. استخدام جميع العناصر التيبوغرافية والمهارات الإخراجية من قبل صحيفة النهار بهدف إبراز النصوص المتعلقة بمرض كوفيد.
2. الاختيار الأمثل لموقع الخبر المتعلق بأزمة كورونا من قبل محررو الصحيفة بحيث يكون دائماً في أماكن تسقط عليها عين القارئ.
3. جل الأسباب التي دفعت للإصابة بالمرض هي اللامبالاة وعدم احترام الحجر.
4. اعتماد الصحيفة على المصادر الرسمية في أغلب الحالات ما يعطي للخبر طابع المصداقية.
5. أكثر الفئات العرضية للمرض هم فئة الشيوخ كون أغلبهم لديهم أمراض مزمنة.
6. تعافي أغلب المصابين بالمرض وهذا راجع الى تقديم الرعاية الصحية ومرافقة المرضى.

خاتمة:

للإعلام بشقيه المكتوب والمسموع دور كبير في التأثير على المجتمع باعتباره عنصراً أساسياً من حياتنا اليومية له قوة التأثير إما بشكل سلبى أو ايجابى للحد من الأزمات وخاصة أزمة كورونا. ولن يحدث ذلك إلا من خلال

الدعوة الى الوقاية من هذا المرض عبر صفحات الجرائد وتشجيع الشباب على الانخراط في العمل الخيري والتطوعي، وعلى الإعلام المكتوب كذلك التعريف بالمرض داخل المجتمع من خلال تبين مخاطره وأسباب انتشاره وانعكاساته على المجتمع، وبهذا يكون الإعلام قد لعب دورا محوريا في الوقاية من المرض والحد من انتشاره.

المصادر:

¹القران الكريم، سورة الحجرات، الآية 06

المراجع:

- 01-حمد محمود ربيع، موسوعة العلوم السياسية، الكويت، جامعة الكويت، 1983.
- 02-سمير محمد حسين، تحليل المضمون، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، 1983.
- 03-عبد الله محمد عبدالرحمان، علم الاجتماع النشأة والتطور، بيروت، دار المعرفة الجامعية، 1999.
- 04-عبد الله محمد عبدالرحمان، علم الاجتماع النشأة والتطور، بيروت، دار المعرفة الجامعية، 1999.
- 05-عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- 06-عواطف عبدالرحمان وآخرون، تحليل المحتوى في الدراسات الإعلامية، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983.
- 07-منظمة الصحة العالمية، مرض فيروس كورونا سؤال وجواب، متاح على الرابط: <https://www.who.int>، 2020/06/30 الساعة 22.00
- 08-الموسوعة السياسية، مفهوم الازمة الدولية، متاح على الرابط: <https://political-encyclopedia.org/>، 2020/07/21 الساعة 21.00
- 09-عبد الحميد شمس الدين، تعريف الصحة، متاح على الرابط: <https://mawdoo3.com/>، 2020/07/01، الساعة 17.00
- 10-خالد إبراهيم عبد العزيز إسحاق، دور وسائل الإعلام في مواجهة أزمة كورونا، متاح على الرابط: <https://www.sharjah24.ae/ar>، 2020/06/30، الساعة 20.00

فن المديح لدى السلطان محمد بلو



الدكتور أبوبكر إبراهيم

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
جامعة ولاية صُكُتُونِيْجِيْرِيَا ،

abubakaribrahim12345@gmail.com

ABSTRACT: The paper titled "Eulogy in the poems of Sultan Muhammad Bello" highlights on the deferent forms of song under review in terms of its structure and meaning. Considering the fact that the poem is among the best songs written and recited by the Author, Sultan Muhammad Bello bn Usmanu bn Fodiyo and the fact that the song is rated among his best, the writer of this paper undertakes to study the poem. The descriptions and analysis of the song given in this paper, can serve as resource for students, writers and researchers. The paper takes a look at important themes related to the topic of study such as information about the Author (Sultan Muhammad Bello bn Usmanu bn Fodiyo), presentation of the poem and its content, its analysis in terms and its content, language, meaning and form. Conclusion, references and footnotes are also presented

المقدمة: الحمد لله رب العلمين, والصلاة والسلام على سيد المرسلين, وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد: فإن هذه المقالة بعنوان: "فن المديح لدى السلطان محمد بل في تطور الشعر العربي النيجيري دراسة تحليلية لهائيته" عبارة عن بيان بعض ما تتضمنه قصيدته الهائية في مدح خير البرية, من صور جمالية وبيانية التي تزود الطلاب والدارسين بمواد علمية غزيرة.

هذا, وتشتمل المقالة فيما يلي:

1- نبذة عن حياة الشاعر.

2- قصيدته الهائية في مدح خير البرية.

3- مضمونها ودورها في تطور الشعر العربي النيجيري.

4- بعض خصائصها البيانية.

5-الخاتمة.

6-المصادر والهوامش.

1-نبذة عن حياة الشاعر.

نسبه:

هو محمد بن عثمان بن محمد بن صالح بن هرون بن محمد غورط بن جب بن محمد ثنب بن أيوب بن باب بن موسى جكل. ويلقب بـ "بل" ومعناه: المعين والمساعد.

مولده ونشأته:

ولد السلطان محمد بلو يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية 1195هـ، الموافق 1779م.

وقد نشأ محمد بلو في بيئة علمية، وبيت يحيطه العلم وتحفه المعرفة، الذي كان نهجه تصحيح ما اعوجّ من عقائد المسلمين وإقامة الجهاد في سبيل الله، وهو بيت ملتزم بتربية إسلامية رفيعة، وتوجه خلقي سليم، ولم ينحصر في نطاق العلوم الدينية فقط بل في علوم العربية كلها.¹

تعلّمه وعلماءه:

لقد أخذ محمد بلو العلم على أيدي أساتذة كثيرين من أسرته وغيرها، ولكن سيقصر الباحثان على اثنين مشهورين منهم، وهما:

1-والده الشيخ عثمان بن محمد فودي، كما قال الوزير عبد القادر "..... منذ نشأ محمد بل قرأ القرآن وتعلم ولازم الشيخ، تصفح أحواله واستمع إلى مقاله وهو غلام حدث".

وقد درس محمد بل على والده علوما على والده جمّة بعد ختم القرآن الكريم، كالتفسير وعلوم الدين والحديث الشريف وغير ذلك.

2- عمه الأستاذ عبد الله بن فودي شقيق والده، وكان عالما مشاركا في كثير من العلوم والمعارف، كما ذكر الوزير عبد القادر "ومنهم العالم العلامة الفهامة شيخ الشيوخ أبو محمد عبد الله بن فودي" وقد درس محمد بل على يده فنون اللغة العربية وأصول الدين وأصول الفقه.²

مؤلفاته:

لقد ألف محمد بل كتباً كثيرة في ميادين شتى من العلوم، وسوف يصدر الباحثان طرفاً منها فيما يلي:
فله في علوم القرآن: "موضوع القرآن ومعانيه" و"غاية السؤل في تفاسير الرسول".

ففي اللغة العربية: "نظم العوامل النحوية" و"تخميس بانث سعاد" و"تخميس البردة".
ففي الفقه الإسلامي: "تنبيه الراقد على ما يعتور الحاج من المفسد" و"تنبيه صاحب على أحكام المكاسب" و"شفاء الأسقام في معرفة مدارك الأحكام".
وفي فضائل الأعمال والآداب الإسلامية: "نيل المرام من شيم الكرام" و"التنبيهات الواضحات في الباقيات الصالحات" و"قدح الزناد في أمر هذا الجهاد" و"كفاية المهتدين في أحكام المخلفين".
وفي السياسة والإدارة والأمن: "أصول السياسة" و"التحرير في قواعد التبصير" و"تنبيه الإخوان على أحكام الأمان".

وفي التصوف: "كتاب اسم الله الأعظم" و"جلاء الصدور فيما يختلج من صدى الغرور".³
وفاته: توفي محمد بل رحمه الله عشية الخميس لخمس ليال بقيت من رجب في قرية وُزْنُو، وكان آخر كلامه "لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ" ثلاث مرات، ثم قرأ "إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون".⁴
2- قصيدته الهائية في مدح خير البرية ﷺ:

أيا طيبا من طيب طاب مبداه * ويا طاهرا من طاهر طاب منشاه
ويا أول النبئاء خلقا وآخرا * لهم مبعثا يا عاقبا جل معناه
فإنك أول شافع ومشفع * وأول من تنشق عنه بأخراه
وإنك أول مومن قبل مومن * وأنت الأبر الأبطي طاب بطحاه
وإنك أتقى الناس أجود بالجدى * وأحد وحيد واحد في سجاياه
وأحسن خلق الله خلقا فإنه * لأحسنهم خلقا فأعظم بسيماه
وأخذ صدقات وأخشى لربه * بأحمد في الإنجيل سماه مـولاه
وأرجح خلق الله عقلا وأرحم * جميع الورى في كل ما يتعطاه
هو الأزهر الأعلى الأعز وإنه * لأطيبهم ريحا إذا هب ريـاه
وأصدق في قول وأشجع في اللقا * وأعلمهم بالله والله أعلاه
إمام جميع الأكرم الأمر الذي * هو الأمن للوجل الطريد ومأواه
نبي أمين الله أمي الأنبيـا * ونعمة مولانا الكريم ونعماه
هو الباهر البرهان بشرى بن مريم * وبارقليط البرقد طاب أسماه
هو البالغ البشرى البشير فإنه * بصير بليغ ذو بيان بفحواه

وبينة تال وتذكرة تقسى * وتزيل رب العلمين وبشراه
تهامي ثاني اثنين جبار للعدى * هو الجد من يسعد به فاز مسعاه
جواد حكيم جامع خاتم الرضى * وحزب الإله حاشر طاب محياه
هو الحافظ الهادي مو الحاكم الوفي * هو الحامد المحمود قد عز علياه
رسول لواء الحمد في حركفه * يقود بنا للخلد والخاد مثواه
يحيد بنا في الحشر عن كل شدة * إذا ما دعا مولاه في الأمر لباه
فكل كمال للورى من كماله * وكل سنا للخلق من نور أضواه
فمن خيمه القرآن وهو طريه * فكالبحر ما أحلاه خيما وأسماه
به نصرت جند السموات نصرة * له يوم بدر حين لاقى لمغزاه
وحسبك في قدر ذكر اسمه * وما ناله فوق السماء بمسراه
أيا طاهر الأوصاف يا طيب الحلا * ويا غوث ملهوف طريد وملجاه
ويا باب عفو الله غوث عباداه * وجاها عظيما وهو جاه هو الجاه
فهذا عبيد جاء بالباب عانيا * أسير ذنوب قيده خطايا
براحتكم فك العناة وعتقهم * واسقاط غرم عنهم طال بلواه
فجود وأعطف عناية ورعاية * إليه لكي يعطي الذي يتمناه
فيحظى بغفران الذنوب وتوبة * وتقوى الإله الحق مع حسن عقباه
ويكسى بستر دائم متمدد * ويشفى من الأضنا ومن كل أدواه
ويكفى من الأعداء طرا بنصرة * عليهم ويكفى الدهر من كل شكواه
ويعطى من الدارين ما كان يرتجي * ويوقا من الدارين ما يتوقاه
فإن رجاء العبد إذ حل ضيفنا * بساحته رحى من الله تغشاه
رجونا مكارمه فجئنا لبابه * وها هو قد عم الجميع بحسنه
فحاشاه أن يرجو مكارمه فتى * فيرجع محروما فحاشاه حاشاه
وصل عليه الله ما ذكر اسمه * وآل له والصحب ما فاه أفواه⁵

هذه القصيدة هائية القافية، قالها محمد بل في مدح النبي ﷺ، وأبياتها ثمانية وثلاثون بيتا، ووزنها بحر الطويل الأول.

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيل * فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيل

لقد حاد محمد بل عن التقليد الجاهلي من الوقوف على الأطلال والتشبيب بالنساء في استهلال هذه القصيدة، فشرع في غرضه الأصلي مباشرة قائلاً يأيها النقي الذي خرج من أسرة طيبة شريفة الأصل، ونشأ نشأة الخيار الأطهار في بيئة محاطة بالعز والكرامة، ويا من سبق خلقه على خلق الأنبياء كلهم فتأخرت بعثته عن بعثهم دلالة على شرفك ورفعة شأنك، أنت أول الشفعاء، وصاحب الشفاعة العظمى التي لا ترد، وأنت أول من تنشق الأرض بيوم القيامة، لقد آمنت بالله قبل جميع الخلق، وأنت السعيد الذي سعد بمولده (مكة المكرمة) أنت ألقى الخلق، وأنداهم يدا، فلا مثيل لك في الخلق والخلق، أنت المسمى بأحمد في الكتب السابقة، لقد فقت غيرك في حدة العقل واللفظ والرفق في كل الأمور.

واصل محمد بل بذكر النعوت المحمودة التي تميز بها النبي ﷺ عن غيره، فهو ذو العز والعلا والريح الطيبة التي لا تقاس بغيرها، وهو أصدق الناس وأشجعهم وأعرفهم بالله، هو السيد الذي يؤمن الخائف ويأوي المطرود، هو النبي الأمين الأمي، بل هو نعمة الله المهداة إلى الخلق، بشر به نبي الله عيسى عليه السلام، فجاء بالبرهان القاطع والبيان الشافي، وبشر الرسالة، ونصح الأمة، تهامي ثاني اثنين في الغار، الشديد على الأعداء، الفائز من اتبعه، أوتي الحكمة وجوامع الكلم، وختمت به الرسالة، وهو الحافظ للأمانات، والهادي إلى الصراط السوي، والحاكم العدل.

وبعد ما وصفه به من نعوت محمودة، وما شرف به من نزول القرآن ونصر الملائكة له في بدر، والإسراء والمعراج، انتقل الشاعر من المدح إلى التوسل قائلاً: إنه متيقن بأنه عبد ذليل أحاطت به الذنوب والخطايا من كل جانب، لذا يتوسل بهذا النبي الذي كان من دأبه فك الأساري وعتق الرقاب، ويرجو عناية حتى يتوصل على ما يتمناه من غفران الذنوب وحسن العاقبة، وستر العيوب، والشفاء من كل داء، والكفاية من مكائد الأعداء والنصرة عليهم والتحصيل على ما يأمله يوم القيامة، من البعد عن النار، والفوز بالجنة، فإنه ليعلم أن العبد إذا لجأ إلى النبي ووقف ببابه، راجياً مكارمه فإن رجاءه لا يخيب.

ثم ختم بالصلاة على النبي ولآله وصحبه.

أما دورها في تطور الشعر العربي النيجيري والتألف الوطني، فإن من المسلم به أن محمد بل من أعلام الأدب العربي في الإقليم الإفريقي عموماً والقطر النيجيري على وجه الخصوص، وليس أدل على ذلك من أن عدداً غير قليل من طلاب اللغة العربية في نيجيريا وخارجها على اختلاف تخصصاتهم ومراحلهم التعليمية، كتبوا في مكتبته في موضوعات متنوعة.

وتتكشف هذه الحقيقة جلياً لكل من من الله عليه بالإطلاع على مدائحه، وأعمل فيها ثاقب فكره، وكأن هذه

القصيدة تكفي دليلا مقنعا وشاهدا كبيرا لإثبات تلك الحقيقة، وذلك لأنها شغلت عقول النقاد والأدباء، بما تضمنته من الخصائص البيانية والجمالية التي يتطلبها كل شعر قبل أن ينتظم في سلك الجودة، ويحوز القبول لدى الأدباء المجيدين

4- بعض خصائصها البيانية:

افتتحت بقوله:

أيا طيبا من طيب طاب مبداه * ويا طاهرا من طاهر طاب منشاه

وأول ما يلاحظ هو أن الشاعر نادى النبي ﷺ بأداة "يا" مقرونة بالهمز، وكان شأن هذه الأدوات أن ينادى بها البعيد، ومعلوم أن النبي ﷺ يجب أن يكون قريبا من قلب كل مومن، فالشاعر هنا إنما ناداه لابتلاك الأداة ليدل على بعد منزله، ورفع مكانته، وعلو رتبته، ويؤكد ذلك إتيانه بالصفة (طيبا) نكرة، والنكرة هنا تفيد التعظيم والتقدير، وإسناد الفعل (طاب) إلى المبدأ والمنشأ ليس على حقيقته، وإنما على سبيل المجاز، لأن الله هو الذي طيب وطهر منشأ النبي ﷺ وأصله.

أما النداء في قوله:

أيا طاهر الأوصاف يا طيب الحلا * ويا غوث ملهوف طريد ومنشاه

ويا باب عفوا لله غوث عباده * وجاها عظيما وهو جاه هو الجاه

فالنداء يدل على الإستغاثة وطلب المعونة، لأن الشاعر هنا إنما يتوسل بالنبي ﷺ ويستغيث به، لعلمه بما له من عظيم القدر عند ربه.

وقوله:

فإنك أول شافع ومشفع * وأول من تنشق عنه بأخراه

فيه حذف فاعل "تنشق" وهو الأرض لأنه يعتقد أن هذا الفاعل معروف، إذ اشتهر بين المسلمين قاطبة أن النبي ﷺ هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

وتجد الشاعر عدل من الخطاب إلى الغيبة من البيت التاسع، ما يدعى عند البديعيين (الإلتفات) وما فعل ذلك إلا للتعفن والتنوع، لأنه يعلم أن السير على منوال واحد يؤدي للملل والسآمة فلا ينحى من ذلك إلا التنوع في الأساليب، وهكذا يكثر من ذكر المسند إليه وخصوصا المبتدأ، وذلك للتسجيل والتقرير وللدلالة على عظمة الممدوح وبلوغه الشأو الذي لا يدرك.

وقوله:

فهذا عبید جاء بالباب عانيا * أسير ذنوب قيده خطايا

فتصغير (عبيد) للتواضع، فهو يعتبر نفسه عبدا ذليلا غريقا في بحر الذنوب.
وقوله (قيدته خطاياها) فيه استعارة، حيث شبه الذنوب بالقيد الذي يمنع الإنسان من السير إذا قيد به.
وفي قوله: فجودو بعطف عناية ورعاية * إليه لكي يعطى الذي يتمناه
استعار لفظ الجود للعفو والعناية، والاستعارة تصريحية.
وقوله:

فحاشاه أن يرجو مكارمه غدا * فيرجع محروما فحاشاه حاشاه
كرر الفعل (حاشاه) ثلاث مرات، والتكرار هنا حسن ومحمود، لأنه يدل على التوكيد والمبالغة.
وقوله: وصل عليه الله ما ذكر اسمه * وآل له والصحب ما فاه أفواه
الجملة إنشائية، بمعنى الخبرية، لأنها تحمل معنى الدعاء.⁶

الخاتمة: و خلاصة القول: إن هذه المقالة المتواضعة التي مرت بالقارئ، تناولت طرفا من الحديث هائية
السلطان محمد بلو في مدح النبي ﷺ. وليس من شك أن هذا الشاعر قد لعب دورا هاما نحو تطور الأدب العربي
النيجيري، وسبق أن أخذ الكاتبان نبذة من حياة الشاعر، وقصيدته المذكورة حيث بيّنا معانيها الإجمالية،
وخصائصها البيانية، فبذلك اتضح ما للشاعر من قوة التمكن وعمق الفهم في اللغة العربية.

الهوامش والمصادر:

القرآن الكريم

- ¹ - الدكتور محمد آدم أبونظيفة، جامعة الإمام سعود الإسلامية، تحقيق وشرح نظم العوامل النحوية للسلطان محمد بل، ص: 34-35.
- ² - أبوبكر إبراهيم، الموازنة بين مدائح عبد الله بن فودي ومحمد بل: بحث قدمه لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي صكتو، عام 2006م، ص: 12-13.
- ³ - الدكتور محمد آدم، المرجع السابق، ص: 70-75.
- ⁴ - يونس: 39.
- ⁵ - الوزير جنيدي بن محمد البخاري، إفادة الطالبين، ص: 20-24.
- ⁶ - أبوبكر إبراهيم، المرجع السابق، ص: 68-71.
- ⁷ - أبوبكر بن محمد عبد الملك: الكافي في علم القوافي، كلية دارالعلوم بالقاهرة، بلا تاريخ.
- ⁸ - الخطيب التبريزي: الكافي في علم العروض والقوافي، تحقيق الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: 4، 1421هـ.
- ⁹ - عبد الله بن فودي: كتاب النسب، نشر محمد مكوش جورتدن ودا غسو.
- ¹⁰ - ناصر أحمد صكتو (الدكتور): فن المديح لدى الشاعر عثمان تليمن دراسة أدبية لمييمته في مدح الأخوين: أمير المؤمنين أبي بكر، وأحمد بلو سردونا صكتو.